

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

قسم اللغة والأدب العربي



كلية الآداب واللغات

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التطبيقية

توظيف البعد التداولي للتواصل اللغوي

تحت إشراف: أ. د. سيدي محمد غيثري

من إعداد الطالب: بوشته عمر

ومساعد المشرف: أ. د. عبد الرحيم أمين

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عمر ديدوح
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. سيدي محمد غيثري
مشرفا مساعدا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الرحيم الأمين
عضوا	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	أ.د. بن يشو الجيلالي
عضوا	جامعة وهران	أستاذة محاضرة "أ"	د. سعد الله زهرة
عضوا	جامعة سعيدة	أستاذة محاضرة "أ"	د. عمارية حاكم

السنة الجامعية: 2018/2017

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

قسم اللغة والأدب العربي



كلية الآداب واللغات

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التطبيقية

توظيف البعد التداولي للتواصل اللغوي

تحت إشراف: أ. د. سيدي محمد غيثري

من إعداد الطالب: بوشته عمر

ومساعد المشرف: أ. د. عبد الرحيم أمين

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عمر ديدوح
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. سيدي محمد غيثري
مشرفا مساعدا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عبد الرحيم الأمين
عضوا	جامعة مستغانم	أستاذ التعليم العالي	أ.د. بن يشو الجيلالي
عضوا	جامعة وهران	أستاذة محاضرة "أ"	د. سعد الله زهرة
عضوا	جامعة سعيدة	أستاذة محاضرة "أ"	د. عمارية حاكم

السنة الجامعية: 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

2
3
3
3

حجرات

شكر وعرهان

لا يسعني في هذا المقام إلا أن ارفع عبارات الشكر الجزيل والعرهان إلى أساتذتي الذين قبلوا الإشراف على عملي، ولم يخلوا علي - ولو للحظة - بتوجيهاتهم المنهجية وإرشاداتهم العلمية التي أنارت لي جوانب كثيرة من أطراف هذا البحث كانت بالأمس القريب مظلمة حالكة، وأعترف بأن هذه التوجيهات كانت سندا ومرتكزا من جهة، ومن جهة أخرى منطلقا ونبراسا اهتديت به لفك العديد من حلقات البحث المعقدة. هذا فضلا عن تخصيص الكثير من وقتهم للاطلاع على عملي وإمدادي بالنصح والتوجيه للسير قدما نحو الهدف المنشود.

وإن كنت أنسى فلا أنسى أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين سوف يشرفوني بحضورهم وجزيل نصحهم وسداد آرائهم خدمة للبحث والعلم والأمة والوطن.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والثناء والعرهان إلى كل من أمدني بالمعونة والإرشاد، من قريب أو بعيد، لإعداد وإخراج هذا البحث المتواضع....

الإهداء

إلى كل شريف غيور قرن عزته ومكانته بعزة ومكانة لغة القرآن الكريم..

إلى كل من علمني أو كان له الفضل في تعليمي ولو حرفا واحدا...

إلى روح والدي، إلى أهلي وجميع أحبائي ..

أهدي هذا العمل المتواضع.

اللغة ظاهرة عقلية وعضوية خاصة بالإنسان بغض النظر عن كونها عربية أو فرنسية أو إنجليزية، فهي صفة مميزة للنوع البشري، ولعل هذا ما دعا أرسطو لتعريف الإنسان بالحيوان الناطق، وما دامت اللغة بهذه الصفات، فهي تطرح على الباحث عددا هائلا من المسائل، كعلاقتها بالفكر، وعلاقتها بالنفسي، ومكانتها بين الفرد والمجتمع، وهذا التعدد الموجود في الألسنة وما إلى ذلك من المسائل.

ومما لا شك فيه أن حركة التقدم العلمي مستمرة، وقد صحب هذه الحركة تجديد في البحث في النشاط اللغوي. وجلي للعيان في الأيام الأخيرة أن هذا النشاط أصبح يوازيه نشاط آخر واضح في الاستفادة من بعض المناهج المعاصرة والتكنولوجيات في دراسة اللغة.

وإذا سلمنا بأن التداولية هي آخر ما أنتجته اللسانيات الحديثة، ذلك أنها تنظر إلى اللغة باعتبارها جهازا نفعيا يحقق الوظيفة التواصلية استنادا إلى عناصر متشابكة من بنية النص ومن خارجها...

ويرى مؤسس التداولية "جون أوستين" John L. Austin " أن وظيفة اللغة لا تقتصر على نقل وإيصال المعلومات وإرسالها أو التعبير عما يجول في خواطرنا من أفكار، وما يجيش في صدورنا من مشاعر وإظهارها، وإنما يجب أن تضطلع اللغة . وهو أمر موافق لطبيعتها . بتحويل ما بيد من أقوال، في إطار ظروف سياقية، إلى أفعال ذات سمات اجتماعية."¹

وتدرس التداولية علاقات البنية اللغوية بين المتكلم والمخاطب، أي المعاني التي تدور في فلك الحوار ودائرة المحادثات أو التّواصل الكلامي بين أطراف الكلام. ومن هذا المنطلق، يمكن القول إن التداوليات حقل لساني يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق.

¹ Austin J. L, Quand Dire, c'est faire, trad, Gilles Lane, éd du seuil, Paris, 1970 , p 65 .

وقد اشتغلت التداولية بمجموعة من الإشكالات والقضايا التي تعدّ من صميم موضوعها، مثل: ماذا نفعل عندما نتكلم؟ ماذا نقول عندما نتكلم؟ من يتكلم؟ ومن يُكلم المتكلم؟ ولماذا يتكلم على هذا النحو؟ كيف يمكن أن يُخالفَ كلامنا مقاصدنا؟ ما هي أوجه الاستخدام الممكنة للغة؟

ومن هذا المنطلق شرعت كثير من المؤسسات والهيئات العالمية في محاولة تحليل الخطاب المتداول في الشبكة العنكبوتية بغرض تحليل دلالاته الانطباعية من أجل توظيفها في مجالات أخرى اقتصادية، ثقافية وحتى سياسية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المشاكل التي تطرحها شكلنة اللغة تحيل على الفلسفة والمنطق وعلوم اللغة. والرهان هنا، سيخص الطريقة التي سيتطور المعلوماتيون من خلالها أثناء مواجهتهم لمشاكل أكثر تعقيدا. فإما سيتوجهون صوب علوم الأعصاب للإحاطة ببعض صعوبات تحليل اللغة في علاقتها بالذاكرة والاستدلال والتواصل، وإما صوب علوم اللغة، شريطة أن تدمج هذه الأخيرة بشكل أكبر، مسائل المنطق وعلم التراكيب والنحو، ضمن منظور معلوماتي. وإذا ما كان الجميع متفقا حول النمذجة، فإن الاختلافات ستهم العلاقات بين هاته الأخيرة والعمليات المعرفية جميعها، ولذلك فإن البعض يعتقد ان بإمكانه، من خلال استنتاجات أصلية، ابتكار أوضاع مصطنعة مستقلة بهذا القدر او ذاك عن العمليات العرفية.

أما البعض الآخر فيعتقد على العكس أن بإمكان هذا الأخيرة أن تتلاءم مع النمذجة. ومن المرجح أن يقدم إبراز بعض العمليات المعرفية، من منظور نحوي أو دلالي أو تركيب، مؤشرات حول إنجازها العصبي عن طريق التغذية الراجعة (feed back). وإذا ما كانت الإنجازات في الفونولوجيا وعلم التراكيب قد تقدمت، فإنه يتعين تدعيم التعاون بين المعلوماتيين واللسانيين في ميدان أكثر صعوبة وهو ميدان الدلالة. فالتقدم الحاصل على مستوى اصطناع الوضعيات، يثير النقاش من جديد حول قضية الفطري والمكتسب (inné-acquis).

إن التطور المعرفي وقدرات التعلم هي مظاهر أساسية للذكاء الإنساني. ويتعين على أنظمة الذكاء في المستقبل أن تتوفر على آليات تسمح لها ببناء خبرتها الذاتية. وهنا يتبين بأن علوم اللغة والمنطق والفلسفة وعلم النفس تتأخم بشكل مستمر العلوم الهندسية.

أما الصعوبة الثانية فتتمثل في شاعة المجال. وفي هذا الإطار، فإن كل مواد العلوم الإنسانية والاجتماعية تتم تعبئتها، لأن تقنيات التواصل حاضرة اليوم، على كل مستويات المجتمع. وتكمن الصعوبة الثالثة في كون مثل هذا التحليل، يخص مواد تجد صعوبة في التعاون فيما بينها. وتأتي الصعوبة الأخيرة من كون العلوم الاجتماعية ليست علوما حقة مثل علوم الحياة أو العلوم الفيزيائية والهندسية. فمفاهيم الاكتشاف والحقيقة والواقعة والموضوعية لا تكتسي نفس المعنى، كما أن الإجماع بهذا الخصوص، نادرا ما يتحقق. إن هذه المواد التخصصية هي غالبيتها تأويلية (interprétatives) وهي تعمل على تفسير الظواهر الفردية والاجتماعية التي لا تنفصل عن التمثلات وعن أنساق القيم، لكنها نادرا ما تكون توقعية (prédicatives). فهي ترتبط بالفهم (compréhension) أكثر من ارتباطها بالتجريب (expérimentation). ولضمان حظوظ أفضل لعمل جدي، يستحسن إقامة مسافة معينة بين التجربة وموضوع البحث، وبالتالي إدراج مقارنة تاريخية وجغرافية. فهذه المواد التخصصية تسهل عملية المقارنة وتسمح بإبراز دور الدولة وعمل المهنيين وخلق الأسواق ورد الفعل المؤسسات واستقبال الجمهور. وكيفما كان الحال، فإن العلوم الاجتماعية تلعب دورا أساسيا لفهم الطريقة التي تتعامل بها المجتمعات المعاصرة مع المرحلة المقبلة للتكنولوجيات الجديدة: "تليماتيك"، "الكابل" (câble)، أقمار اصطناعية، شبكات متعددة الوسائط. وأصبح من الواضح تماما أن تغير التقنيات الجديدة للتواصل قد قلب شكل العلاقات بين الناس رأسا على عقب.

ثم إن إخضاع المجتمع للمعلوماتية هو بمثابة إعلان عن انبثاق نسق جديد للتواصل. لكن الرهان المطروح يحتم علينا تحديد خصائص أصيلة لهذا "التواصل الجديد". تمكن في إطار اللغة والعقلية الجماعية والبنى الاجتماعية، من النفاذ إلى نسق واقعي متفرد ومستقل، قابل لأن يتعارض مع الأنساق الشفوية والكتابية والجماهيرية السابقة.

وإذا كان "كلود شانون" " Claude Elwood Shannon " يعتبر بأن "المعلومة هي الأساس كمية قابلة للملاحظة وللقياس".¹ فإن الوضع الرقمي للمعلومة، يجعل فكرة الواقع كموضوع قابل للقياس الرياضي.

أما "إدغار موران" " Edgar Morin " فيعتبر من جانبه بأنه من السذاجة تجاهل أن وراء التواصل الاجتماعي عن طريق المعلوماتية، هناك التحكم بواسطة الأجهزة والرابطة المضطربة وغير المعروفة بين التواصل والاستبعاد.

أما آخرون فيعتقدون أن الإنسان يتوفر على أشياء يتم إيصالها دن صياغتها، مثل الانفعالات والإحساسات وكل ما نضعه في الجانب الأيمن من الدماغ وأن لغة الآلة المتميزة بدقتها العالية في قراءة المعطيات الصلبة والثابتة، تجد نفسها عاجزة أمام المعطيات "الرخوة" الأكثر تركيبية والأكثر شمولية والتي كانت الممارسة الشفوية مرتاحة في إطارها.

وقد ظهرت فكرة إخضاع المجتمع لسلطة الإعلام في مرحلة السبعينيات مع "سيمون نورا" (Simon Nora) و "ألان ميلك" (Alain Minc). وقد استخدمنا لفظة "تيليماتيك" (télématique) التي تعني التداخل المتزايد بين الحواسيب ووسائل الاتصال عن بعد. ويقترحان المراهنة على التكنولوجيات الجديدة للإعلام والتواصل، للخروج من الأزمة الاقتصادية والسياسية التي تم نعتها ب "أزمة الحضارة". " فبفضل النمط الكوني الجديد لتنظيم المجتمع سيكون عصب التنظيمات والمجتمع برمته مطالباً بإعادة خلق ساحة عمومية إعلامية موسعة، كي تشمل كل أبعاد الوطن الحديث ولكي تسمح بانطلاق وازدهار المجتمع المدني"².

لكن الانتباه إلى أن الخطر آت من الخارج. لذلك، فإن عدم السماح للشركات الأمريكية بتنظيم بنوك المعطيات التي هي بمثابة "ذاكرة جماعية، هو عبارة عن واجب تقتضيه السيادة ، وهكذا، ستحدث

¹. Claude Shannon, Communication Theory of Secrecy Systems, full publication, history, 1949, p 656.

². Alain Minc et Nora Simon, Rapport sur l'informatisation de la société, le seuil, 1978, p 32.

بالتدرج مجموعة من الانزلاقات. فالتواصل الذي كانت دلالاته مقترنة أساسا بالوسائط، اكتسى مع مرور الزمن، معنى شموليا تتقاطع في إطاره تكنولوجيات متعددة هدفها هيكله "المجتمع الجديد".

إشكالية البحث :

إننا في أبحاث الدلالات نستعمل كلمة اللغة استعمالا واسعا يشمل العلاقات الملفوظة والصور والإيماءات. والواقع أن نوعا من التواصل أصبح يجذب الناس في العصر الحديث وخاصة الشباب منهم، ونجد هذا النوع من التواصل في الأشكال المتنوعة من الصحافة الحديثة إضافة إلى المنتديات التي تتخذ من الشبكة العنكبوتية مسرحا لها. وإذا كان غرض القائمين على هذه المنتديات الاجتماعية - أمثال "ياهو" أو "تويتر" أو "الفيس بوك" - كان في البداية للتسلية والترفيه وتبادل التجارب والخبرات، فإن هذا الخطاب قد أصبح محل اهتمام الكثير من الشركات والمؤسسات العالمية بغرض تحليله من أجل مقاصد اقتصادية، ثقافية وحتى سياسية.

أدى ظهور الانترنت وتحويلها في مطلع تسعينات القرن الماضي إلى وسيلة اتصال جماهيرية إلى إحداث تغيرات بنيوية مهمة في عملية تدفق المعلومات في المجتمعات المعاصرة. وقد ارتبط صعود مصطلحات مثل "المعلوماتية" و "مجتمع المعرفة" و "مجتمع المعلومات" بهذه الوسيلة الجديدة من وسائل الاتصال التي أدخلت الجماهير العريضة - ربما للمرة الأولى في التاريخ الإنساني - مجال إنتاج المعلومات وتوزيعها بعد أن كان دور هذه الجماهير يقتصر على استهلاك المعلومات التي تنتجها نخبة ضيقة من المفكرين والكتاب والإعلاميين. وأدى ظهور وانتشار الانترنت إلى إفساح المجال لدخول أطراف جديدة في المعادلة الإعلامية التي كانت قائمة على سيطرة مصادر محدودة تتمثل في وسائل الاتصال الجماهيري التقليدية كالصحف المطبوعة والإذاعات ومحطات التلفزة الرسمية على إنتاج وتوزيع المعلومات في المجتمع.

وتبدو الانترنت حاليا مسئولة عن تطورات غير محدودة في الأنشطة الإنسانية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية خاصة بعد أن سمحت هذه الوسيلة الجديدة لأي شخص بالوصول

إلى كل أنواع المعلومات المتاحة على الشبكة بالإضافة إلى تحويلها إلى أداة اتصالية سهلة لنقل وتوزيع المعلومات إلى الآخرين، ووفقا لذلك فقد تم قبول الانترنت كوسيلة اتصال جديدة وربما بديلة منذ ما يقارب عقد من الزمن.

ولعل من أهم الظواهر الجديدة التي تشهدها الساحة الإعلامية العربية في فضاء الانترنت، ظاهرة "شبكات التواصل الاجتماعي" التي باتت أيسر وسائل الاتصال الشبكي، لكونها تتيح للفردي العادي متى استطاع استخدام الانترنت أن يكون صحفيا وكاتبا ومنتجا للمعلومات لا مستهلكا لها فحسب، وتمكنه من إيصال صوته إلى الآخرين متجاوزا كل قيود وعوائق استخدام وسائل الإعلام التقليدية.

كثير من المؤسسات والشركات العالمية الكبرى بل والشخصيات المرموقة في ميادين السياسة والفن وغيرها تتطلع وبكثير من الاهتمام إلى كل ما يكتب ويقال عنها وعن منتجاتها الاستهلاكية من خلال المنتديات الموجودة في الشبكة العنكبوتية. وتحاول جاهدة تقصي انطباعات زبائنها عبر سبر آرائهم ومعرفة أماكن تواجدهم. إلا أن الوسائل المستعملة لهذا الغرض لا تفي بالمقصود وتبقى في مجملها كلاسيكية على حد تعبير الحاسوبيين. ولذلك نتطلع من خلال هذا البحث إلى تصور أدوات تمكننا من تحليل ذاك التواصل اللغوي ومحاولة تقصي الانطباعات المختلفة التي يتضمنها هذا الخطاب أو ذاك، وذلك من خلال أدوات حاسوبية متمثلة في البيانات الرقمية الضخمة "Big Data" بالإضافة إلى محركات البحث العملاقة.

ولو أننا وفقنا في استحداث أدوات تغوص في أعماق الدلالات وتتقصى الانطباعات وراء كل ما يكتب أو يقال في المنتديات بين المبحرين لكانت كفيلة بمعرفة رغباتهم وانطباعاتهم الاستهلاكية، خاصة إذا اعتمدنا كأرضية لهذا البحث الأنطولوجيا العربية ووظفناها في الشبكة الدلالية.

إن التحليل الدلالي لمجموع الكلمات والعبارات المتداولة في المنتديات يمكن أن نصنفها إلى أصناف، ثلاثة: صنف إيجابي، وصنف سلبي وآخر حيادي.

ولعل إطلالة سريعة على بعض صفحات الشابكة تجعلنا نلقي الضوء على بعض المؤسسات والهيئات التي تعرض خدماتها في هذا المجال. وتبذل كبريات الشركات مثل "كوكا كولا" و"ماك دونالد"، مثلاً قصارى جهدها للحصول على معطيات دقيقة حول رغبات مستهلكيها وأماكن تواجدهم. ومن أمثلة هذه البرامج الحاسوبية المستعملة اليوم twenz و tweetfeel . إلا أن نتائجها تبقى غير ذات قيمة كبيرة باعتبار أن معظم محركات البحث تشتغل على البحث عن شكل الكلمات مهمة بذلك الدلالة أو المضمون.

ففي نهاية 2005 أجري تحليل لما تداولته المنتديات الاجتماعية، وكان من نتائج هذا التحليل ما يلي:

- قلق جنوبي يتعلق بالظواهر المناخية وما يصاحبها من أعاصير وكوارث طبيعية.
 - تعطش ثقافي غير مسبوق تطلعا لرؤية بعض المنتجات الثقافية والسينمائية مثل فيلم harry .potter
 - ارتفاع مذهل في درجة الحزن واليأس بعد الأحداث المؤلمة التي وقعت في مترو الأنفاق في لندن.
 - لم يعرف الأمريكيون درجة تفاؤل مثل تلك التي عرفوها في شهر نوفمبر عندما انتخب أوباما رئيساً لهم.
- ومع ذلك تبقى هذه البرامج إلى حد ما قليلة الفعالية بالنظر إلى نتائجها، ذلك أنها تغوص في البحث عن شكل المفردات مهمة المكون الدلالي.

ونعتقد أن إعداد برامج تعتمد بالأساس على المكون الدلالي تجعل القائمين على شؤون الهيئات الاقتصادية أو الثقافية وحتى السياسية يعرفون وبدقة انطباعات الشعوب في كل ما يتعلق بهم وما يهم من قريب أو بعيد. ويعطيهم الفرصة السانحة لاستباق الزمن وتفادي الكثير من المشاكل الآجلة الوقوع أو على الأقل المشاكل التنظيمية.

ومن خلال هذا البحث نصبو إلى إقامة خارطة - باستعمال محركات البحث السريعة المتوفرة لدينا- تمثل العلاقات الموجودة بين الأشخاص والأماكن والأغراض المبتغاة، وبالتالي يمكننا الحصول

على مجموعة تطبيقات تستعمل فيما يسمى بالاقتصاد الذكي، أو في البحث وتسيير العلامات المشهورة ودراسة الأسواق وغير ذلك.

أسباب اختيار الموضوع :

أ. الأسباب الموضوعية:

- استمرارية البحث في محاولة ربط الأنطولوجيا العربية بالشبكة الدلالية.
- محاولة توطين اللغة العربية في الحاسوبيات وخاصة في الشبكة العنكبوتية.
- الإسهام في الانتقال بلغة القرآن الكريم إلى مصاف اللغات العالمية بل ومنافستها.
- الإسهام في نقل التطور العلمي إلى اللغة العربية ومحاولة الاستفادة منه.
- توظيف الأدوات التكنولوجية بما فيها محركات البحث والمنتديات في تحريك اقتصاديات الدول العربية.

- استغلال العولمة وتوظيفها توظيفا إيجابيا للدود عن مكتسبات الأمة.
- محاولة فهم سلطة وسائل الإعلام وكيفية استغلالها للتواصل ومواقع التواصل الاجتماعية.

ب. الأسباب الذاتية:

- الميول والتوجهات.
- طبيعة الموضوع التي تتطلب تنوعا معرفيا.
- التعدد اللغوي
- التطلع لإضافة الجديد من قبيل رد الحميل للغة القرآن الكريم.

الأهداف المتوخاة من الموضوع:

- إقامة دراسة تصنيفية للنصوص داخل المنتديات.
- تحليل النصوص الإشهارية ودلالاتها.
- التحليل الدلالي للتواصل اللغوي
- توظيف نتائج هذا التحليل التداولي.
- إيجاد أدوات للتحليل التداولي للنصوص في الشبكة العنكبوتية.
- الوصول إلى انطباعات وآراء المشاركين في المنتديات داخل الشبكة العنكبوتية.
- توظيف الدلالة النحوية للكشف عن ميولاتهم ورغباتهم الاستهلاكية.

6. المنهج المتبع

مما أسلفنا ذكره يتبين لنا أن النقاط المشار إليها في خطوات البحث تتطلب وصفا دقيقا وتحليلا علميا كاملا حتى نستطيع أن نلم بكامل جوانب الموضوع. فميدان اللغة ميدان رحب وواسع، يتطلب الإمام به تبصرا عميقا. ثم إن الولوج إلى حيثيات اللغة وتصنيف مختلف مفاهيمها والربط بين هذه المفاهيم على شكل علاقات منطقية حسب طبيعة المفاهيم، كل هذا يسترعي منا عناية خاصة ومنهجيا علميا دقيقا يعتمد على الملاحظة والفرضية والتجربة فالنتائج. وبالتالي سأعتمد - إن شاء الله - لإنجاز هذه الرسالة المنهج الوصفي التحليلي من أجل الإمام بجميع جوانب الموضوع.

7. خطة البحث:

هذا البحث موسوم: توظيف البعد التداولي للتواصل اللغوي في منتديات الشبكة الدلالية. لأول ملاحظة يبدو أن البحث يتقاسمه ميدانان معرفيان كبيران: الأول لساني بحث والثاني حاسوبي صرف. ولذلك جاء البحث في بابين كبيرين، الأول يتناول كل ما له علاقة باللسانيات، والثاني يشمل الميادين المعرفية المتعلقة بالحاسوبيات.

أما الباب الأول، ونظرا لتشعب روافده المعرفية فإنني قسمته إلى فصول ثلاثة:

الفصل الأول وخصصته لوظائف اللغة وعلم الدلالة، باعتبار أن البحث الدلالي يشكل حلقة مفصلية بين أجزاء عناصر البحث كلها، وأما وظائف اللغة فالغرض منه التطلع على مختلف وظائف اللغة عند "جاكسون" وغيره من اللسانيين.

وأما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان التواصل اللغوي لأن وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل.

وأما الفصل الثالث فأدرجته تحت عنوان "التداولية" لأنها ملتقى لعدة تخصصات، لسانية ونفسية وغيرها... بل أصبحت علما جديدا يدرس ظاهرة التواصل اللغوي.

ولما أتيت إلى كل فصل على حدى، قسمته إلى مباحث، حاولت في كل مبحث أن أحيط بكل النقاط الواجب دراستها.

وأما الباب الثاني فقد أفردته إلى الجانب الحاسوبي من البحث بجميع تفرعاته من لسانيات حاسوبية، وذكاء اصطناعي، وأنظمة خبيرة، وشبكة دلالية ومنتديات التواصل الاجتماعي. ولذلك قسمته إلى فصول ثلاثة كذلك:

الفصل الأول وجاء تحت عنوان: الاقتصاد المعرفي وتناولت فيه الجانب المعلوماتي من الاقتصاد كالمعاملات الرقمية وخاصة اقتصاد المعلومات أو اقتصاد المعرفة.

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان "الشبكة الدلالية" وتناولت فيه الوجه المستقبلي للأنترنيت ودور اللغة العربية فيه بالإضافة إلى الذكاء الاصطناعي ولغات البرمجة.

أما الفصل الثالث فأدرجته تحت عنوان المنتديات الاجتماعية لما لها من دور في جمع المعلومات والبيانات.

وكما هو الحال في الباب الأول، فإنني وضعت تحت ظل فصل مجموعة من المباحث متعلقة بمختلف نقاط البحث الواجب دراستها.

وأردفت عملي بجانب تطبيقي حاولت من خلاله توظيف العلاقات التي تربط النحو العربي بالدلالة من أجل الوصول التحليل البيانات أو المعطيات. وأخذت كأنموذج صيغ المبالغة في اللغة العربية.

وأتملت عملي بخاتمة لخصت فيها الخطوات المتبعة، والله المستعان.

الباب الأول

الفصل الأول

علم الدلالة ووظائف اللغة

مقدمة:

تولي العلوم الإنسانية جميعها أهمية قصوى للغة باعتبارها أهم مظهر من مظاهر السلوك الإنساني وأرقى وسيلة اتصال بين المجتمعات. ومع أن أفكارا كثيرة تداولها القدماء عن اللغة من يونان وعرب وغيرهم، وكذلك الحال بالنسبة لعلماء الاجتماع وعلماء النفس إلا أن العصر الحديث أحدث انفجارا معرفيا في ميدان اللغة نتجت عنه تخصصات جديدة تهتم بالبحث في اللغة وفي مقدمتها علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي. فبينما يهتم علم اللغة الاجتماعي بقضايا العلاقة بين اللغة والمجتمع، كالازدواج اللغوي، ومستويات استخدام اللغة وتعدد اللغات من أجل إيجاد إقامة دولة حديثة، نجد أن علم النفس اللغوي يولي اهتمامه لقضايا تتعلق باللغة والقدرات عند الإنسان كاختساب اللغة، واللغة والفكر، واللغة والمعرفة وغيرها من العمليات العقلية عند المتحدث قبل المتلقي عقب صدور اللغة، وعند المتلقي عقب صدور اللغة.

المبحث الأول: خصائص اللغة واللسانيات:

أولا: خصائص اللغة:

تتشكل اللغة في الأساس من السمات المشتركة في كلام الأفراد ، وما استقر عليه منها في أذهانهم عبر تعاقب الأجيال، وبالتالي فهي موجودة لدى الجماعة الناطقة على شكل آثار في كل دماغ وهي أشبه ما تكون بمعجم، تكون جميع نسخه المتماثلة موزعة بين الأفراد لكنها خارجة عن إرادتهم. وعليه فاللغة في نظر "دي سوسير" واقعة اجتماعية متواجدة في عقول الناس، كما أنها تمثل ذلك المظهر الرسمي للموروث للتراث اللغوي، ذي النظام النحوي المتجانس المستعمل بين كل أفراد المجتمع.

ومن أبرز الخصائص العامة التي تشترك فيها جميع اللغات البشرية ما يأتي:

1. اللغة سمة إنسانية :

بمعنى أنها خاصة بالإنسان وحده دون بقية المخلوقات، وبما يتميز عنها، ذلك أنها مرتبطة بالقدرة العقلية التي تفتقر إليها هذه الأخيرة ، حيث في إمكان الإنسان أن يتصل بالأشياء مثله في ذلك مثل الحيوانات الأخرى بالتذوق أو اللمس أو الشم أو الرؤية.. إلخ ، "لكن الإنسان علاوة على ذلك يمكنه أن يتصل بهذه الأشياء وباللغة، وهو وحده الذي لديه القدرة على تسمية مفاهيمه"¹.

2. اللغة صوتية :

على الرغم من تعدد اللغات وتنوعها ، فكلها تحمل خصائص مشتركة، ومنها أن كل اللغات تتكون من أصوات تصدرها أعضاء النطق الإنسانية. هذه الأصوات- كي تصبح ذات معنى - يجب أن توضع في شكل تتابعي محدد ومعين ، مكونة من كلمات. هذه الكلمات أو مجموعها يجب أن يكون محل اتفاق أعضاء المجموعة اللغوية باعتبارها قيما رمزية تستحضر - ولو على وجه التقريب - في أذهانهم أفكارا معينة"².

3. اللغة نظام :

كل اللغات البشرية عبارة عن نظام "Système" ، يتكون من مستويات ويتشكل من وحدات خاصة ورموز لها معان متعارف عليها ، بما يتواصل الناس ويحصل الإفهام والتفاهم بينهم شريطة الالتزام بهذا النظام وما يتميز به من ضوابط وقواعد، "وهناك فرق بين مجرد الحديث باللغة والحديث بها موحدة الخصائص حسب نظام معين في توارد الكلمات وشكلها ، الأول مرجعه شخصي، والثاني طابعه اجتماعي"³

¹. الدكتوران محمد كامل الناقة وفتح يونس، أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، دار الثقافة والطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص08.

². ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، 1973، ص 41.

³. د. محمد عيد، أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وفي ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ط4، 1989، ص 275.

4. اللغة سلوك مكتسب :

اللغة سلوك مكتسب من المجتمع ، غالبا ما يكون عن طريق الاحتكاك بالأفراد في محادثهم في استعمال الأساليب ومجاراتهم في كلامهم ، فمحاكاة وتقليد الناطقين من حوله وبالتدرج يكتسب لغة الوسط الذي يعيش فيه تماما كما يكتسب التقاليد والعادات. والإنسان لا يمكنه أن يستغني عن اللغة تماما كما لا يمكنه الاستغناء الماء والهواء

5. اللغة نامية :

كل لغات العالم في تغير مستمر وهي بذلك تخضع لأحوال الأفراد وتطور المجتمعات. وتطرق اللغة كذلك كل أبواب النشاط الإنساني المشترك من عقيدة وحرب وسياسة وقانون وترفيه، "كما أنها تعمل كأداة للفكر الراقى، فالخطابة والأدب والشعر والفلسفة والعلوم، كل أولئك لا بد أن تتناول عن طريق اللغة".

وإذا كانت اللغة جزءا لا يتجزأ من النشاط الاجتماعي، فإن أدنى تغير أو تطور في هذا النشاط يؤدي بالضرورة إلى تغير. ولو نسبي كان نسبيا. في اللغة، وهذا التغير في اللغة يبقى محصورا في كلماتها القاموسية وحقولها الدلالية ، كلما احتاجت اللغة إلى التعبير عن مفاهيم ثقافية وتكنولوجية جديدة.

ثانيا: علاقة اللسانيات بالعلوم الأخرى:

إن مادة البحث في اللغة هي النص اللغوي المكتوب أو المنطوق، يتجه الدارس إليه بالدرس مستخدما أحد المناهج المعروفة. وهذه المادة لا يمكن فصلها عن المجتمع الذي نشأت فيه، فهي تعبر عن أفكاره، وهذه الأفكار بدورها وليدة الحياة الاجتماعية بكل ما فيها من علاقات متشابكة، كما أنها معبرة عن فكر الفرد المتكلم ومشاعره، وفكره ووجدانه. وكل تلك الأفكار تتأثر بالحالة النفسية

والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للفرد. من أجل ذلك لم يكن ممكنا فهم النص بمعزل عن هذه العلاقات التي كان لها دخل كبير في وجوده وفي تحليله. "ومن اجل ذلك أيضا كان العالم اللغوي في حاجة إلى الاستعانة بهذه المور في تحليل النص، والوقوف على طريقة أدائه ودلالته، فقد ثبت ان طريقة الأداء تتأثر بالحالة النفسية للفرد حزنا أو فرحا، كما تتأثر بظروفه والموقف الذي وقعت فيه إسرعا أو إبطاء، جدا أو هزلا، كما أن طريقة الأداء تلقي عليه الضوء الذي يكشف عن مدلوله استفهاما أو إثباتا أو نفيا..."¹. ولهذا الأسباب مجتمعة كان على عالم اللغة وهو يدرس النص أن يستعين بكثير من العلوم التي تمكنه من أداء عمله بطريقة أحسن، فتمده بالمعلومات التي تفيده في بحثه من اجل الوصول إلى نتائج في مستوى هذا العلم.

وقد ظلت النظرة إلى اللغة في الماضي على أنها من علوم الأدوات والوسائل، وليست من علوم الغايات، حتى بداية القرن التاسع عشر. وفي رحاب البحث اللغوي الحديث ارتقت اللغة درجة أعلى، وصارت من علوم الغايات، بالإضافة إلى كونها من الوسائل، وصار علم اللغة من أهم العلوم الاجتماعية التي تهتم بالسلوك الإنساني - على تنوعه - أثناء اتصاله بالآخرين.

ويتقاطع علم اللغة بعلوم أخرى كثيرة، يستفيد منها وتنتفع منه. "ولما كانت اللغة نقطة التقاء بين علم اللغة وشتى فروع المعرفة، فقد أدى هذا إلى التعاون المتبادل بينهما، وصارت البحوث اللغوية الحديثة تستعين بالعلوم الأخرى، رغبة في الكشف عن أسرار النظام اللغوي بكل مستوياته، على نحو ما يظهر في استعانة اللغويين بعلم التشريح وعلم الفيزياء في دراسة نطق الصوت اللغوي وصفات الصوت اللغوي الفيزيائية، وأثرها في السمع، ووضوح الصوت اللغوي، والعوامل المؤثرة في ذلك."²

والحقيقة أن كثيرا من التقدم الذي أحرزته الدراسة اللغوية راجع في أساسه إلى الاستعانة بالعلوم الأخرى، كعلم الاجتماع، وعلم الجناس البشرية، وعلم الوراثة، وعلم البيولوجيا، وعلم وظائف

¹. د. محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007، ص 89.

². محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، الطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2001، ص 88.

الأعضاء، وعلم التشريح، وعلم أمراض الكلام، والتاريخ، والجغرافيا والحاسوبيات، والرياضيات، والفيزياء وغيرها... ثم إن كثيرا من المعلومات التي وصلت إليها الدراسات اللغوية إنما مردها إلى علاقتها بالعلوم الأخرى.

ومن جانب آخر فإن فروع المعرفة الأخرى، تستعين باللغة كوسيلة ووعاء لهذه العلوم، فنشأت فروع معرفية حديثة عند نقطة التقاء اللغة بتلك العلوم. وتبقى أهم هذه العلوم ما يلي:

- علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics
- علم اللغة النفسي Psycholinguistics
- علم اللغة الأنثروبولوجي Anthropological Linguistics
- علم اللغة الجغرافي. Geo Linguistics
- علم اللغة السياسي. Institutional Linguistics

" في الوقت الحالي، نحن نواجه ضرورة ملحة من أجل عمل جماعي حاسم ليكون جهدا مثابرا من علماء الفروع المختلفة، فالعلاقة بين اللسانيات والعلوم المتاخمة لها تتقرب اختصارا مكثفا"¹. لقد أقر "ياكوبسون" "Jakobson" بأن اللسانيين - شاءوا أم أبوا - يجب أن يولوا اهتماما أكبر بالكثير من المشكلات الأنثروبولوجية، والاجتماعية والنفسية التي تحتاج حقل اللغة. وسوف يكون ضيق الأفق ذلك اللساني الذي لا يعير اهتماما إذا لم يشترك في كل ما يربط اللسانيات بالأنثروبولوجيا، وتاريخ الثقافة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، والفيزياء، والفيسيولوجيا إذ يصف الأنثروبولوجيون وعلماء النفس اللسانيات بأنها العلم الأكثر تقدما ودقة من بين علوم الإنسان.

¹. رومان ياكوبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 43.

لقد كانت مهمة اللسانيات إثارة الأهمية الأساسية لمفهوم التواصل في العلوم الاجتماعية. فكل سلوك اجتماعي يتضمن توصالا سواء أكان بمعنى صريح أم بمعنى ضمني. وتعتبر اللغة النمط الأكثر تعبيراً عن السلوك التواصلي.

وزيادة القول أن النمو العلمي يتطلب تظافر وتكامل المعرفة الإنسانية. فبالإضافة إلى أن علم اللغة يستمد قوته من عدة علوم أخرى كعلم الفيسيولوجيا والفيزياء والحاسوبيات وغيرها. فالحاسبات الإلكترونية تمدنا بخدمات جلييلة في ميدان الإحصاء مثلاً، كإحصاء المفردات. وقد أصبحت الاستفادة منها أساسية في كل مراحل صناعة المعجم. لكل هذا أصبحت الضرورة ملحة للتعاون بين اللغويين وغيرهم من ذوي التخصصات العلمية الأخرى.

ويرى "رومان ياكبسون" "Roman Jakobson 1896-1982" أن دراسة اللغة تنتمي — بعكس علوم الإنسان الأخرى، وبعض العلوم الطبيعية ذات النشوء الحديث والجديد نسبياً — إلى بضعة فروع معرفية مبكرة¹. كما أن الخبرة العلمية الشاملة للسانيات تحملنا على إثارة التساؤلات التالية: ما المكانة التي تحتلها اللسانيات بين علوم الإنسان؟ وما مستقبل تعاون الفروع المعرفية المتبادلة؟ لقد شكك البعض فيمن تنطوي عليه العلوم الإنسانية من إمكانية فعلية للانسجام مع العلوم الطبيعية انطلاقاً من علاقة القرابة المتينة والمنطقية للمفاهيم الأساسية فيما يتعلق بالعمومية والتعقيد النسبيين. لقد كان "ليفني شتراوس" "C. Levi -Strauss 1908-2009" هو الذي قدم الوصف الأوضح لهذا الموضوع، فهو الذي استهل المحاولة الواعدة لتفسير المجتمع بوصفه كلاً فيما يتعلق بنظرية تواصل معينة. فقد اجتهد من أجل علم متكامل للتواصل يتضمن الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وعلم الاقتصاد، واللسانيات. وإذا اعتبرنا أن اللغة مكونا للثقافة لكونها تكون أساساً لمجموعة الظواهر الثقافية وقاعدتها ووسيطها الكلي، فإنه يبدو واضحاً أن عملية فصل اللسانيات عن بقية مكونات الثقافة، وتعريف اللسانيات من خلالها أسهل من العكس. وهنالك سمات مميزة معينة ترتبط بهذا

¹ رومان ياكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص 46.

الموقع الخاص باللغة فيما يتعلق بالثقافة، لا سيما اكتساب الأطفال المبكر للغة. "والحقيقة أنه لا اللغات العالمية القديمة، ولا اللغات المعاصرة المعروفة من طرف عالم اللسانيات تبدي أي اختلاف في بنيتها الفنونولوجية والقواعدية بين المراحل الأكثر بدائية والمراحل الأكثر تقدماً. كما أن دور اللغة الملازم المباشر في جميع التعاملات المالية، وقدرة المال على الترجمة إلى رسائل لفظية خالصة مثل الصكوك والسندات"¹.

ويعتقد "ياكوبسن" أن الدراسات التي تطورت إلى الآن تحت أصناف متداخلة كاللسانيات الاجتماعية، واللسانيات الأنثروبولوجية، وغيرها...، تمثل رد فعل واضح ضد مخلفات معينة من النزعة السوسيرية (نسبة إلى "دي سوسير" "Ferdinand De Saussure 1857-1913") التي ما تزال شائعة، غرضها تقليص مهمات البحث اللساني وأهدافه. ومع ذلك فإن جميع هذه التقييدات في الأهداف والأغراض التي يضعها لساني معين، أو مجموعة من اللسانيين على برنامجهم البحثي الخاص، ينبغي ألا توصف بأنها ضارة.²

ويرى (روبير مارتن) "Robert Martin" في كتابه "comprendre la linguistique" " أن اللسانيات هي قبل كل شيء مجال علمي اختباري، فهي تتناول -عادة الألسن واللغة- ووجودها سابق لدراستها، فلا شبه من هذه الجهة بينها وبين الرياضيات أو المنطق: فلغة الرياضيات لا توجد من دون الرياضي أو المنطقي... وليس للغة حاجة إلى اللساني لتوجد؛ وهكذا؛ غاية اللساني الأولى هي (وصف) ما يعرضه الواقع عليه."³

¹. المرجع السابق، ص 66.

². المرجع نفسه، ص 67.

³. روبر مارتن، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة د. عبد القادر المهيري، مركز الدراسات العربية، بيروت، 2007، ص 23.

المبحث الثاني: أهمية البحث الدلالي

أولاً: علم الدلالة

1. تعريف علم الدلالة

تعددت تعريفات علم الدلالة بين الباحثين، فقد أحصى لها الدارسون ستة عشر تعريفاً، إلا أن القاسم المشترك بينها هو أن علم الدلالة هو العلم الذي يدرس المعنى. وقد أطلق على هذا العلم أسماء عديدة، مثل: علم الدلالة semantics وعلم المعنى meaning وقد أطلق بعضهم عليه اسم (سيمانتيك)، أخذنا من الكلمة الإنجليزية semantics .

ويعتبر علم الدلالة أحدث فروع اللسانيات الحديثة، ويعنى -كما سبق- بدراسة معاني الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية. وأول ما ظهر الاهتمام بالدراسات الدلالية كان في أوروبا الغربية من خلال المحاضرات التي كان يلقيها "ريسنيغ" "c. reisig" حوالي 1825. أما أول من استعمل المصطلح فيعود للساني الفرنسي "بريال" "Michel Bréal" وذلك في مقال صدر عام 1883، ثم نشر كتاباً آخر في سنة 1897 بعنوان "محاولة في علم الدلالة" "Essai de sémantique" وفيه فصل في مسائل المعنى.

أما الدكتور عاطف فضل فيعرفه بقوله: "علم الدلالة هو العلم الذي يبحث في معاني الكلمات والجمل، وله اسم آخر شائع هو "علم المعنى". والمعنى هو الأساس الذي يقوم عليه التفاهم بين أفراد المجتمع. ومن ثم فإن علم المعنى هو المشكلة في الدراسات اللسانية، لأن المستويات اللسانية تعد هياكل أو قوالب جامدة إذا لم تتجسد بالمعنى، حتى أنه قيل بأن المهمة الأساسية للسانيات الوصفية هي توضيح المعنى."¹.

¹. د. عاطف فضل، مقدمة في اللسانيات للطالب الجامعي، دار الرازي، عمان، 2005، ص102.

إذن فكل شيء يقوم بدور الرمز أو العلاقة يكون علم الدلالة موضوعاً له. وهذه العلاقة أو الرمز قد تكون حركة يد، أو إشارة بالعين أو غير ذلك... فحمرته الوجه دلالة على الخجل، والتصفيق دلالة على الاستحسان، ورسم فتاة مغمضة العينين ترمز إلى العدالة.

وإذا التفتنا قليلاً إلى الوراء لنلقي لمحة تاريخية على هذا العلم لقلنا بأن دراسة المعنى في اللغة تاريخياً تعود إلى بداية الوعي اللغوي عند الإنسان، وقد تجلّى ذلك في الاهتمام الذي أولته لعلاقة اللفظ بالمعنى، وقد ارتبط ذلك بمحاولة فهم طبيعة المفردات والجمل من ناحية وفهم طبيعة المعنى من ناحية أخرى. وإذا توغلنا في التاريخ وجدنا أن علماء اللغة الهنود قد درسوا مختلف الأصناف التي تشكل عالم الموجودات، وقسموا دلالات الكلمات بناء على ذلك إلى أربعة أقسام:

أ. قسم يدل على مدلول عام أو شامل مثل لفظ: رجل.

ب. قسم يدل على كيفية مثل كلمة: طويل.

ج. قسم يدل على حدث مثل الفعل: جاء.

د. قسم يدل على ذات مثل الاسم: محمد.¹

"كما كان لليونان أثرهم البين في بلورة مفاهيم لها صلة وثيقة بعلم الدلالة، فلقد حاور أفلاطون أستاذه سقراط حول موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه، وكان أفلاطون يميل إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال ومدلوله، أما أرسطو فكان يقول باصطلاحية العلاقة، وذهب إلى أن قسم الكلام إلى كلام خارجي وكلام داخلي في النفس، فضلاً على تمييزه بين الصوت والمعنى معتبراً المعنى متطابقاً مع التصور الذي يحمله العقل عنه."²

ويعتقد البعض أن الفكر الدلالي عند العرب إنما هو نتيجة للتلاقح الموجود عندهم بين العلوم النظرية والعلوم اللغوية. فقد ذكر السيوطي في (المزهر) مثلاً الكثير من المسائل الدلالية كالحديث عن نشأة

¹ أحمد مختار، عمر علم الدلالة، ص 26

² منقول عبد الجليل، علم الدلالة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001، ص 15.

اللغة ودلالة ألفاظها، كما درس غيره العلاقة بين اللفظ والمعنى من حيث الأصوات والأبنية الصرفية، كما تناولوا أقسام الكلام وأنواع كل قسم، ووظيفة كل نوع، ما إلى ذلك من ميادين علم النحو. كما تضمنت بحوثهم أفكارا سبقت الدراسات بعضها الدراسات الحديثة كمعنى المعنى، والسياق والمقام، وأثر المشاعر النفسية في تغيير المعنى.

وقد مر "علم الدلالة" أثناء تطوره التاريخي بمراحل مختلفة في القديم والحديث. ففي القديم نجد أن الفلاسفة اليونان قد تعرضوا في مناقشاتهم وبحوثهم إلى موضوعات تصنف في صلب علم الدلالة. ثم نجد أن أرسطو قد تحدث عن الفرق بين الصوت والمعنى، وميز بين:

- الأشياء في العالم الخارجي
- التصورات والمعاني
- الأصوات والرموز والكلمات

أما أفلاطون فقد تعرض إلى الموضوع في محاوراته مع أستاذه سقراط حول الجدل القائم في العلاقة بين اللفظ ومدلوله. ويرى أفلاطون أن تطور الألفاظ جعل من الصعب جدا أن نتبين بوضوح تلك العلاقة الطبيعية التي كانت تربط بينها وبين مدلولاتها وأن نجد لها تفسيراً وتعليلاً.

أما الهنود فقد انتبهوا إلى مسألة السياق في إيضاح المعنى ودور المجاز في تغييره.

وبعودتنا إلى اللغويين، سنجد أن الدلالة كانت تشكل قمة اهتماماتهم؛ فمعاني الغريب وإنتاج المعاجم، وضبط المصحف بالشكل والنقط يعد عملاً دلالياً، لأن تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة، ومن ثم تغيير المعنى.

أما علماء المعاجم فيعرفونه بأنه العلم الذي يدرس المعنى المعجمي "lexical meaning" أي أن علماء المعاجم ينظرون إلى علم الدلالة على أنه يختص بدراسة المفردات ودلالاتها دون النظريات المختلفة التي قد يتطرق إليها علماء اللغة عند دراستهم للدلالة، ويؤكد ذلك ما يشعر به بعض علماء المعاجم اليوم من وجود هوة عميقة تفصل بين النظريات الدلالية الحديثة، والدراسة المعجمية

وتطبيقاتها التي ما زالت حتى الآن تعتمد على تقاليد راسخة، ولكن هذا الشعور لا يحول دون اعترافهم بأهمية الاطلاع على النظريات الحديثة في علم الدلالة، لمعرفة طبيعة الدلالة اللغوية وماهيتها وجهاتها المختلفة، والعلاقات الدلالية التي تربط المفردات بعضها ببعض، إلا أنهم في الوقت نفسه يترددون كثيرا في الاعتماد على النظريات غير المؤكدة - كما يقولون - للدراسات الحديثة والمعاصرة التي تدور حول طبيعة الدلالة، لأنهم يرون ان هذه النظريات أوسع من الحدود التي ينبغي على المعجميين العمل فيها. اما علم المفردات " vocabulary " فهو علم يدرس المفردات بما لها من صلة بمجالات محددة مثل:

- أ. حصيلة المفردات التي يتصرف فيها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر.
 - ب. مقدار الثروة اللفظية في لغة أو لهجة معينة.
 - ت. مجموعة المصطلحات التي تستخدم في دائرة علمية او فنية محددة.
 - ث. إحصاء ومقارنتها بالمفردات المستعملة في عدة لغات أو لهجات طبقا لحاجة المتكلمين بها.
 - ج. أنواع المعاجم المستعملة في كل لغة وطرق تصنيفها.
 - ح. حصر وإحصاء الألفاظ المقترضة من اللغات الأخرى داخل لغة معينة.
- وغالبا ما يستخدم هذا العلم "إحصاء الكلمات" " word count " للوصول إلى نتائج أكثر دقة، غير أن الكلمات تختلف أثناء الاستعمال من حيث النشاط أو الركود، ولذلك يفرق هذا العلم بين نوعين من المفردات هما:

أ. "المفردات النشطة" " Active Vocabulary "

ب. "المفردات الخاملة" " Passive Vocabulary "

2. أهمية علم الدلالة

"يمكن فهم الطبيعة الحقيقية للغة من خلال فهم المعنى، ويلعب المعنى دورا كبيرا في كل مستويات التحليل اللغوي، كما يلعب دورا كبيرا في تطبيقات كثيرة لعلم اللغة مثل طرق الاتصال، وتعليم اللغة، والترجمة، ودراسة اكتساب اللغة.¹ وقد نال علم الدلالة " semantics " اهتماما كبيرا من العلماء والباحثين في القديم والحديث، ليس أهل اللغة فقط، بل في فروع العلوم الانسانية الأخرى، مثل علم النفس والفلسفة، وعلم الاجتماع وغيرها، وإن اختلفت زوايا الاهتمام. فالألفاظ لاتصالها الوثيق بالتفكير كانت -وما زالت- مجالاً مهما للدراسة الفلسفية، ولصلتها بالعقل والعاطفة يتناولها أصحاب علم النفس ولكنها -قبل هذا وذاك - عنصر من عناصر اللغة، ولذا يعرض لها اللغويون أيضا في بحوثهم، ويتناولونها من زوايتهم الخاصة.

"وليس بمستغرب أن ينال علم المعنى هذا القدر من الاهتمام، فدلالة الألفاظ أمر يتصل بجوانب حياتنا المتعددة، والتواصل بمستوياته المختلفة بين الأفراد والجماعات أو الدول مرهون بتحديد دلالة الألفاظ، وأي خلل في تحديد دلالة الألفاظ المستعملة يؤدي إلى خلل في التواصل بينهم، والذي قد ينتج عنه مشكلات لها عواقب سيئة.²"

كما يجب الإشارة إلى ان العالم اللساني الأمريكي "بلومفيلد" Leonard Bloomfield 1887- 1949 " امتنع عن دراسة الدلالة لأنها ليست مهمة خارجة عن اللسانيات فحسب، بل فوق طاقتها أيضا، ولكن "فيرث" " John Rupert Firth 1890- 1960 " أراد ان يجعل من الدلالة علما قائما بذاته، وذهب إلى القول بأن: "دراسة الدلالة هي المهمة الرئيسية للسانيات الوصفية."³ و إذا كان اللسانيون الأمريكيون في عهد "بلومفيلد" قد اهتموا بدراسة اللغات من الناحية المعجمية، والصوتية، والنحوية،

¹. د. أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5 القاهرة، 1998، ص 5.

². د.كمال بشر، دراسات في علم اللغة العام، ط6، دار المعارف، 1980، ص3.

³. أ. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط3 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 177.

فإنهم لم يولوا اهتماما إلى دراسة المعنى نظرا لما يحيط بالموضوع -حسبهم- من مزالق قد تؤدي إلى الابتعاد عن الدراسة العلمية. وربما كان ذلك سببا في تعثر الدراسات الدلالية. ولم تبدأ الدراسات الدلالية بداية حقيقية إلا في الستينيات بعد رواج القواعد التوليدية التحويلية، وعلم النفس اللغوي، ونظرية الاتصال، ونظرية تحليل المكونات.

ومما لا شك فيه أن الاعتناء بدراسة الدلالة كان حتمية باعتبار أن الظواهر اللغوية مشتبك بعضها ببعض، إذ لا يمكننا دراسة اللغة من الناحية الصوتية والنحوية فقط.

وأما البحث الدلالي فيتناول في هذا المستوى دراسة المعنى بكل جوانبه:

(المعنى الصوتي وما يتصل به من نبر وتنغيم، والمعنى الصرفي، والمعنى النحوي، والمعنى المعجمي، والمعنى السياقي)، وذلك لأن المعنى اللغوي هو حصيلة هذه المستويات كلها. كما يهتم البحث الدلالي بالإضافة إلى دراسة المعنى من جوانبه المختلفة، القضايا التالية: تغير المعنى، وأسباب هذا التغير، ومظاهره، ودراسة العلاقات الدلالية بين الألفاظ، وصناعة المعجمات على تنوعها.

ثانيا: حدود المعنى اللغوي

1. الصلة بين اللفظ والمعنى

"الألفاظ أجساد لباسها المعنى، وثمة صلة بين اللفظ والمعنى، وقد راح القدماء يبحثون أصل هذه الصلة"¹، "ولعلمهم ورثوا ذلك عن فلاسفة اليونان."²

غير أن الدرس اللغوي الحديث لا يعنيه بحث هذه الصلة القائمة بين الألفاظ ومدلولاتها؛ وذلك لأن بحث هذه الصلة خارج حدود المنهج العلمي، فاللغة علم، والعلم حقائق يستدل عليها بالشواهد

¹. جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج2، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، 1986، ص48.

². إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط5، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1984، ص26.

الواضحة والأدلة الصحيحة، أما البحث في أمور هي في حكم الغيب فليس من مجال البحث العلمي.

2. معنى المعنى

كما سبق أن ذكرنا فإن علم الدلالة يعنى بدراسة المعنى، ولكن ما معنى المعنى؟ لقد طُرح هذا السؤال مرارا وتكرارا، وكانت الأجوبة في كل مرة مختلفة تماما. وهذا ما أدى بالكثير من الباحثين إلى التشكيك في إمكانية دراسة المعنى دراسة علمية. ولعل أشهر كتاب تناول هذه المسألة بالتفصيل هو: "معنى المعنى" "The Meaning of Meaning" الذي ظهر سنة 1923 لصاحبيه "أوغدن وريتشاردز" "Charles Koy Ogden, Ivor Armstrong Richard" وقد أوردا في كتابيهما اثنين وعشرين تعريفا لكلمة "معنى" نذكر منها:

1. المفردات التي تقرن بمفردة ما في القاموس.

2. خاصية جوهريّة.

3. المعنى الإضافي الذي توحيه اللفظة علاوة على معناها الأصلي.

4. موقع أي شيء في نظام ما.

5. ذلك الشيء الذي يعتقد مستعمل الرمز أنه يقصده.

3. حدود المعنى اللغوي

يدرس علم اللغة الحديث "المعنى" من خلال دراسته لمجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للحدث المدروس، وهذه الخصائص لا تدرس دفعة واحدة، بل لا بد من تناولها على مراحل (مستويات) مختلفة: صوتية، صرفية، نحوية، معجمية، سياقية)، وذلك لأن المعنى اللغوي هو حصيلة كل هذه

المستويات اللغوية. فالهدف من النص هو إظهار معنى معين، ولعل أهم العناصر المؤثرة في تحديد المعنى هي:

1. المعنى الوظيفي: (الصوتي، الصرفي، النحوي).

2. المعنى المعجمي.

3. المعنى السياقي.

وهذا التقسيم للمعنى لا وجود له على المسرح اللغوي أثناء استعمال المتكلم للغة، فكل جوانب المعنى تأتي مجتمعة أثناء الكلام، غاية ما في الأمر أن هذا التقسيم دراسي، يساعد الباحث على تحليل المعنى ودراسته، وإلا "فالمعنى كل مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية والنحوية، والقاموسية، والوظيفية الدلالية لسياق الحال".¹

4. المعنى الوظيفي:

أ. الدلالة الصوتية. يعتمد تحديد المعنى على خواص صوتية معينة، سواء أكان ذلك

على مستوى المعجم أو السيمانتيك "Semantics".

ومثال المعنى الوظيفي المستفاد من الدلالة الصوتية، هو التمييز بين الكلمات، حيث إن كل تغير صوتي يتبعه تغير دلالي، سواء أكان هذا التغير الدلالي مباشرا مثل المعنى المعجمي في مثل: (قال) حين نغير الوحدة الصوتية "phonème" "ق" لتصبح الكلمة "نال"، والفرق واضح بين معنى الكلمتين على مستوى المعجم.

¹. د. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ص 340.

وقد يكون للتغير الصوتي أثر في التغير الدلالي، ولكن بصورة غير مباشرة، فحين تؤثر الوحدات الصوتية في الوحدات الصرفية، فإن ذلك يؤثر في المعنى، مثل الهمزة: تحول الفعل اللازم إلى فعل متعد مثل: سجد، أسجد، فهم، أفهم، وهنا تغيرت الصيغة الصرفية، مما أدى إلى تغير الدلالة.

كذلك التنغيم " intonation " له دور هام في التفريق بين أنماط الجمل، فيمكن أن نفرق بين الجملة الاستفهامية والإثباتية بواسطة التنغيم، ومثل ذلك: قول الله تعالى في سورة يوسف بعد فقد صواع الملك ﴿٧٤﴾ قَالَوا جَزَأُوهُم مِّن وُجْدٍ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَأُوهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾¹.
 "فلا شك أن تنغيم جملة: "قالوا جزاؤه" بنغمة الاستفهام، وجملة: "من وجد في رحله فهو جزاؤه" بنغمة التقرير، سيقرب معنى الآية إلى الأذهان، ويكشف عن مضمونها"².

ب. الدلالة الصرفية

للوحدة الصرفية " morphème " تأثير مباشر على المعنى، فمثلاً تختلف دلالة صيغة اسم الفاعل على دلالة اسم المفعول، وكلاهما يختلف عن دلالة صيغة المبالغة: "قاتل، مقتول، قتال"، هذا على مستوى المعجم.

كذلك تؤثر الصيغ الصرفية على التركيب، مما يؤثر على المعاني النحوية، وبالتالي على المعنى العام، مثل اكتفاء الفعل اللازم بفاعله، والفرق واضح في المعنى بين الفعل اللازم والمتعدي في مثل: "قام محمد، وأقام محمد ندوة".

والصيغ الصرفية كثيرة ومتنوعة، وليس هذا مجال حصرها.

ج. الدلالة النحوية

¹. القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 75.

². د. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1992، ص12.

ترتبط الدلالة النحوية بتغير مواقع الكلمات في الجملة، فتغير الوظيفة النحوية يتبعه تغير في المعنى، فجملة: "الرجل يعاتب المرأة"، تختلف في المعنى عن: "المرأة تعاتب الرجل"، وهذا التغير في المعنى ناشئ عن تغير مواقع الكلمات؛ أي تغير الوظيفة النحوية.

"والمعنى الوظيفي بصوره الثلاث المتقدمة (صوتية، صرفية، نحوية) هو معنى الجزء التحليلي الذي يخضع للضبط والتفعيد، فالأصوات تخضع لتفعيد سلوكها إدغاما وإخفاء وإقلابا... إلخ، والعناصر الصرفية تخضع لقواعد الصرف، كما تخضع العناصر النحوية لقواعد النحو".¹

د. الدلالة التفسيرية:

في مقال صدر سنة 1963 لكل من (كاثر وفودور "Katz and Fodor" بعنوان: "بنية النظرية الدلالية"² متسائلين بذلك عن كيفية تعامل القواعد التحويلية مع الظواهر الدلالية، وكان ذلك بعد ظهور كتاب "تشومسكس" "Noam Chomsky" "البنى التركيبية" سنة 1957. وفي هذا المقال أثار صاحبه مكانة الدلالة في النظرية التشومسكية التي، حسبهما، أهملت الدلالة تماما. ثم تطورت الرؤى بعد ذلك ولكن فحواها بقي يدور حول "عزو التمثيلات الدلالية إلى الجمل مثل عزو البنى التركيبية، وأن ربط أي جملة بمعنى ما لا يكون بطريقة اعتباطية، وإنما يكون بواسطة البنى التركيبية والمضمون المعجمي للجملة".³

هـ. الدلالة التوليدية:

على غرار الدلالة التفسيرية، فإن الدلالة التوليدية قد تطورت في أواخر الستينيات عن النظرية التشومسكية الكلاسيكية، ثم سرعان ما اتخذت اتجاهها مغايرا. وقد اهتم أصحاب هذه النظرية من

¹ د. تمام حسان، اللغة العربية (معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص 354.

² J.J. Katz and Fodor, The Structure of a Semantic Theory, mass press, Cambridge, 1963, p 210.

³ J.D. Fodor, Semantics : Theories of Meaning in Generative Grammar, T. C. Company, New York, 1977, p 64.

أمثال "روس" "John R Ross" اهتماما شديدا بتعميق البنية العميقة حتى تقترب من التمثيل الدلالي للجملة، وبتقليص القواعد الدلالية التفسيرية، وربطها بالتمثيلات الدلالية.

وبهذه التعديلات الجديدة، باتت الدلالة التوليدية تعنى بمجالين مختلفين، ولكنهما مرتبطان: أحدهما يتناول البنية اللغوية، والآخر يتناول الاستعمال اللغوي. وفي دراسة البنية اللغوية، فإن المعنى السطحي للجملة يمكن تحديده من خلال بنيته المنطقية التحتية. وفي دراسة الاستعمال اللغوي الذي يسمى (التداولية) "pragmatique"، والذي سنعود إليه في حينه، فإن المعنى المنقول للجملة يفسر في حدود المظاهر المتصلة بالسياق. وهذا ما نستلهمه من الحوار التالي:

الشخص الأول: ماذا تقول في فنجان من القهوة؟

الشخص الثاني: ما أقوله فيه يتوقف على ما يقوله لي.

وبالتالي يكون الشخص الثاني قد أجاب عن السؤال من خلال الفهم السطحي، بينما المعنى المنقول في السياق العادي هو أن الشخص الأول أراد ان يدعو الثاني إلى شرب كأس من القهوة.

5. المعنى المعجمي

هو المعنى الذي تدل عليه الكلمات حال انفرادها، وهذا المعنى لا يخضع للضبط ولا للتقعيد - كما يخضع المعنى الوظيفي - وإنما هو معنى يحدده العرف العام وتظهر هنا العلاقة العرفية التي اصطلح عليها المجتمع بين الكلمة المفردة وبين معناها، وليس هناك من سبب طبيعي أو ذهني منطقي للعلاقة بين الكلمة ومعناها، فهي علاقة اعتباطية، وهذا المعنى يتصف بالتعدد والتنوع والاحتمال، حيث إن الكلمة لا يمكن أن يتحدد معناها مادامت خارج السياق، فإذا انتظمت الكلمة في سياق لغوي تحدد معناها.

6. المعنى السياقي

المعنى السياقي معنى واحد ومحدد - على خلاف المعنى المعجمي فهو احتمالي ومتعدد- ويطلق عليه المعنى الاجتماعي، أو المعنى المقامي، وهو معنى يستنبط من القرائن اللغوية (السياق اللغوي)، مع مراعاة الظروف الخارجية والأحوال التي تتصل بها (السياق غير اللغوي)، وسيأتي تفصيل هذا المعنى في عرض النظرية السياقية.

ثالثاً: العلاقات الدلالية داخل المجال:

لقد اهتم أصحاب نظرية المجال الدلالي بالعلاقات الدلالية داخل المجال الدلالي حيث إن معنى الكلمة عندهم هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في المجال الدلالي نفسه، وأهم هذه العلاقات.

1. الترادف synonymy

وعلاقة الترادف من أكثر العلاقات الدلالية وقوعاً بين ألفاظ المجال الدلالي؛ نظراً لتشابه وتقارب كثير من الملامح الدلالية بين ألفاظ المجال الواحد، مما يتيح لأفراد الجماعة اللغوية استخدام ألفاظ المجال الدلالي كمترادفات يحل بعضها مكان بعض. وقد عرفه القدماء بأنه "الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار واحد".¹ وقد اضطرت آراء القدماء في الترادف؛ ففريق يؤمن بوجود الترادف، لكنه ترادف غير تام، بمعنى التقارب في المعنى ومن هؤلاء (ابن فارس ت 395هـ)، وكذلك (أبو سليمان الخطابي ت 388) الذي يرى أن في الكلام ألفاظاً متقاربة المعنى، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد المخاطب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، والنعمة والصفة، وكقولنا: اقعد واجلس، وبلى ونعم، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصفات.

¹ جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج2، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، 1986، ص 403.

وأما الفريق الثاني فإنه ينكر وجود الترادف في اللغة إنكاراً تاماً، ومن هؤلاء (أبو علي الفارسي الذي أنكر على ابن خلوويه أن للسيف خمسين اسماً. "ويعتقد أن للسيف اسماً واحداً، وأما بقية الأسماء فهي صفات للسيف."¹

وأما المحدثون فقد ميزوا بين الترادف التام (الكامل)، والترادف بمعنى التقارب في المعنى أو أشباه الترادف.

أ. الترادف التام الكامل " complete synonymy "

معظم اللغويين المحدثين ينكرون هذا النوع من الترادف، حيث "إن الثروة اللفظية للغة ما تتميز في إطار الفروق الأكثر خصوصية."² ويرد "ج. ليونز" Lyons "أن هناك فروقاً دقيقة بين الكلمات التي يعتقد أن بينها ترادفاً تاماً، ولكن قد يصعب ملاحظة هذه الاختلافات، إذ إن معلومات الفرد منا عن اللغة بعيدة عن مجال الفحص الدقيق."³

ب. الترادف بمعنى التقارب في المعنى " Near synonymy "

وذلك بأن يتفق اللفظان في كثير من الملامح الدلالية، لكن يختلف كل لفظ منها عن الآخر في ملامح دلالي مهم أو أكثر، وهذا النوع من الترادف هو الشائع في اللغة، ويوجد داخل ألفاظ المجال الدلالي، حيث تشترك ألفاظ المجال في كثير من الملامح الدلالية التي تجمعها تحت معنى واحد، لكن تبقى فروق دقيقة أو ملامح دلالية خاصة ومهمة تميز كل كلمة وأخرى داخل المجال الدلالي.

ويرجع الاختلاف في مسألة الترادف إلى ثلاثة أسباب:

- عدم الاتفاق بين الدارسين على المقصود بالترادف.

¹. المرجع نفسه، ص 408.

². J. Lyons, Semantics, University press, Cambridge, 1977, p 262.

³. J. Lyons, Language and linguistics, University press, Cambridge, 1977. P 150.

- اختلاف المناهج بين الدارسين والباحثين في معالجة الترادف.
- اختلاف المناهج في تحديد معاني المفردات وتعريفها.

2. التضاد: Antonymy

هو "نوع من العلاقة بين المعاني، بل وربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولا سيما بين الألوان؛ فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني."¹

ويقصد بالتضاد عند القدامى من الدارسين العرب أن يطلق اللفظ على المعنى وضده، ومن أمثلة التضاد بهذا المفهوم: دلالة (الجون) على الأبيض والأسود، ودلالة (المولى) على السيد والعبد.

3. الاشتمال "التعميم" Hyponymy

"وذلك عندما تكون دلالة الكلمة خاصة ويستعملها المتكلمون باللغة في الدلالة على معنى عام، مثال ذلك في العربية الفصحى كلمة "البأس" التي تدل على الحرب خاصة، ولكن الاستعمال بعد ذلك وسع المعنى وعممه فأصبح يدل على كل شدة."²

ولا تقل هذه العلاقة أهمية عن علاقة الترادف والتضاد، "وهي نوع من العلاقة بين الكلمات إذ يمكن أن نطلق عليها علاقة (تضمن)."³ وعلاقة الاشتمال تتميز عن علاقة الترادف بخاصية واحدة، "وهي أن علاقة التضمن هي الاشتمال من طرف واحد، على خلاف علاقة التضمن في الترادف

¹. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، القاهرة، 1962، ص 109.

². د. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 257.

³. J. Lyons, Semantics, university press, Cambridge, 1977, p 291.

فهي من الجانبين.¹ ومثاله العلاقة بين ألفاظ المجال الدلالي واللفظة العامة التي تجمع المجال كله لعموم معناها، فمثلا هناك علاقة تضمن بين (دعا وقال)، حيث إن الدعاء يتضمن معنى القول:
قال: اللفظ العام.

دعا: اللفظ الفرعي.

4. علاقة التخصيص

"وذلك عندما تكون دلالة اللفظ عامة مثل "الصوم"، فمعناه العام "المنع" مطلقا سواء عن الطعام أو الشراب أو غيره، ولكن الشريعة الإسلامية خصصت هذا المعنى بالصيام في شهر رمضان عن الطعام

والشراب من الفجر حتى غروب الشمس"². ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾³.

ومثل ذلك علاقة اليد بالجسم، وهذه العلاقة نسبية، فاليد جزء والجسم كل بالنسبة لليد، بينما الأصابع جزء من اليد، واليد كل من بالنسبة للأصابع.

5. التباين

وهو "عدم التضمن من الطرفين"، وألفاظ القرابة توضح هذه العلاقة، نحو: "أب، أخ، عم، خال...إلخ. فمعاني هذه الألفاظ لا يتضمن أي منها لفظا آخر. وعلى هذا فالعلاقة بين هذه الألفاظ علاقة تباين.

¹. د. أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1992، ص 99.

². د. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 252.

³. سورة مريم، 26.

6. نقل المعنى أو تحويله:

"ويحدث ذلك بسبب من العلاقات المجازية أو المشابهة، وينشأ ذلك خلال الاستعمال في عصر واحد أو بالمقارنة بين عصر وعصر في الاستعمال، مثال ذلك كلمة "المذيع" في العربية القديمة تدل على: "الرجل لا يكتف سرًا" ونحن الآن نستعملها للدلالة على "الراديو" والعلاقة بينهما هي المشابهة، وكذلك كلمة "القطار" التي كانت تدل قديماً على الإبل الواحد منها يسير خلف الآخر، وهي الآن تطلق على قطار السكة الحديدية للتشابه بين قطار الإبل وعربات القطار."¹

ثالثاً: علاقة علم الدلالة بالنحو:

إن هناك اتجاهًا واضحًا اليوم ينظر إلى العمل الأدبي على أنه نص، بحيث تصبح الجملة هي وحدة هذا النص، وأياً ما كان فإن كل عنصر في بيئة النص يمثل جزءاً في بناء دلالاته، سواء أكان عنصراً صوتياً أم صرفياً أم نحوياً. ولما كان "النحو" في مفهومه العام هو مجموعة القواعد المتنوعة التي تحكم بنية نص ما، فإنه يجوز لنا أن نطلق على هذه المجموعة كلها مصطلح "النحو". والتفسير الدلالي لأي نص يقوم على معطيات "مفرداته" المؤلفة في "نظام" لغته، وهذا التأليف في الوقت نفسه يكون سياقاً اللغوي الخاص به، وبينه بروابطه وعلاقاته، ويحدد أبعاده النصية.

لقد تناول بعض الباحثين قديماً وحديثاً أهمية "النحو" في تفسير دلالة النص وبينوا ضرورة الاعتماد عليه في كشف خصائص الأساليب. يقول "رينيه ويلك" " René Wellek 1903-1995": "إن

¹. د. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 258

دارس الأسلوب لا يمكنه التقدم في حقله ما لم يلم بالنحو بكل فروعه: بالصوتيات، وعام الأصوات الدالة، بالصرف، والتركيب، وعلم المعاجم، وعلم المعاني.¹

يقول "رومان جاكبسون" "إن القوة الشعرية للنحو قد لاحظها من قبل كل من اللغويين والشعراء."² ويؤكد "جاكبسون": "إن النحو هو الركيزة التي يركز عليها المعنى."³

لقد خصص "جاكبسون" فصولاً من كتابه "مقالات في علم اللغة العام" لدور قواعد النحو في بنية النص الشعري، سواء توافقت الجملة الشعرية مع القواعد أم انحرفت عنها، ويرى بأنه إذا تخطت الجملة القواعد النحوية، فإنها تتحول إلى كلمات متجاورة، ذلك لأن العلاقة وثيقة بين النحو والمعنى. ويضرب مثالا على ذلك بالجملة الشهيرة التي استخدمها "تشومسكي" تدليلاً على درجة من درجات "النحوية"، وهي: "colorless green ideas sleep fuiously" أفكار عديمة اللون خضراء تنام في غضب".

1. الإعراب:

"اللغة العربية كما هو معلوم من اللغات المعربة، وقد ورثت العربية الإعراب من اللغة السامية الأم. فاللغة السامية الأم كانت معربة، وكذلك اللغات السامية الأخرى، فقد كانت اللغات السامية القديمة كلها معربة. وقد احتفظت العربية بالإعراب كاملاً حتى الآن.

¹. رينيه ويلك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، ص 431.

². فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند جاكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص 230.

³. المرجع نفسه.

إن كلمة "إعراب" مصدر للفعل "أعرب"، وهو مشترك في معان منها: الإبانة، يقال أعرب الرجل عن حاجته أي أبان عنها. والإعراب في النحو -فيما نعتقد- مأخوذ من هذا المعنى، وهو الإبانة عما في النفس والكشف عنه، ذلك أن الإعراب يبين المعاني ويكشف عنها، ولولاه لكان الكلام مبهما غير مفهوم ولا معلوم. فقولك (ما أحسن خالد) مثلا يحتمل معاني عدة ولا يتضح المعنى المقصود إلا بالإعراب¹.

وتتولد معاني المفردات في العربية بوسائل متعددة منها الصيغ المختلفة كاسم الفاعل واسم المفعول والمصادر وأبنية أسماء المكان والزمان وغيرها، فصيغة اسم الفاعل لها معنى، وصيغة اسم المفعول لها معنى، وصيغة اسمي المكان والزمان لها معنى، واسم التفضيل له معنى، وكذلك أبنية المصادر كالفعالة والفعال والفعالان، وكأفعل وفعل وفعل في الصفات المشبهة وكأبنية جموع التكسير وغيرها.

فالفعالة في المصادر مثلا تفيد الحرفة كالنجارة والصناعة والسقاية والحجاجة. قال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٩) وكالفعال للأدواء والصوت كالصداع والبكاء والصرخ، يقال: "عطش عطشا"، فإذا كان العطش يعتره كثيرا قالوا: "به عطاش".
وتقول: مشى الرجل مشيا ومشى بطنه مُشَاء إذا كان داء.

و(أفعل) في الصفات المشبهة للدلالة على الألوان والعيوب الظاهرة من خلقة أو ما هو بمنزلتها نحو أحمر وأزرق وأعور وأحول وأهيف.

¹. د. فاضل السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، 2000، ص 30.

وفعيل للدلالة على الثبوت مما هو حلقة أو مكتسب نحو "طويل وقصير وخطيب وفقه" فالعسير الصعب و الأعرس الذي يعمل بيسراه، والملح من الملاحه والأملاح لون وهو أشد الزرق الذي يضرب إلى البياض، والصبيح من الصباحة وأما الأصبح فهو لون وهو ما كان لونه قريبا من الأصهب.

"ومن ذلك أوزان الجموع، فلجموع القلة أوزان، وهناك دلالات يذكرها النحاة لقسم من جموع الكثرة."¹

إن البحث في التقاء النحو بالدلالة أصبح يفرض نفسه أكثر مما مضى، وذلك لأمرين اثنين: أولهما الكشف عن هذا الجانب المهم في تراثنا النحوي، ومدى اهتمام علمائنا القدماء به، والثاني: أن يكون هذا البحث مدخلا لدراسة "المعنى النحوي الدلالي" حتى يعود للنحو العربي دوره الفعال في فهم النص وكشفه.

وقد كان النحو العربي منذ نشأته الأولى مهتما بالمعنى، يعتد به وبدوره في التقييد. وهناك تفاعل قائم مستمر بين الوظيفة النحوية والدلالة المعجمية للمفردة الذي يشغل هذه الوظيفة. ويشكل هذا التفاعل بينهما، مع الموقف المعين، المعنى الدلالي للجملة.

ويكاد يجمع الدارسون العرب أن هناك محاور ترتكز عليها الجملة التي تعد صحيحة نحويا ودلاليا في اللغة، وهي:

- أ. وظائف نحوية بينها علاقات أساسية تمد المنطوق بالمعنى الأساسي.
- ب. مفردات يتم الاختيار من بينها لشغل الوظائف النحوية السابقة.
- ج. علاقات دلالية متفاعلة بين الوظائف النحوية والمفردات المختارة.
- د. السياق الخاص الذي ترد فيه الجملة سواء أكان سياقاً لغوياً أم غير لغوي.

¹ د. فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، ط2، عمان، الأردن، 2007، ص 126.

2. قواعد الحالات:

* نشأة قواعد الحالات:

على غرار النظريات الدلالية السابقة فإن قواعد الحالات " " Case Grammar " انبثقت عن القواعد التوليدية التحويلية "لتشومسكي". ففي عام 1968 نشر "شارلز فيلمور" Charles Fillmore " مقالا عنوانه "الحالة للحالة" " The Case for Case " أشار من خلاله إلى وضع إطار جديد لنظرية دلالية جديدة تنافس النظريات الأخرى. ومفاد النظرية أنها تهدف إلى اكتشاف العلاقات الدلالية التي تربط الفعل بمختلف الحالات، أو ما يعرف بالمكونات الاسمية على مستوى الجملة. ومع أن نظريات أخرى شبيهة بهاته ظهرت في نفس الحقبة، إلا أنها كلها تقدم صورة عن القواعد التي تعنى بالفعل، وتعدده العنصر النواة في كل جملة؛ إذ الفعل هو الذي يفرض علينا اختيار كل عناصر الجملة الأخرى. وأعطى "فيلمور" مجموعة من "الحالات الدلالية" "semantic cases" التي تعد عناصر "كلية" "universal" موجودة ضمناً في جميع اللغات. وبعبارة أخرى، فالمصطلحات النحوية مثل الفاعل، والمفعول به، والاسم المجرور لا تمكننا من التحليل الدقيق والحكم على استقامة الجملة أو استحالتها. "فنحن عندما نقول:

- "نام الطفل"، فهذه جملة مستقيمة لا يختلف اثنان حول دلالتها. وعندما نقول:
 - "نام النهر"، فهنا قد نختلف حول المقصود من الجملة لأن التعبير قد يكون مجازياً. أما عندما نقول:
 - "نام الصخر"، فهذا من دون شك كلام مستحيل.
- فالملاحظ أن كل هذه الجمل نحوية وترتيبها النحوي مقبول وصحيح: (فعل + فاعل)، ويحكم النحاة على الجملتين الأخيرتين بأنهما مستحيلتان بالحدس والسليقة.

وقد جاء "فيلمور" بقواعد الحالات لتقنين هذا الحدس بوضع مصطلحات دلالية كلية أطلق عليها الحالات الدلالية، أو الأدوار الدلالية.¹

المبحث الثالث: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة:

أولاً: الاتجاه الوظيفي وتحليل اللغة

الاتجاه الوظيفي مدرسة من مدارس الفكر اللغوي المعاصر، وهو يعنى بكيفية استخدام اللغة، وبالقيمة الاتصالية للغة. فاللغة في نظر هذا الاتجاه عبارة عن وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات. وإذا أردنا أن نبحت عن صياغة منهجية يمثل جوهر اهتمام الاتجاه الوظيفي فإن ذلك يتمثل في السؤال التالي: لماذا تستعمل اللغة: ومعلوم أن المد اللغوي الذي اكتسح الدراسات اللغوية في الستينات والذي يتمثل في نظرية "تشومسكي" العقلانية قد اهتم بمجموعة العلاقات الرياضية المفسرة لميكانيكية اللغة، وليس بوظيفة اللغة في البيئة اللغوية أو كيفية أدائها للمعاني.

والجانب الوظيفي للغة ليس شيئاً منفصلاً عن النظام اللغوي نفسه، فتداخل الأدوار " roles " والمشاركين " participants " في النظام النحوي حسب نمط معين في كل لغة مرتبط ارتباطاً مباشراً بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة. ويزيد "هاليداي" " M.A. Halliday " هذه النقطة توشيحاً بقوله: " إذا كان بإمكاننا أن نغير مستوى الرسمية في كلامنا أو كتابتنا، أو نتنقل بحرية من نمط سياقي معين إلى نمط آخر، فنستعمل اللغة تارة لتخطيط نشاط منظم، وتارة لإلقاء محاضرة عامة، وتارة لتدبير شؤون الأولاد، فلأن طبيعة اللغة على شاكلة بحيث إن جميع هذه الوظائف مبنية حسب طاقتها الاستيعابية الكلية"².

¹. أ. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 260.

². Halliday, M.A.K, Exploration in the function of language, Edward Arnold, 1973.

وبذلك فإن اتجاه الوظيفة يربط بين النظام اللغوي وكيفية توظيف هذا النظام لأداء المعاني. ويتمثل هذا الربط في ثلاثة مظاهر:

1. المظهر الأول:

هو الخيارات المتعددة المتاحة للمتكلم والمتمثلة في الأبنية والتراكيب المختلفة الموجودة في لغته. إن كل تركيب يؤدي وظيفة مختلفة لأنه يمكن المتكلم من تنظيم كتل المعلومات طبقاً لظروف الكلام. فالجمل التالية مثلاً:

أ. استقبلت الأوساط الأدبية نبأ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ببالغ السرور.

ب. استقبل نبأ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ببالغ السرور.

ج. الأوساط الأدبية استقبلت نبأ حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل ببالغ السرور.

د. نجيب محفوظ استقبل نبأ حصوله على جائزة نوبل ببالغ السرور.

وبذلك فإن لكل جملة وظيفية مختلفة، لأن كل واحدة منها تقترن بسياق مختلف وتستعمل في ظروف مختلفة. وانطلاقاً من هذا الفهم، فإن هذه الجمل الأربع لا تعتبر مترادفة لأن كل واحدة منها تركز على جانب واحد من الحدث، وبذلك فإن لكل واحدة منها قوة تعبيرية متميزة مستمدة من الدور الذي يؤديه كل أسلوب في الحياة الاجتماعية. ثم إن الاتجاه التحويلي هنا يعتبر الجمل 2، 3، 4 مجرد صياغات تعبيرية متفرعة عن الجمل الرئيسية، ويمكن التوصل إليها بتطبيق القواعد التحويلية على الجملة رقم 1. وأما التأويل الدلالي الذي يرتبط بهذه الجمل فهو واحد في جميع الأحوال.

2. المظهر الثاني:

هو أن جذور اللغة تمتد إلى البنى الاجتماعية بكافة أشكالها. فلا يمكن فصل اللغة عن الثقافة: التراث والعادات والتقاليد. إن الظواهر الاجتماعية التي يرتبط بها الفرد بحكم انتمائه إلى مجتمع ما تفرض عليه سلوكا لغويا معينا. ويظهر ذلك بوضوح في أساليب التخاطب التي ينتقيها الفرد في المواقف المختلفة. فالتحدث إلى رئيس الدولة وإلى زميل في العمل وإلى فرّاش في دائرة العمل لا يتخذ مجرد أشكال لغوية مختلفة، وإنما نجد أن الأشكال اللغوية مستمدة من الأعراف الاجتماعية. هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد أن الكلام يعكس الخلفية الاجتماعية والثقافية للفرد. ولذلك فوصفنا لكلام شخص بأنه كلام مؤدب أو كلام وقح يعتبر وصفا جماليا أخلاقيا نابعا من اعتقاداتنا الاجتماعية. إن البنية الاجتماعية تنعكس في التراكيب اللغوية التي نستعملها. ونجد هذا الانعكاس كذلك في المصطلحات الدالة على صلة القرابة وفي مصطلحات الألوان والتعبيرات المشتقة منها. ونجدها فوق كل ذلك في المستويات الأسلوبية " registers ". واللكنة التي يتحدث بها الشخص تعكس مظهرها اجتماعيا. حينما نسمع لكنة الصعيدي وهو يتحدث باللهجة المصرية، أو لكنة البدوي وهو يتحدث باللهجة الكويتية نستطيع ان نقرر مباشرة أن هذا الشخص ينتمي إلى شريحة اجتماعية معينة. والتنغيم كذلك يرتبط بهذا الجانب ارتباطا واضحا، بحيث أنه بإمكاننا أن نتعرف على الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الشخص وذلك من خلال طريقة تحدّثه.

3. المظهر الثالث:

تظافر العناصر، بمعنى أن عناصر اللغة مجتمعة تساهم في أداء الفكرة التي يريد المتكلم توصيلها، والأمر هنا يشبه عمل السلك الكهربائي. فالسلك الكهربائي الواحد يتكون من مجموعة أسلاك شعيرية دقيقة. ولا نستطيع أن نقول حينئذ أن سلكا بعينه من هذه الأسلاك الدقيقة مسؤول عن توصيل الكهرباء. فهذه الوظيفة تقوم بها هذه الأسلاك الدقيقة مجتمعة. وهكذا الأمر بالنسبة للغة، فلا يمكن

أن يستقل عنصر أو مستوى لغوي بأداء الوظيفة. فالوحدة الصوتية، مثلاً، تستطيع أن تؤدي وظيفة من خلال وحدات صوتية أخرى تشكل الكلمة ذات الدلالة المفيدة في المعجم، والكلمة بدورها تؤدي وظيفتها ضمن نظام نحوي.

إذن فالالاتجاه الوظيفي يتميز من بين الاتجاهات الأخرى في الدراسات اللغوية بأنه يربط اللغة بالوظيفة التي تؤديها من جانب، وبالبيئة الاجتماعية وتظافر العناصر من جانب آخر. والتحليل الوظيفي للغة يكون من منظور يهدف إلى بيان الوظائف التي تؤديها اللغة في البيئة اللغوية. أما الإطار النظري الذي يتم من خلاله التحليل فهو مصمم لأداء هذا الغرض العام. ولذلك لا يحفل الوظيفيون بجدلية النظرية اللغوية وإلى أي حد تتمثل فيها الكفاية الوصفية "descriptive adequacy" والكفاية التفسيرية "explanatory adequacy". فالنظرية ليست هدفا وإنما هي إطار يتم من خلالها الكشف عن الخيارات المتاحة أمام المتكلم. يقول "هاليداي" في مقدمة كتابه (مقدمة في النحو الوظيفي): "إننا لسنا بحاجة إلى نظرية متخصصة إلى حد كبير يستطيع المرء أن يفعل القليل بها". ويقول في الصفحة الثامنة من المقدمة نفسها: "إن الكلام المنطوق يحتاج إلى شكل مرن وليس إلى بناء جامد من التمثيل الشكلي"¹.

ثانياً: وظائف اللغة:

تتجلى أهمية اللغة في الوظائف التي تؤديها، وقد حظي هذا الجانب باهتمام العلماء الذين حاول كل منهم بحسب المدرسة التي ينتمي إليها تحديد وضبط هذه الوظائف، فمنهم من نظر إليها نظرة فلسفية نفسية، ومنهم من نظر إليها من زاوية اجتماعية، ومنهم من جمع بين النظرتين معا.

في تعريفه للغة جمع ابن جني بين تعريف اللغة وبين وظائفها، وفحوى قوله: إن اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، تلميح لوظيفة التواصل الأساسية للغة، والتي يمكن أن نستشفها في فعل "

¹. Halliday, M.A.K, An introduction to functional grammar, Edward Arnold.

يعبر " ، فهو يشير إلى بقية الوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة من خلال قوله " أغراضهم " بصيغة الجمع ، وهذا بمعنى الحاجة التي تنطوي تحتها الحاجة النفسية الفكرية ، الشعورية ، الاجتماعية .

ومن جملة وظائف اللغة نذكر :

1. وظيفة التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات:

تعتبر اللغة أداة لنقل الأفكار والأحاسيس من وجهة نظر فلسفية، فالإنسان عندما ينطق ببعض الكلمات إنما يفعل ذلك لكي يعبر، "أي ينقل العواطف والأحاسيس والأفكار من الداخل إلى الخارج". وبالتالي فإن كل شخص يمكنه عن طريق اللغة تبليغ تجربته الشخصية إلى نظائره ، "ويشمل مفهوم التجربة كل ما يشعر به الإنسان أو يلاحظه ، سواء أخذت هذه التجربة صيغة يقين أم شك أو رغبة أو حاجة ، ويمكن للتبليغ أن يتم في قالب إثبات أو استفهام أو طلب أو أمر دون أن يخرج من إطاره الخاص"¹

كما أن اللغة تسمح لمستخدميها منذ طفولتهم المبكرة أن يشبعوا حاجاتهم، وأن يعبروا عن رغباتهم. وهذه الوظيفة سماها "هاليداي" Halliday " " بالوظيفة النفعية *Fonction instrumentale* ."

2. تصريف وتنظيم شؤون المجتمع:

تعتبر اللغة أداة تساعد على تسيير شؤون المجتمع وتصريف أموره وتوجيه أفرادها لما يتعين أن يكون عليه من سلوكيات. وقد اصطلح على تسمية هذه الوظيفة بالوظيفة التنظيمية *"régulatoire"* ، إذ يستطيع الفرد والمجتمع من خلال اللغة أن يتحكم في سلوك الآخرين ، يحثهم ويستشيرهم ، وينسق فعلهم.

¹. الدكتوران محمد كامل الناقة وفتحي يونس، أساسيات تعليم اللغة العربية والتربية الدينية، دار الثقافة والطباعة والنشر، القاهرة،

ويتجلى دور اللغة في الناحية الاجتماعية أيضا في تقويم سلوك الفرد بما يتماشى وتوجهات المجتمع، فهي تقوم سلوكه اللفظي من حيث النطق السليم للحروف والاستعمال الصحيح للمفردات واعتماد الأساليب الملائمة بمعنى أن للغة وظيفة " تحديد الفعل " أو التوجيه وفق قانون Code : ففي القرآن الكريم- مثلا - يتم الزواج بمجرد النطق بألفاظ معينة.

3. الوظيفة النفسية:

يذهب " ثورندايك " Thorndike " إلى أن اللغة تثير أفكار المتلقين وعواطفهم وتحدث استجابات لديهم. بينما يحصر " يسبرسن " " Jespersen " هذه الوظيفة في الجانب الترفيهي للغة ، كونها وسيلة من وسائل الراحة والترفيه عن النفس والتحرر من القلق والاضطراب لأن المرء حين يغني مثلا، فهو إنما يفعل ذلك ليرفه عن نفسه ويمتدح الآخرين. وفي مثل هذه الظروف فإن اللغة لا تؤدي وظيفة حل المشكلات، بل لها في مثل هذه الحالات وظائف أخرى منها: تقليل الاضطراب، وإقامة علاقات تنأى. وتبقى اللغة وسيلة تواصل؛ فالمرء حين يغني أو يتحدث بأي حديث فهو يتواصل مع محيطه.

وتلتقي هذه الوظيفة بما يسمى الوظيفة التخيلية " Fonction imaginative ". فالفرد عندما ينتج أشعارا وفنونا وإبداعات في قوالب لغوية، إنما يفعل ذلك للتقليل من ضغط الواقع. والشيء نفسه نجده عند بعض الأمم، إذ مازال الإنسان يستخدم الأغاني والأهازيج لشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل وإضفاء روح الجماعة. ويمكن رصد خصوصيات لكل خيال لغوي.

4. الوظيفة الاستفهامية:

يتخذ الإنسان من اللغة أداة لمعرفة ما يحيط به واستكشاف أسرار ما يجري في هذا المحيط. ومن هنا تظهر وظيفة اللغة الاستفهامية، إذ يحاول فرد دائما أن يستكمل ويسد الفراغات الموجودة في ذهنه عن هذا المحيط الذي يعيش فيه، وذلك من أجل استكمال الصورة التي يرسمها عنه.

كما أن هذا الفرد لا يتسنى له العيش في هذا المحيط دون أن يتفاعل مع من يقاسمونه هذا الفضاء، ولن يكون ذلك ممكنا إلا باستعمال اللغة كأداة للتواصل، ومن هنا تتجلى وظيفة اللغة التفاعلية، فنحن نستخدم اللغة وتبادلها في المناسبات وفي تعاملنا مع الآخرين وفي إظهار الود والاحترام لهم.

ويرى "أحمد مومن" أن هناك ست وظائف أخرى للغة استلهمها "جاكسون" من نظرية الاتصال، ويلخصها كالتالي :

"الوظيفة التعبيرية، وظيفة النزوع، وظيفة إقامة الاتصال، الوظيفة الإنشائية، الوظيفة ما وراء لسانية والوظيفة المرجعية"¹.

5. اللغة أداة للتواصل :

يجمع الدارسون للغة على أن وظيفة اللغة الأساسية هي التعبير أي التواصل، بمعنى أنها وسيلة لتبادل الأفكار ونقل الأخبار بين الأفراد والجماعات، ولعل في حديثنا عن الاتصال والتواصل ما يوضح أكثر هذه الوظيفة .

ثالثا: المدارس والاتجاهات الوظيفية:

1. مدرسة براغ:

في حوالي 1911 ألقى "ماتسيوي" " Mathesius 1945-1882 " محاضرة مهمة حول ما سماه ب(خصيصة اللغة)، وقد قال "ياكسون" عن هذه المحاضرة "إنها لو كانت قد أقيمت في مكان آخر غير براغ، في موسكو مثلا، لأحدثت ثورة حقيقية في الدراسات اللغوية عندئذ"² ولذلك لم تكن أفكار (ماتسيوس) معروفة لدى الأوساط اللغوية حتى انعقد الاجتماع الأول لمدرسة براغ في أكتوبر

¹. أ. أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 148

². Vachek, J, The linguistic school of Prague, Cambridge, Mass, MIT Press, 1966, p5.

1926، وكان ذلك بمبادرة من (ماثسيوس) نفسه. وبعد انتهاء جلسات الاجتماع، اتفق المجتمعون على الالتقاء بصفة دورية ضمن "حلقة براغ اللغوية". وابتداء من هذه الفترة تجمع حول (ماثسيوس) مجموعة من المهتمين بالدراسات اللغوية. وقد عرف هذا التجمع فيما بعد باسم "مدرسة براغ".

وقد ضم التجمع عددا من اللغويين الأوكرانيين والألمان والروس والسلافيين ممن لم يكونوا يقيمون في تشيكوسلوفاكيا آنذاك. فالتسمية لا تشير إلى المحلية، ولكنها تستخدم استخداما علميا لتشمل تلك النظرة الخاصة التي تميزت بها هذه المدرسة في التحليل اللغوي ألا وهي النظرة الوظيفية.

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية تأثر نشاط مدرسة براغ تأثرا بالغا، حيث أغلقت القوات الألمانية التي احتلت تشيكوسلوفاكيا جميع الجامعات فيها. وشهد عام 1939 موت أحد أبرز أفراد المجموعة

وهو "تربتسكوي" "Trubetskoy" ¹. وفي تلك الفترة ونتيجة لظروف الحرب، اضطر "ياكسون" أن يهرب من الحكم النازي، فرحل إلى الدنمارك، ثم النرويج وأخيرا حط الرحال في الولايات المتحدة الأمريكية. وقبل نهاية الحرب بفترة قصيرة، أي في 12/04/1945 توفي مؤسس المدرسة ورائدها الأول "ماثسيوس". وأدت كل هذه الأمور إلى تشتت أفراد المدرسة.

وبعد استتباب الأوضاع وفي بداية الخمسينيات حاولت الأوساط الأكاديمية في بعض الجامعات التشيكية إحياء اتجاه مدرسة براغ ولكن من خلال مسميات جديدة مثل "الرابطة اللغوية" "Linguistic Association" و"جماعة علم اللغة الوظيفي" "The Group of Functional Linguistics" وقد ضمت هذه التجمعات أفرادا نشيطين واصلوا الكتابة ضمن الإطار الفكري

¹. نيكولاي تروبتسكوي 1890-1939 واحد من أعضاء مدرسة براغ الذين لم يكونوا يعيشون في تشيكوسلوفاكيا، فهو ينتمي إلى أسرة من نبلاء روسيا. كان والده أستاذا للفلسفة، وأصبح مديرا لجامعة موسكو. وقد درس تروبتسكوي اللغات الهندية - الأوروبية، وأصبح عضو هيئة تدريس في جامعة موسكو عام 1912. وحينما بدأت الثورة البلشفية هرب إلى فيينا حيث أسندت إليه رئاسة قسم الدراسات السلوفاكية في جامعة فيينا عام 1922. ثم أصبح بعد لك عضوا في مدرسة براغ. وبقي تروبتسكوي في فيينا حتى توفي إثر أزمة قلبية.

للمدرسة، وأعادوا نشر الدورية المشهورة التي كانت تصدر باسم المدرسة والمسماة " Travaux Linguistiques de Prague ".

"إن السمة البارزة للغويي مدرسة براغ هي نظرتهم للغة في إطار الوظيفية. ومعنى ذلك ليس فقط أنهم نظروا إلى اللغة ككل على أنها تخدم غرضاً، فهذه حقيقة معروفة وهي وحدها لا تميزهم عن غيرهم. بل القصد أيضاً أنهم كانوا يخللون اللغة المعينة من خلال وجهة نظر تهدف إلى أن تبين لنا الوظائف الخاصة التي تؤديها الأبنية المختلفة في استخدام اللغة ككل. وهذه النظرة ميزت مدرسة براغ تمييزاً واضحاً عن معاصريهم من البنيويين الأمريكيين (وتميزهم كذلك بوضوح عن التحويليين) الذين نظروا إلى النحو على أنه يتكون من مجموعة من العناصر"¹.

ومن معالم مدرسة براغ اهتمامها بقضية المعنى. ولكي نعرف أهمية هذا الجانب فإنه من المفيد أن نذكر في هذا السياق أن الاتجاه البنائي المتمثل في كتابات " بلومفيلد " " Bloomfield " وغيره من اللغويين الأمريكيين، قد ربط المعنى بعنصري المثير ورد الفعل. أي أن تحليل المعنى يكون بأن نبين نوع المثير الذي يولد رد فعل معيناً والمتمثل فب العبارات التي ينطق بها المتكلم، وأن نبين رد الفعل السلوكي الذي يحدثه المتكلم باعتباره مثيراً. فمستعمل اللغة قد يمثل عنصر الاستجابة أو رد الفعل حينما يكون متلقياً، وقد يمثل عنصر المثير حينما يكون مرسلًا. إن اتخاذ الاتجاه البنائي لهذا الإطار النفسي الضيق للتفسير الدلالي كان بسبب تأثره بأفكار مذهب من مذاهب علم النفس يعرف "بالسلوكية" " behaviourism "، وهو مذهب يفسر السلوك الإنساني حسب الأفعال الظاهرية والتي هي عبارة عن استجابات لمثيرات خارجية في البيئة. ويذهب إلى أن خصوصيات ومحتويات العقل يمكن النفاذ إليها عن طريق الاستبطان. ولذلك فإن قضية المعنى تشكل نقطة ضعف في الاتجاه البنائي، ولم تعطَ حقها من الاهتمام.

¹ Sampson, G, Schools of Linguistics, Hutchinson, London, 1980, p 103.

والملاحظ أن تحليل دراسة براغ للمعنى لم يتخذ منحى المنطق الوضعي أو المنحى التجريدي الذي يفصل المعنى عن الاستعمال اللغوي، وإنما اتخذ منحى وظيفيا. وهذا واضح في أن ما أسموه "بالمحتوى الدلالي" " semantic content " يرتبط من جانب بمستويات لغوية أخرى كالمستوى النحوي والمستوى الأسلوبي، ومن جانب آخر بحقائق العالم الخارجي، بما في ذلك مشاعرنا تجاه هذا العالم الخارجي¹. فهناك حقيقة مهمة حول عملية الاتصال اللغوي ينبغي أن ندركها ألا وهي أن المتكلم حينما يوجه خطابه إلى المستمع فإنه لا يريد فقط أن ينقل إليه بعض الحقائق، ولكنه يريد أن ينقل إليه مشاعره تجاه هذه الحقائق. إن العبارات المنطوقة تكون دائما مغلقة بمشاعر الفرد. وذلك بحكم انتمائه إلى بيئة اجتماعية تموج فيها شتى المعطيات والمتغيرات. وقد فهم لغويو مدرسة براغ أن ربط محتوى الكلمة بالحقائق الخارجية يمثل وظيفة اللغة في المجتمع. وسنجد أن مدرسة لندن قد وظفت هذه الفكرة توظيفا مثاليا من خلال نظرية سياق الحال.

2. مدرسة لندن:

إن الجانب الواضح الذي يميز مدرسة لندن هو تأثير العبارات العملية في سير الدراسات اللغوية في بداياتها الأولى. فقد كانت حدود الإمبراطورية البريطانية تشمل مساحات شاسعة من المستعمرات في آسيا وفي إفريقيا. وقد استدعى هذا الوضع التفكير في كيفية وصف أصوات اللغة الإنجليزية وقواعدها لكي يسهل على الأجانب تعلمها. هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد كانت لتلك المستعمرات لغاتها المحلية الخاصة بها، بل إن بعض المستعمرات كانت تسود فيها أكثر من ثلاث لغات رئيسية. وبرزت نتيجة لذلك مسألة إيجاد طرق لكتابة اللغات وشرح قواعدها، وخاصة اللغات المحلية واللغات غير المدونة على نطاق واسع. ومن اللافت للنظر أن "مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية" " School of Oriental and African Studies " وهي كلية من كليات جامعة لندن، أنشئت عام

¹ Vachek, J, The linguistic school of Prague, Cambridge, Mass, MIT Press, 1966, p34.

1916 لخدمة الإمبراطورية البريطانية في دراسة لغات المستعمرات وثقافتها وتدريبها لرجال الحكومة. ومن هذا المنطلق فإن دراسة اللغويين الإنجليز للغات الإفريقية والآسيوية تختلف عن دراسة اللغويين الأمريكيين للغات الهندية - الأمريكية. ولذلك لم تكن هناك ضغوط تستدعي لأن يفكر اللغويون الإنجليز في ابتداء وسائل إجرائية لتدوين اللغات ووصفها قبل أن تنقوض. وذلك يعني، كما أشار "سامبسون" "J.Sampson 1862-1931"، أنه بينما شعر الوصفيون الأمريكيون بالحاجة إلى تطوير وسائل استكشاف آلية للغات التي كانوا يصفونها، فإنه كان بمكان "فيرث" وزملائه أن ينشغلوا ببناء جوانب نظرية¹.

وفي مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية تطورت الدراسات اللغوية ونمت على يدي (فيرث) والذين تتلمذوا على يديه أو عملوا معه. وكان "فيرث" قد عين عام 1944 أستاذا لعلم اللغة العام في تلك الكلية. ويعد بذلك أول أستاذ يعين في هذا المنصب في الجامعات البريطانية. وقد تركزت كتاباته في المعنى والأصوات. أما من جاءوا بعده، والذين يطلق عليهم "الفيرثيون" "Neo Firthians" فقد توسعوا في هذين الجانبين وتطرقوا كذلك إلى مجال المفردات والنحو. وقد اتخذت كتاباتهم المنحى الوظيفي الذي أصبح سمة لمدرسة لندن، وتجلى ذلك في مظاهر عديدة من التحليل اللغوي.

3. المنظور الوظيفي للجملة:

تعتبر مقالات (ماثيسوس) في تحليل الأبنية التركيبية للإنجليزية والتشكيكية نقطة البداية لنمط من التحليل سماه "المنظور الوظيفي للجملة" "functional sentence perspective". ولكي تتضح طبيعة هذا المصطلح، فإنه من المفيد أن نذكر هنا أن اللغة في منظور مدرسة براغ لها ثلاثة مستويات هي:

¹. المرجع السابق، ص 215.

أ. المستوى النحوي (ويندرج فيه الصرف أيضا).

ب. المستوى الدلالي.

ج. المستوى الكلامي " organisation of utterance "

والمستوى الأخير يبين كيف يتفاعل المستوى النحوي والمستوى الدلالي في عملية الاتصال اللغوي. وضمن نطاق هذا المستوى الثالث برزت فكرة المنظور الوظيفي للجملة. ويقوم هذا التحليل على أساس القيمة الاتصالية للغة. إن اللغة تستخدم كوسيلة تعبيرية تأثيرية. وهي ليست شيئا مجردا عن الواقع الذي توجد فيه، بل إن وظيفتها هي التفاعل مع هذا الواقع. والمنظور الوظيفي للجملة ينظر إلى الجملة على أنها تتكون من شقين: الأول ويسمى المسند، والثاني ويسمى المسند إليه.

والأمثلة التالية توضح كلا من الشقين:

1. <u>المال والبنون</u>	<u>زينة الحياة الدنيا</u>
المسند	المسند إليه
2. <u>تمكّن</u>	<u>أخي</u>
المسند	من الدفاع عن المتهم
3. <u>ويريد</u>	<u>الله</u>
المسند	بكم اليسر.
	المسند إليه

ويأتي المسند -غالبا- أولا ثم يعقبه المسند إليه. هذا هو الترتيب المتبع حينما يكون نسق الجملة محايدا، والنسق المحايد هو الترتيب المألوف لأجزاء الجملة في الاستعمال العادي، أي الاستعمال الذي يراد به مجرد الإخبار أو الإسناد. أما حينما يريد المتكلم أن يجذب انتباه السامع إلى عنصر معين في الجملة، أو أنه يريد التركيز على عنصر معين لأنه يمثل في نظره زيادة الحدث اللغوي، فإنه يلجأ عندئذ إلى خرق هذا النسق الطبيعي.

1. والله يدعو إلى دار السلام

المسند	المسند إليه
2. <u>أخوك</u>	<u>أخبرني</u> بذلك
المسند	المسند إليه

(جواب للسؤال: من أخبرك بذلك؟)

وفيما يلي مثالان آخران يعبران عن فكرة واحدة، لكن الفرق بينهما هو في مجال التركيز، وسنجد أن توزيع المسند - المسند إليه يعكس هذا الفرق:

1. <u>وصل</u>	<u>الوفد الرياضي الصيني</u>	إلى البلاد ليلة أمس.
المسند	المسند إليه	
2. <u>الوفد الرياضي الصيني</u>	<u>وصل</u>	إلى البلاد ليلة أمس.
المسند إليه	المسند	

(جوابا للسؤال: أي وفد وصل إلى البلاد ليلة أمس؟)

إن تحديد موضع المسند في الترتيب المحايد ينبع من الحقيقة المعروفة وهي أن المرء يبدأ كلامه بالمعلومات المعروفة لدى المتكلم أو التي سبقت الإشارة إليها أو التمهيد لها في السياق. ثم يضيف بعد ذلك المعلومات الجديدة التي يظن أنها كفيلة بإثراء القارئ أو السامع. ولكن مفهوم المسند والمسند إليه لا ينحصر في هذا النطاق من الفهم الابتدائي. فالواقع أن اللغويين الذين جاءوا بعد "ماثيسوس" قد طوروا هذا المفهوم. ومن أبرز هؤلاء "جان فرباس" "Jan Firbas". يتخذ "فرباس" المنظور الوظيفي للجملة أساسا لتحليل ويجده بوضوح على النحو التالي: "المقصود بالمنظور الوظيفي

للجملة هو ترتيب عناصر الجملة بالنظر إليها في ضوء السياق الفعلي"¹. ويقدم مفهوما وظيفيا جديدا يسميه "دينامية الاتصال" Communicative Dynamism ، "وهي خاصية من خاصيات الاتصال تتجلى في سياق تنمية المعلومات التي يراد التعبير عنها"². ذلك أن عملية الاتصال اللغوي تتعدد العناصر التي تدخل في تركيب الجملة، وهذه العناصر لها إمكانية متفاوتة في إثراء معلومات المستمع: فبعضها يحتوي على معلومات يعرفها المستمع بالفعل (أو يمكن استعادتها من خلال السياق)، وبعضها يحتوي على معلومات جديدة. وحينما ننظر إليها من هذه الزاوية نجد أن قدرتها على تحريك الحدث الكلامي متفاوتة، وهذا انعكاس للطبيعة الديناميكية لعملية الاتصال اللغوي.

وطبقا لمفهوم "دينامية الاتصال" فإن هناك ثلاث وحدات وظيفية في الجملة: المسند وهو ينقل أقل درجة من دينامية الاتصال، المسند إليه وهو ينقل أعلى درجة من دينامية الاتصال، وبعد هاتين الوحدتين أو قبلهما أو بينهما تأتي "الوحدة الانتقالية" "Transition" وتكون غالبا من العناصر الإضافية (الظرف، الحال) أو العناصر التي نحتاج إليها لاستقامة الجملة نحويا (أدوات النسخ، أدوات الشرط). وهنا يكون تحديد المسند - المسند إليه ويكون على أساس وظيفتهما في الاتصال اللغوي، بينما التحديد السابق كان يربط بينهما بشكل ما بعنصر المعلومات. ولكي نتمكن من تحديد هذه الوحدات في الجملة، فإنه ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار العوامل الثلاثة التالية:

1. نسق الجملة، أي كيفية ترتيب الأجزاء فيها.

2. السياق العام للحدث اللغوي.

3. السياق الدلالي الخاص للجملة (البنية الدلالية).

وهذا يبين لنا أن دينامية الاتصال ليست نظاما منفصلا، ولكنها وليدة عوامل مجتمعة. والجمل التالية توضح هذه الوحدات:

¹ Firbas, J, Thoughts on the Communicative Function of the verb in English, German and Czech, BSE, 1959, p 39

² Firbas, J, On the Concept of Communicative Dynamism in the Theory of Functional Sentence Perspective, Faculty Brnesk University, 1971, p136.

السياق: أين رمى الفرّاش الأوراق؟

1. الجملة:	<u>في سلة المهملات</u>	<u>رمى</u>	<u>الفرّاش</u>	<u>الأوراق</u>
	مسند إليه	وحدة انتقالية	مسند	مسند إليه

السياق: هل جميع الناس ظالمون؟

2. الجملة:	<u>والظلم</u>	<u>من شيم النفوس</u>	<u>فإن تجد</u>
	مسند	مسند إليه	وحدة انتقالية
	ذا عفة	فليعلِّه	لا يظلم (المتنبي)
	مسند	مسند إليه	وحدة انتقالية

ولو أمعنا النظر في هاتين الجملتين لوجدنا أن تعيين عناصر دينامية الاتصال يتحدد على أساس السياق. فالسياق هو الذي يحدد لنا ما إذا كان أحد عناصر الجملة شيئاً معلوماً أو شيئاً جديداً هو عبارة عن الإضافة التي يريد المتكلم أن يوصلها إلى السامع. ولذلك فكل العناصر تحمل درجة عالية من دينامية الاتصال. وهنا نجد أن الحقائق الخارجة عن الإطار التركيبي للغة لها دخل في التعرف على المعنى. إن الصورة التي رسمناها حتى الآن توضح لنا أن توزيع درجات دينامية الاتصال في الجملة هو حصيلة تضافر ثلاثة عوامل هي: السياق، نسق الجملة، البنية الدلالية. "أما المجال الذي تتوزع خلاله دينامية الاتصال فهو الحدث الكلامي بأكمله. وقد يقتضي ذلك تقسيم الكلام إلى فقرات والفقرات إلى جمل وهكذا..."¹.

وقد يتبادر إلى الذهن أن تحليل "فيرباس" تحليل ذوقي انطباعي وليس تحليلاً مبنياً على قواعد مقننة. والواقع أنه، شأنه شأن سائر لغوي مدرسة براغ، لم يكن يميل إلى التقنين الجامد للمظاهر الوظيفية للغة. والواضح في مسلك مدرسة براغ أنها لم تحفل بالتقنين أو بجعل الدراسة اللغوية دراسة علمية، كما كان الشأن لدى المدرسة الأمريكية. "فقد كان اهتمام مدرسة براغ منصباً بوجه خاص على

¹. المرجع السابق، ص 139.

الكيفية التي تزود بها اللغة المتكلم بعدد من الأساليب والطرائق التعبيرية مناسبة لظروف اجتماعية مختلفة¹. والجانب الانطباعي أو الشخصي أمر لا مفر منه في التعامل مع لغة النص، أو اللغة التي نستعملها كوسيلة اتصال، لأن مجال التحليل في هذه الحالة أوسع من مجال تحليل الجملة نحويًا. ومع ذلك فإن "فيرباس" لم يترك الأمر للذوق وحده، بل إنه زودنا بالجوانب النظرية الكفيلة بمساعدتنا في تحديد العناصر الأخرى.

رابعاً: نظرية السياق: Context theory

قبل التطرق إلى نظرية السياق وجب من الناحية المنهجية أن نشير إلى أن "فيرث" قد تأثر بأفكار أستاذه وزميله الأنثروبولوجي "مالينوفسكي" Bronislav Malinowski والتي مفادها أن "اللغة تعمل كأداة تواصل ضمن نشاط إنساني متعارف عليه، فهي ضرب من النشاط، وليست أداة للتفكير... و ما الكلمات إلا أدوات ولا يكمن معنى الأداة إلا في استعمالها."². ولتوضيح فكرة المعنى استعان "مالينوفسكي" بمفهوم "سياق الموقف" context of situation فطور نظريته التي تعين الباحثين على استيعاب معاني المفردات والجمل بالرجوع إلى معاينة الوظائف التي تؤديها في السياقات الموقفية الخاصة التي تستعمل فيها. وحسب "مالينوفسكي" فإنه إذا أتينا بشخص أوروبي إلى مجتمع بدائي، وزودناه بترجمة حرفية للكلام المتفوه به، فلا يستطيع أن يدرك معناه إلا إذا كان وارداً في السياق الذي جرى في إطاره الحديث، وفي الجو العام الذي هو جزء منه، واستخلص من هذا أنه من الضروري أن توضع كل ألفاظ الكلام في سياق الموقف لفهم مغزاها الحقيقي.

وقد ركزت المدرسة الاجتماعية على دور السياق في تحديد المعنى، فالكلمة يتحدد معناها من خلال السياق الذي ترد فيه، حيث إن للكلمة عدة استعمالات سياقية وكل سياق يظهر أو يحدد أحد

¹ Sampson, G, Schools of Linguistics, Hutchinson, London, 1980, p 27.

² د. أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1992، ص 177.

المعاني أو وجهها منها، وكما يقال فمعنى الكلمة يكمن في استعمالها في اللغة. وقد تزعم "فيرث" فكرة السياق وأصل دراسة المعنى من خلال إطار منهجي، والسياق نوعان:

1. السياق اللغوي " Verbal Context "

وفيه تراعى القيمة المستوحاة من عناصر لغوية، فالكلمة يتحدد معناها من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى في النظم، وهذا لا يشتمل على الجملة وحدها، بل ينتظم الفقرة أو الصفحة أو الفصل أو الباب أو الكتاب كله.

"والمثال على ذلك: الفعل "أكل" ومعانيه المتعددة من خلال السياقات القرآنية التالية:"¹.

• ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ

مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ سورة الفرقان 7. والأكل بمعنى التغذيةية.

• ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ

غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ سورة يوسف 13. والأكل هنا بمعنى الافتراس.

• ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ

جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ

اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ سورة الأعراف 72. والأكل هنا

بمعنى الرعي.

¹. د. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص 72.

• ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ سورة الحجرات 12. والأكل هنا بمعنى الغيبة.

• ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ سورة النساء 9. والأكل هنا بمعنى الاختلاس.

• ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾¹. والأكل هنا بمعنى الإحراق.

كذلك يمكن أن نمثل للسياق اللغوي بكلمة "عين" حين ترد في سياقات لغوية متنوعة، وكل سياق يظهر ويحدد وجهها من معانيها:

عين الماء: البئر

عين الدولة: الجاسوس

عليه العين: الاهتمام

تأجير العين: المكان

عينه فيها: الرغبة

¹. سورة آل عمران، الآية 182

أحطه في عيني: الرعاية

العين: الحسد

وهكذا فقد تعددت المعاني لكلمة "العين" وحدد كل سياق أحد هذه المعاني.

ومن السياق اللغوي ما يسمى "المصاحبات اللفظية"، أو "التلازم اللفظي" collocation ويعرفه "فيرث" "firth" بأنه: "الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما، بكلمات أخرى معينة، أو استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين، يأتي استعمالهما عادة مرتبطين الواحدة بالأخرى."¹ ومن أمثلة ذلك كلمة "مجلس":

- | | |
|----------------|----------------|
| - مجلس علم | - مجلس الشعب |
| - مجلس الكلية | - مجلس الصلح |
| - مجلس الجامعة | - مجلس الإدارة |
| - مجلس التأديب | - مجلس الأمن |

ومن هنا تظهر أهمية السياق اللغوي ودوره في تحديد المعنى وفهمه.

ويرى "فيرث" أنه يمكن أن ندرس المعنى الشكلي على مستوى التتابعات "collocations". والتتابع -على حد تفسيره- هو اقتران مألوف ومميز لمفردات النصوص، كاقتران كلمة "بقرة" بالفعل "يحب"، إذ إن جزءا من معنى "البقر" يتجلى لنا من خلال التتابعات مثل: "هم يجلبون البقر" و "تنتج البقرة حليباً"². وهكذا يبدو أن هناك معادلة بين معنى الكلمة ومجموعة السياقات اللفظية التي ترد فيها. فكلمة "الطيور" يمكن أن تملأ الفراغ في الجمل التالية: "تبني أعشاشها" و "تزرُق صباحاً"، و "تفرخ في فصل الصيف". وبالفعل، فإن وقوع هذه الكلمة في هذه

¹. د. أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، 1992، ص 74.

². J.R. Firth, Introduction studies in linguistic analysis, Blackwell, oxford, 1957., p 225.

السياقات المختلفة، يبين بوضوح معناها اللغوي. والمعنى على المستوى هو لون آخر من ألوان المعنى الشكلي. إنه "القيمة" "value" التي تكتسبها كل وحدة نحوية من خلال علاقاتها بالوحدات الأخرى.

أما المعنى الموقفي، "فيتمثل في العلاقات بين وحدات اللغة وتلك العناصر الخارجة عن اللغة المتمثلة في المواقف التي تتوسط فيها اللغة بين أفراد مشاركين في موقف اجتماعي معين. وليست الوحدات المفرداتية والنحوية فقط هي التي لها معان موقفية، بل السمات الفونولوجية، والصوتية، وحتى الإملائية قد يكون لها معنى موقفي معين.¹ وكما ذكرنا في السابق أن "فيرث" قد تأثر بالأنثروبولوجي "مالينوفسكي" وتشبع بمبادئ التجربة البريطانية، وقام بدراسة المعنى من الوجهة الاجتماعية والسلوكية. ورأى أن الكلمات تدل على أشياء ومواقف، وتصير جزءاً من العمل المعتاد والمعاني الوحيدة التي تمتلكها هذه الأنماط السلوكية. ويتضمن معنى الكلمة المنطوقة ثلاثة أشياء: مواقف تجاه المرجع، مواقف تجاه المخاطب، والغرض من وراء الكلام.

وقد أطلق "فيرث" على السلوك الكلامي اسم: "المعطيات الصوتية" "phonic data" وهي عبارة عن متصل كلامي غير مقطع، والسياق الواسع هو الثقافة، وأما السياقات الثانوية فهي الموقف. وحسبه فإن هناك عدة سياقات موزعة ضمن تسلسل هرمي مضبوط كما يبين الشكل التالي:

1. مصطلح صوتي

2. سياق صوتي

3. سياق معجمي

4. سياق صرفي

5. سياق تركيب

¹. أ. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 180.

6. سياق موقفى

7. سياق ثقافى

ويستطرد "فيرث" في شرحه قائلاً: "إن التقنية التي رسمتها هنا هي عبارة عن تحليل تجريبي عوض تحليل نظري للمعنى. ويمكن وصفها كسلسلة من الإجراءات لوضع الظواهر في سياقات: سياق في سياق، وكل سياق عبارة عن وظيفة، أو عضو في سياق أكبر، وتجد كل السياقات مكاناً لها فيما يسمى بسياق الثقافة."¹

2. السياق غير اللغوي "سياق الموقف" "Context of situation".

وهو يمثل الظروف والملابسات والمواقف التي تم فيها الحدث اللغوي وتتصل به وهو ما أطلق عليه الدكتور كمال بشر: "المسرح اللغوي"، ويسميه "فيرث": "سياق الحال"، ويعرف بأنه: "جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع، وتكوينهما الثقافي، وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع - إن وجدوا- وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، والعوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة الجو إن كان لها دخل، وكالوضع السياسي، وكمكان الكلام."²

ومن هنا نلمح أن السياق غير اللغوي يضم سياقات متنوعة مثل: السياق العاطفي، والسياق الثقافي، والسياق الموقف، ولكل واحد منها دور يسهم به في تحديد المعنى، فدرجة الانفعال قوة وضعفاً في الحديث تؤثر في تحديد المعنى، فقوة الانفعال تؤكد مثلاً دلالة "الغضب" أو دلالة "الفرح الشديد" أو دلالة "الحزن"، فدلالة كلمة "جذر" عند الفلاح تختلف عن دلالتها عند اللغوي، وهي في مجال

¹ . J.R. Firth, Introduction studies in linguistic analysis, Blackwell, oxford, 1957., p 225, p 226.

² . د. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ص 338.

الرياضيات بمعنى ثالث يختلف عن معناها عند الفلاح وعند اللغوي، وكلمة "التعدي" عند أهل اللغة لها دلالة تختلف عن دلالتها عند رجال الشرطة والقضاء.

كذلك أطراف الموقف الكلامي تؤثر في تحديد المعنى، كسؤال الأستاذ للتلميذ للاختبار والتقييم، أما سؤال التلميذ للأستاذ فهو للاستفادة وزيادة العلم وإزالة الجهل.

"أيضا الموقف الذي يقع فيه الحديث الكلامي له اعتبار مهم في تحديد المعنى، فعبارة "السلام عليكم" تحية إسلامية، ولكن هذه العبارة قد تتحول إلى معنى المغاضبة والمقاطعة حين يتحدث النقاش بين شخصين ويأس أحدهما من إقناع صاحبه، فيذهب مغاضبا وهو يقول: "السلام عليكم"، فالمقام هنا يصرف معناها من كونها تحية إسلامية إلى دلالة المقاطعة والغضب.¹

كذلك عبارة "حمدا لله على السلامة" تقال لمن قدم من السفر، بدلالة الترحيب والحفاوة، لكن العبارة نفسها تتحول إلى دلالة المعاتبة حين تصدر من رئيس لموظف غاب أو تأخر عن عمله.

والتعرف على السياق غير اللغوي في كلام مكتوب يتأتى من خلال الظروف والملابسات المصاحبة للنص، والمسجلة كتابة، وكلما كان الوصف المكتوب وافيا في بيان الموقف الذي تم فيه النص اللغوي، أصبح السياق غير اللغوي واضحا، يقول الدكتور تمام حسان: " فإذا كان "المقال" لا يقع - في أثناء قراءته في وقت لاحق - في مقامه الاجتماعي الذي كان له في الأصل، فإن هذا المقام الأصيل من الممكن بل من الضروري أن يعاد بناؤه في صورة وصف له مكتوب، حتى يمكن للنص أن يفهم على وجهه الصحيح، وفي بناء هذا المقام الأصيل بناء جديد بواسطة وصفه كما كان، لا بد من الرجوع إلى الثقافة عموما والتاريخ بصفة خاصة أكثر تفصيلا، كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحا.² ولقد أكدت المدرسة الاجتماعية دور السياق بنوعيه: (اللغوي وغير اللغوي) في تحديد المعنى.

¹. د. تمام حسان، اللغة العربية (معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص 345.

². المرجع السابق، ص 346.

ولقد تفتن القدماء من الدارسين العرب إلى فكرة السياق بنوعيه: اللغوي وغير اللغوي. ونظرية النظم عند "عبد القاهر الجرجاني" خير شاهد على معرفتهم بالسياق اللغوي، يقول عبد القاهر: "اعلم أن ليس (النظم) إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو)، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها".¹

ونلاحظ هنا مدى الاهتمام بصحة الكلام، وصحة الكلام لا شك مرتبطة بصحة المعاني الناتجة عن فكرة الموقعية... وهذا سياق لغوي.

كذلك نجد لدى الزمخشري اهتماما واضحا بالسياق اللغوي في تفسيره "الكشاف" خاصة في توجيه الإعراب، حيث يقدم أكثر من وجه للآية، ولكل وجه معنى، ومثال ذلك ما قدمه من وجوه في إعراب هذه الآية:²

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾³.

أما اهتمام القدماء بالسياق غير اللغوي "سياق الموقف" فواضح عند البلاغيين حيث عرفوا البلاغة بأنها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته".⁴ وذكر أبو هلال العسكري وغيره عبارة "لكل مقام مقال"⁵، ودعا الجاحظ إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وكرر ذلك في كتبه "ومن علم حق المعنى أن يكون الإسم له طبقا وتلك الحال لها وفقا.. ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم وعلى أقدار منازلهم".⁶

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، حققه وشرحه عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، 1985، ص 346.

² الزمخشري، الكشاف، ط1، ج1، دار الفكر، بيروت، 1983، ص 108.

³ البقرة، الآية 2.

⁴ الخطيب القزويني، الإيضاح، الإيضاح في علوم البلاغة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ص 448.

⁵ أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي البحاي، القاهرة، 1952، ص 21.

⁶ أبو عثمان عمرو الجاحظ، كتاب الحيوان، حققه عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1996، ج3، ص 43.

3. المعنى وسياق الحال:

نظر "فيرث" إلى المعنى على أنه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، فهو ليس فقط وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنه أيضا حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع. فالجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث، أي من خلال "سياق الحال" "context of situation". ولذلك فقد اقترح "فيرث" أن "تدرس اللغة كجزء من "المنظومة الاجتماعية" "social process"¹. وفي هذا الجانب يبدو تأثير "فيرث" بأفكار "ماليونفسكي" واضحا. ولتوضيح هذه النقطة يستحسن أن نعرض للأفكار الناضجة التي طرحها "ماليونفسكي" والتي مهدت السبيل أمام "فيرث" ليؤصل نظريته في المعنى.

كان "ماليونفسكي" البولندي الأصل أستاذا للأنتروبولوجيا في مدرسة لندن للاقتصاد "London School of Economics". وقد سافر في أعقاب الحرب العالمية الثانية إلى الجزر المحيطية بأستراليا في المحيط الهادي لإجراء بحوث ميدانية عن أهالي جزر "تروبرياند" "Trobriand". وفي أثناء تسجيل ملاحظاته وجد أنه من الصعب ترجمة بعض ما يقوله أهالي تلك الجزيرة من عبارات وجمل ترجمة حرفية إلى اللغة الإنجليزية. ووجد أن تلك الصعوبة تزداد حينما يصل الأمر إلى الحديث عن عادات وتقاليد خاصة بأهالي تلك الجزيرة. وفي محاولته لحل تلك المشكلة خرج بملاحظات نشرها في كتاب يعد من أمتع كتب الرحلات "الحدائق الساحلية وسحرها" "Coral Goral and their Magic". وهذه الملاحظات هي التي أرست مبادئ نظرية سياق الحال في وصف المعنى.

خلاصة كلام "ماليونفسكي" حول هذا الموضوع أن معنى الجملة يتحدد في السياق المعين الذي ترد فيه. والذي قصده "ماليونفسكي" هو البيئة الطبيعية أو الواقع الثقافي للمجتمع، حيث أنه كان يكتب

¹. Firth, J, R, Personality and Language in Society, Reprinted in Firth, 1950, p 181.

كأثنروبولوجي، ولكنه لم يتوسع في الحديث عن السياق وكيف يمكن تناوله ضمن نظرية لتحليل المعنى، لأن "مالينوفسكي" لم يكن مهتما بصياغة نظرية لغوية.

اقتبس (فيرث) من "مالينوفسكي" فكرة أهمية دراسة اللغة في إطار سياق معين، وأعطى لهذه الفكرة أبعاداً أعمق، فقد جعلها تخطيطاً تنظيمياً مجرداً، وحصرتها في مجال اللغة بعد أن كانت فكرة عامة تمس النواحي الثقافية في المجتمع. وقد رأينا كيف أن "فيرث" ينظر إلى اللغة على أنها عملية اجتماعية أو نشاط اجتماعي. أي أن نظرية "فيرث" اللغوية تقوم على أساس ارتباط اللغة بالفرد والمجتمع. ولذلك فإن فكرة سياق الحال أصبحت تعني عند "فيرث" دراسة اللغة كأداة اجتماعية، أي كأداة في المجتمع يستعملها الأفراد بقصد تحقيق أهداف وأغراض معينة.

ولكي يتم تحليل معنى الجملة حسب مقتضيات (سياق الحال)، ينبغي الأخذ بعين الاعتبار العناصر التالية¹:

1. الحقائق المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللغوي، كأن نذكر مثلاً ما إذا كان المشارك طفلاً أو رجلاً ناضجاً ذا مكانة اجتماعية مرموقة، أو امرأة. ويندرج تحت هذا العنوان الخلفية الثقافية للمتكلمين.
2. الأحداث اللغوية نفسها، أي العبارات المنطوقة بالفعل وكيفية نطق الجملة أو الجمل من حيث التنغيم والنبر الخلافي، وما يصاحب هذه الأحداث اللغوية من مظاهر لغوية غير منطوقة، كحركة اليدين وتعابير الوجه.
3. الأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي "relevant objects".
4. أثر العبارات اللغوية المنطوقة فعلاً (أي ما يستتبع النطق من سلوك اعتماداً على العبارات المنطوقة)، فقد تؤثر جملة ما على أحد السامعين، ولكن لا تترك نفس الأثر في سامع آخر لاختلاف العادات والتقاليد.

¹. المرجع السابق، ص 182.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: كيف يمكن تحديد ما له صلة بالسياق، وخاصة الأمور المادية ذات الصلة المباشرة بالحدث اللغوي؟ هذا السؤال كثيرا ما يطرحه متقدي نظرية سياق الحال. تقول "ديدري ويلسون" " D. Wilson " أستاذة علم الدلالة في جامعة لندن: "إن بإمكان المرء أن يعد قوائم عديدة لما يمكن أن يشكل الأمور المادية لجملة من قبيل (أنا أحاضر في هذه الغرفة الآن). والقوائم ستشمل أمورا مثل، ما يلي:

- هذه الغرفة التي تعد جزءا من بناء قسم في الكلية الجامعية.
- هذه الغرفة المملوكة لجامعة لندن.
- هذه الغرفة الواقعة في جامعة لندن. إلخ...¹

والواقع أن نظرية سياق الحال لا تعنى بإعداد قوائم عن الظروف المادية، فإعداد مثل هذه القوائم أمر في غاية الصعوبة. هذا علاوة عن أن أية قائمة لن تكون متكاملة في الظروف الطبيعية. ولكن الفكرة تركز على مبدأ "الاختيار" "selectivity" أو الصلة المباشرة، حيث إنه في كل حدث لغوي تكون هناك عناصر معينة نستطيع أن نختارها على أنها ذات صلة بموضوع الجملة. ولأخذ كمثال توضيحي الجملة التي أوردتها "ويلسون"، ونضعها في السياقات التالية:

الكهربائي: آسف للمقاطعة. يجب أن نقوم ببعض الإصلاحات الاضطرارية على موزع مكيف هذه الغرفة.

المحاضر: حاول أن تجرب ذلك فيما بعد، من فضلك. أنا أحاضر في هذه الغرفة الآن.

الكهربائي: مع الأسف أن الانتظار غير ممكن الآن، فقد أخبرني رئيس المهندسين أن المحول الرئيسي في كلية الآداب في العاصمة سينفصل آليا لو لم نقم بالإصلاحات حالا.

¹ Wilson, D, Introduction to Semantics. Lecture Notes, Department of Linguistics and Phonetics U.C, 1978; p35

من الواضح من خلال هذا السياق أن الأمور المادية التي لها صلة بالجملة هي وجود جهاز تكييف في قاعة المحاضرات يسبب خلل للموزع. أما الأمور المادية الأخرى من قبيل أن الغرفة لها ستائر مصنوعة من قماش وليس من معدن، وأن فيها مقاعد طويلة وليس مقاعد صغيرة منفصلة، وأن هناك بيوت عنكبوت في الزوايا. إلخ... فهي لا شك ليست ذات صلة مباشرة بالحدث اللغوي. وكما قال "هاليداي" فإنه: "من المهم أن نعيد فكرة السياق وذلك بأن نضيف لها كلمة (ذات صلة) "relevant"، لأن سياق الحال لا يعني كل صغيرة وكبيرة في المحيط المادي، كتلك التي قد تظهر فيما إذا كنا نسجل بالصوت والصورة حدثا كلاميا مع كل المشاهد والأصوات المحيطة به. إنه يعني تلك الملامح التي لها صلة وثيقة بالكلام الحاصل¹.

ولنتصور مشهدا آخر: طالب يدخل قاعة المحاضرة متأخرا عن موعد المحاضرة بعشرين دقيقة ولا يبادر أستاذه بالاعتذار بل يتجه مباشرة إلى مقعد فارغ ويجلس فيه. يقطع الأستاذ محاضرتَه ويقول له: "صباح الخير" (بنغمة صاعدة هابطة في النهاية، مع مد المقطع الطويل في الأخير). إن الظروف المادية المحيطة بهذه العبارة (وصول الطالب متأخرا) والتنغيم المستعمل، تدل على أن الأستاذ يريد أن يلوم الطالب على التأخير وليس أن يلقي عليه تحية صباح الخير. أما بقية الأمور الأخرى، مثل شكل الطالب ونوع لباسه فلا علاقة لها بهذا الحدث اللغوي.

وقد أثار بعض الباحثين اعتراضا نظريا آخر حول مفهوم سياق الحال في تحليل المعنى، وذلك على أساس "أن عناصر السياق الأربعة تعطي انطبعا خاطئا بأن تلك الحقائق التي يمكن استعمالها بشكل منهجي حينما نصف كيف يضيف الأفراد التفسير الدلالي على الجمل"². ويبدو أن هذا النقد يتعامل مع فكرة السياق بعقلية المدرسة التحويلية – التوليدية التي تفسر الاستعمال اللغوي على أنه نتيجة مراحل توليدية تحويلية متتالية. ولكن الاتجاه الوظيفي لا يفصل المعنى عن تركيب الجملة. بمعنى أن المتكلم لا ينطق بالجملة عارية أولا ثم يكسبها ثوب المعنى في مرحلة تالية (كما يرى التحويليون).

¹ Halliday, M.A.K, Language as social semiotic, Edward Arnold, 1978, p29.

² Langendoen, D.T, The London School of Linguistics, Cambridge, Mass, MIT Press, 1968, p.

ولكن المعنى ينشأ في الظرف المناسب وفي لحظة الخلق اللغوي، أي في لحظة تفاعل المرء مع الحدث. يقول "هاليداي": "إن السياق جزء من التخطيط اللغوي... ليس هناك انفصال بين ماذا نقول وكيف نقول، اللغة إنما تكون لغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال، وكل ما فيها مرتبط بالسياق."¹

إن جزءا كبيرا من معاني المفردات والجمل المستعملة يعتمد على الخبرة المشتركة ما بين المتكلم والمتلقي. ولذلك فنحن نحتاج إلى سياق الحال ليس فقط لكي نتمكن من معرفة مدى ملاءمة الكلام أو اللغة المستعملة في هذا الظرف أو ذاك، ولكن أيضا لكي نستطيع أن نفسر "الأساليب اللغوية والمستويات اللغوية" "registers" وطبيعة اللغة نفسها.

وقد طور "هاليداي" فكرة السياق في دراسته عن "الترايط اللغوي" "cohesion" و"تحليل النصوص" "text analysis"، فاقترح أسلوبا آخر لتحديد العناصر السياقية التي تلعب دورا في بيان معنى النص. وهذا الأسلوب يوظف ثلاثة مصطلحات على وجه التحديد هي:

"الحقل": "field" وهو المجال الطبيعي (الاجتماعي) الذي يكون مسرحا للنص، فيشمل بذلك النشاطات المختلفة، والأهداف الخاصة التي تستعمل اللغة من أجل تحقيقها.

"التوجهات": "Tenor" وتشمل العلاقات ما بين المشاركين في الحدث اللغوي: وضع كل مشارك والدور الذي يؤديه.

"النمط": "Mode" وهو الوسيلة اللغوية المتبعة في النص (أو الحدث اللغوي). ويشمل الأسلوب اللغوي والوسائل البلاغية.

ويحرص هاليداي على تأكيد فكرة مهمة وهي أن هذه العناصر لا ينبغي أن تعامل على أنها أنواع من الاستعمال اللغوي، ولكنها إطار نظري لتمثيل السياق الاجتماعي الذي يستطيع المتكلم من خلاله أداء المعاني.

¹ Halliday, M.A.K, Language as social semiotic, Edward Arnold, 1978, p33..

4. مستويات التحليل اللغوي:

إن النمط الوظيفي الذي نجده عند مدرسة لندن يتعامل مع أربعة مستويات في التحليل اللغوي تمثل الأنظمة المختلفة في اللغة. وقبل أن نتعرف على هذه المستويات، يستحسن أن نتوقف عند مصطلحين مهمين أوردهما "فيرث" يمثلان الأساس الفكري لهذا التحليل. يرى "فيرث" أن للغة مستويين: محور "النظام" "system" وتمثله "العلاقات الرأسية" "paradigmatic relations"، أي ثوابت اللغة، مثل مباني التقسيم في النظام الصرفي. ومحور "البناء" "structure" ويمثله "العلاقات الأفقية" "syntagmatic relations" التي تتميز بالتجدد، مثل الجمل المختلفة في اللغة. ومن النظام اللغوي يستمد البناء القيم المختلفة اللازمة لعمل العناصر. فالأبنية اللغوية في شكلها الصحيح هي انعكاس للنظام بما فيه من قواعد مؤسسة. ولا يمكن أن نفهم عنصراً بمنأى عن العنصر الآخر، فالجانبان مرتبطان ببعضهما أشد الارتباط. ويوضح "فيرث" هذا الارتباط بالترميز الشكلي لكيفية كتابة المصطلحين باللغة الإنجليزية على النحو التالي:

s

y

s

struc t ure

e

m

ويمكن دراسة النظام والبناء على عدد من المستويات نذكرها باختصار فيما يلي:

أ. المستوى الصوتي:

لقد اعتبر "فيرث" أن النظام الصوتي للغة يتألف من عدة أنظمة "polystystemic" ، وليس من نظام "أحادي" "monosystemic" المتمثل في سرد الوحدات الصوتية (الفونيمات) على أساس توزيعها الخطي. ولذلك فالتحليل ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار التشكيلات الصوتية أو "التطريزات الصوتية" "prosodic features" التي تبرز في أماكن مختلفة من المقطع أثناء الاستعمال، كالمظاهر التي نصادفها في حالي الوقف والوصل مثلا.

وطبقا "للتحليل التطريزي" "prosodic analysis" ، فإن الوحدات الصوتية والمقاطع المحددة يمكن أن تدخل ضمن العلاقات الرأسية، أما العلاقات التي قد تتولد ما بين المقاطع والوحدات الصوتية في الكلام المتصل فإنها تدخل ضمن العلاقات الأفقية.

ب. مستوى المفردات،

في المستوى المفرداتي نجد أن مفهوم "التساوي" "collocation" يعكس فكرة البناء. والتساوي في صياغاته المبكرة كان يعني الترابط الأفقي الطبيعي ما بين الكلمات. أي تصاحب الكلمة مع كلمة أو كلمات أخرى، أو رفقة كلمات أخرى في السياق الطبيعي، مثل: كذبة أبريل، حللت أهلا، صلاة التراويح، لم ينيس بينت شفة (بالنفي دائما، أي أننا لا نقول: نيس بينت شفة). وقد تطور هذا المفهوم فأصبح يعني إلى جانب ذلك: دخول الكلمة في سياق مقبول مع كلمة أو كلمات أخرى. فالفعل (أطلق) مثلا يمكن أن يتساوق مع العناصر التالية:

- أطلق لحيته (جعلها تنمو).
- أطلق ساقيه للريح (ولى هاربا).
- أطلق له الحبل على الغارب (ترك له حرية التصرف).
- أطلق الدواء بطنه (سهله ومشاه).

- أطلق عليه اسما غريبا (سماه باسم غريب).

إلى آخر ذلك من التساوقات. لكن (أطلق) لا تتساق مع (محاضرة) في قولنا: (أطلق محاضرة) بمعنى ألقى محاضرة.

والواضح من هذه الأمثلة المحدودة "أن التساق يمكن استخلاصه من العلاقات الأفقية ما بين الكلمات، وليس من الربط بين الكلمات ومفاهيمها"¹.

ج. المستوى النحوي:

ويتضمن تركيب الجملة (النحو وتركيب الكلمة) (الصرف). في هذا المستوى يعتبر مفهوم "الانتظام" معبرا عن البناء. والانتظام هو التجاور الطبيعي للعناصر النحوية والصرفية بحيث يؤدي هذا التجاور إلى تلازمهما في الاستعمال. فمثلا أداة النفي (لم) تنتظم مع الفعل الماضي فتتقلب الصيغة إلى المضارع. وضمائر النصب المتصلة تنتظم مع الفعل المتعدي دائما. والفعل (رغب) يجب أن ينتظم إما مع (في) أو مع (عن). وطبيعي أن هذا النمط من الانتظام يكون مسؤولا عن جزء من المعنى النحوي.

د. المستوى الدلالي:

وقد مر بنا أن فكرة سياق الحال ضرورية لفهم المعنى. ولكن الجانب الواضح في اتجاه مدرسة لندن أن المعنى لا يؤدَّى ولا ينبغي قصر تحليله على المستوى الدلالي فحسب، بل إن جميع المستويات تتضافر لأداء المعنى. فهناك معنى على المستوى النحوي، وهناك معنى على المستوى اللفظي وهكذا... وحول

¹ Firth, J.R, General Linguistics and Descriptive Grammar, Reprinted in Firth, 1951, p227.

هذه الفكرة يقول "فيرث": "الأشكال اللغوية لها معنى على المستوى النحوي واللفظي. وهذا المعنى تحدده أنماط الأنظمة النحوية التي تقام للغة. إن حالة الرفع في لغة ذات أربع حالات إعرابية سيكون لها بهذا المفهوم معنى مختلف عن حالة الرفع في نظام ثنائي أو نظام له أربع عشرة حالة إعرابية مثلاً¹. ويستطرد "فيرث" في هذه النقطة قائلاً: "إن المفرد في نظام لغوي ثنائي العدد له معنى نحوي مختلف عن المفرد في نظام ثلاثي العدد (كاللغة العربية مثلاً)، أو رباعي العدد (كاللغة الفيجية) التي تفرق رسمياً بين المفرد والمثنى والجمع القليل والجمع الكثير"².

ونجد كذلك أن فكرة التحليل الصوتي التطريزي تهدف، من جملة أشياء، إلى بيان ظلال المعاني في سياق الاستعمال. ولكن نجد أن "فيرث" يكرر في مواطن كثيرة من كتاباته أن دراسة اللغة هي بالدرجة الأولى دراسة المعنى. "وهذا التفكير يتخذ منحى واضحاً ومحدداً عند "هاليدي" الذي ينظر إلى اللغة على أنها نوع من السلوك الدلالي المحتمل "potential" meaning". . والمقصود بالسلوك الدلالي المحتمل هو ما يستطيع المرء أن يؤديه أو يفعله باللغة."³

والإبداع اللغوي "creativity" عندئذ لا يكمن، كما يرى التحويليون في قدرة المتكلم على توليد أو خلق جمل جديدة، وإنما يكمن في قدرة المتكلم على خلق معان جديدة. وهذا المثال يوضح الاختلاف الجذري بين اتجاه "شومسكي" العقلاني واتجاه "هاليدي" الوظيفي. فعلى حين ينظر "شومسكي" إلى اللغة على أنها شيء نعرفه، ينظر "هاليدي" إلى اللغة على أنها شيء نفعله. ويفسر "هاليدي" ظاهرة اكتساب الطفل للغة الأم بأنها تنطوي على تعلم لاستعمالات اللغة في الظروف الاجتماعية المختلفة، وللمعاني المرتبطة بهذه الاستعمالات. والتراكيب والكلمات والأصوات عبارة عن الوسائل والأطر التي تتحقق عن طريقها احتمالات المعاني.

¹. المرجع نفسه، ص 227.

². المرجع السابق، ص 229.

³. Halliday, M.A.K, Exploration in the Functions of Language, Edward Arnold, 1973, p 51.

هـ. النحو النظامي:

يعتبر "النحو النظامي" "systemic grammar" من أكثر الاتجاهات النظرية تكاملاً عند مدرسة لندن. وقد وضع أسسه النظرية البروفيسور "مايكل هاليدي"، ثم توسع أتباعه ومريدوه في التطبيقات والتفريعات. والنحو النظامي مبني على أساس تعدد وظائف اللغة "multiple functions". وهذا المبدأ ينعكس على النظام اللغوي، فنجد أن كل تركيب أو بناء لغوي يؤدي وظيفة مختلفة. وهذا يعني أن مستعمل اللغة يجد أمامه من الوسائل التعبيرية ما تمكنه من التعبير عن أفكاره ومشاعره. هذه الوسائل ليست في الواقع سوى الاستعمالات الفعلية للنظام اللغوي. ومن ثم فإنه من الصحيح أن نقول إن الوسائل التعبيرية المتاحة للمتكلم، أو الاستعمالات التي من الممكن أن يلجأ إليها مستعمل اللغة تكون في حدود الإمكانيات اللغوية الموجودة في اللغة. هذه الإمكانيات عبارة عن خصوصيات كل لغة. هذا التركيز على الجانب الوظيفي للغة من قبل النحو النظامي، يجعل المهمة الرئيسية التي ينبغي الاضطلاع بها منذ البداية هي تصنيف هذه الوظائف الرئيسية ضمن نظام نحوي يعكس بالدرجة الأولى تلك الاستعمالات. والنظام النحوي الذي قدمه "هاليدي" عبارة عن شبكة ضخمة من العلاقات المتداخلة لأنه مبني على وظائف اللغة كما تصورها. ويمكن توضيح هذه الفكرة من خلال التطرق لفكرة التعدي واللزوم في اللغة.

إن نمط التعدي واللزوم عند "هاليدي" يتمثل في العلاقات التي يمكن تأسيسها ما بين "النشاط" "process type" و"المشاركين" "participants".

ولنقرأ الجمل التالية:

1. بكى الطفل.
2. أركض في المساء.
3. انفجر الوضع الأمني في العراق.

4. مرض عميد الكلية في بداية الفصل الدراسي.

تحتوي كل جملة من الجمل السابقة على عنصرين:

أ. نشاط يمثله الفعل.

ب. ومشارك واحد هو عبارة عن الاسم سواء أكان عاقلا أم جمادا. وإذا تأملنا الأمثلة السابقة لتتعرف على نوع النشاط فيها، فسنجد أن المثالين 1 و2 يدلان على "حركة" "action" ، بينما المثالان 3 و4 يبينان "حدثا" "event" . والمشارك الذي يرتبط مع نشاط يدل على حركة يسمى "عامل" "actor" . أما المشارك الذي يرتبط مع نشاط يدل على حدث فيسمى "متأثر" "patient" .

وحيثما يقتصر النشاط على العامل أو المتأثر فهو "نشاط قاصر" "non-directed action" . أما حينما ينطلق النشاط من العامل ولا يتوقف عنده بل يتجاوزه إلى عنصر ثان في الجملة فهو "نشاط مجاوز" "directed action" ، كما في الأمثلة التالية:

5. كتبت الطالبة النجبية بحثا جيدا.

6. شرح المعلم الدرس.

وهذا العنصر الثاني يطلق عليه مصطلح الهدف لأنه عبارة عن نتيجة النشاط أو أثر النشاط الذي قام به العامل. ونجد في بعض التراكيب أن ما يمثل نتيجة النشاط هو عبارة عن مشارك نطلق عليه مصطلح الظرف، كما في الأمثلة التالية:

7. أشار الأستاذ إلى السبورة.

8. غرد العصفور فوق الشجرة.

9. جلس التلميذ على الكرسي.

أما في الأمثلة التالية:

10. يكلف الكتاب عشرين ديناراً.

11. يشبه زيد أباه.

12. يملك علي سيارتين.

13. بدت الفتاة سعيدة.

إن الأفعال في هذه الأمثلة تشبه النوع الثاني من أنواع النشاط (النشاط المجاوز) والإعراب الشكلي الظاهري يعامل (5،6) و (10،13) معاملة واحدة ولكن الأمر بالنسبة للجمل الأخيرة (10،13) مختلف. فنحن نرى أن النشاط في تلك الأمثلة (أي الفعل) ليس حركة وليس حدثاً، ولكنه يعبر عن وضع من الأوضاع "state"، ولذلك فهو فعل وضع "stative-verb". أما الاسم المرفوع الذي يأتي بعد الأفعال فلا يقوم بعمل ولا يتأثر به، ومن ثم فلا يصح أن نطلق عليه مصطلح العامل. وبالتمعن في وظيفته نجده عبارة عن شيء يتصف بالحقيقة التي يرد ذكرها في النشاط (المذكور قبله). وقد يكون الوصف عدداً وقد يكون اسماً صريحاً.

ونجد في اللغة العربية جملاً من قبيل ما يلي:

14. أعطى ابنه مبلغاً من المال.

15. منح المدير كاتبته إجازة مرضية.

16. أهدى زوجته خاتماً من ذهب.

إن الأفعال في هذه الجمل أفعال حركة، والنشاط فيها بطبيعة الحال من النوع المجاوز. ولكننا هنا بإزاء نوع مختلف من النشاط. فالحركة التي تصدر من العامل ذات بعدين. فهي من جانب تؤثر في شيء (غالباً ما يكون عاقلاً)، وهي من جانب آخر تبين الأثر الذي ترك في هذا الشيء نتيجة للنشاط. وهذا يعني أن هناك مشاركين اثنين (غير العامل) في هذا النوع من الجمل. ولو أعدنا قراءة الجمل السابقة (14، 16) بدقة فسنجد أن المشارك الأول منهما عبارة عن شيء أو عنصر استفاد من العمل

الذي صدر من العامل. أما الثاني فهو الشيء المستفاد، أي أنه مجرد أثر أو نتيجة للنشاط. وتبعاً لهذه الوظائف فنسمي الأول "مستفيد" "beneficiary"، وسنسمي الثاني "هدف".

منح	المدير	كاتبته	إجازة	مرضية
نشاط	عامل	مستفيد	هدف	صفة

هذه مجموعة محددة من الجمل المستعملة في اللغة العربية، والقصد منها هو رسم صورة توضيحية لكيفية تداخل الأدوار والمشاركين في النحو النظامي. وهذه الأمثلة المحددة تعتبر بحد ذاتها كافية لتوصلنا إلى الخلاصة التي نريد التوصل إليها. إن النحو النظامي يلغي ذلك التقسيم الحاسم للأفعال إلى لازم ومتعد، والذي ينبثق من أسس صرفية، ويعتبر التعدي واللزوم من وظيفة الجملة بأكملها، لأن الوظائف اللغوية تؤدي عن طريق الجملة المتكاملة. ويكون تحديد الأدوار ونوعية المشاركين على أساس وظيفتها الدلالية في الجملة. ولذلك فإنه يجب أن نعتبر "العامل" و "الهدف" وغيرهما من الأدوار الوظيفية على أنها وظائف دلالية وليست وظائف نحوية. ومن الواضح بعد ذلك أن نرى "هالدي" يحاول أن يقيم نظاماً نحويًا على أسس دلالية وظيفية، لأنه يعتقد أن نحو كل لغة مصمم

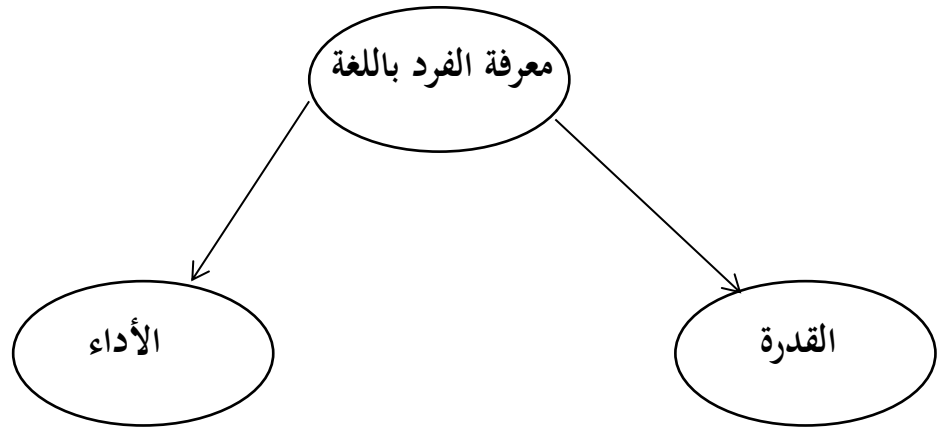
بطريقة معينة تمكن المستعمل من أداء المعاني المختلفة. والحقيقة الواضحة عندئذ أنه حينما نكتب نحو لغة ما فإننا نبحث عن وسائل أداء تلك المعاني.

ولكن هذا النمط من التحليل الذي يعول على وظيفة الجملة في التعبير تعويلاً تاماً لا يخلو من صعوبات. وقد صرحت "مارغريت بري" "Margaret Berry 1832-1918"، وهي من أقطاب هذا الاتجاه، "بأنه من السهل أن نفكر في أمثلة حيث يتداخل ما نظنه نظامين ضمن نظام واحد"¹. وهي تقصد أن تحديد وظيفة المشارك على وجه الدقة قد لا يكون أمراً سهلاً في بعض الحالات.

¹ Berry, M, Review of Halliday, Nottingham Linguistic Circular, 1982, p64.

5. الوظيفة عند هايمز:

إن النمط الوظيفي الذي اقترحه "هايمز" "Hymes 1927-2009" يعتبر في جوهره رد فعل للتيار العقلاني الذي نشره "شومسكي" وأتباعه منذ منتصف الستينات. لقد قصر "شومسكي" معرفة الفرد بلغته على الملكة الذهنية التي سماها "القدرة"، والجانب التنفيذي الذي سماه "الأداء". والقدرة تتمثل في تمكن الفرد من القواعد الضمنية التي يلجأ إلى استعمالها أثناء الأداء. "أما الأداء فهو الاستعمال الفعلي للغة"¹.



أ. انعكاس القدرة

أ. التمكن من جميع القواعد الضمنية

ب. توليد عدد لا متناه من الجمل الصحيحة نحويًا ب. الخلق (أو الإبداع) استخدام القواعد

اللغوية في سياقات جديدة

والأمر اللافت للنظر في هذا التعريف ان "شومسكي" يرى أن معرفة الفرد بلغته تنحصر في الملكة النحوية التي يتمتع بها هذا الفرد والتي تمكنه من توليد الجمل الجديدة. لقد توقف "هايمز" عند هذه النقطة بالتحديد، ورأى أن تعريف "شومسكي" للقدرة اللغوية تعريف ضيق لا يناسب الطبيعة

¹ . Aspects of the Theory of Syntax, MIT Press, Cambridge, Mass, 1965, p4

الاجتماعية للغة. ومن ثم فقد اقترح أن تستبدل بفكرة "القدرة على الاتصال" "communicative competence". إن اللغة وسيلة اتصال في المجتمع، ومن ثم فإن أي حديث عن قدرة المرء على اللغة ينبغي أن يُربط باستعمال اللغة في بيئة ثقافية حضارية معينة. ويرى "هايمز" "أن قدرة المرء على اللغة لها أربعة مظاهر تتبع كلها من استعمال اللغة"¹:

أ. إلى أي حد يكون الشيء ممكناً "possible" (نحوياً). وهذا المظهر يشير إلى إمكانيات اللغة وانفتاحها.

ب. إلى أي حد يكون الشيء معقولاً "feasible" استناداً إلى وسائل التنفيذ الماحة. والتركيز هنا على الجوانب النفسية التي نستخدمها في تنفيذنا للغة، مثل الذاكرة والتخطيط الذهني للكلام، والفهم إلخ.

ج. إلى أي حد يكون الشيء مناسباً "appropriate" وذلك ضمن السياق الذي يستعمل فيه الشيء. وهذا يشير إلى فكرة الاستعمالات اللغوية "language registers" والأساليب اللغوية التي يلجأ مستخدم اللغة إليها في الظروف المختلفة متخذاً لكل حالة ما يناسبها من مفردات وطريقة تعبير، مع مراعاة الأعراف والتقاليد الاجتماعية.

د. إلى أي حد يكون الشيء قد أنجز (من حيث الأداء). أي ماذا نطق المتكلم من عبارات وجمل وماذا يستتبع هذا النطق من سلوك. وهذا المظهر يتكلم عن محوري المتكلم والمتلقي في آن واحد: ماذا يستطيع أن يقوله الفرد كمتكلم، وماذا يستطيع أن يتقبله كمتلقي.

والصورة النهائية التي يمكن أن نخرج بها بعد قراءتنا لهذه المظاهر الأربعة هي أن مفهوم "القدرة" لم يعد مقصوراً على المعرفة البحتة بقواعد اللغة وتوليد عدد لا متناه من الجمل، وإنما أدخلت فيه اعتبارات وظيفية جعلته يشمل أموراً أخرى من بينها.

¹ Hymes, D, On Communicative Competence, J.B, Pride and J. Holmes Harmondsworth, Penguin Books, 1968, p281

أولاً: إنه يفسح المجال لعنصر النية أو القصد في التعبير. فقد يستعمل المتكلم في موقف ما جملة تبدو من حصيلته مفرداتها أنها جارحة أو تنطوي على إهانة، ولكن المتكلم يقصد بها المزاح أو الدعابة في ذلك الظرف. وذلك كأن يقول أحدهما لصديق أو زميل في العمل رآه لتوه قد صعد السلم وهو يتنفس بقوة: "هكذا العجائز، حينما يصعدون على السلم يلهثون، ويحتاجون إلى ساعة لالتقاط أنفاسهم" وبالتالي فإن الأمور ستضطرب لو أن السامع حمل الأمر محمل الجد.

ثانياً: إنه يصرح بوجود مهارات أخرى عديدة يتمتع بها المتكلم والمتلقي بحكم كونهما أفراداً في بيئة اجتماعية - ثقافية معينة، مثلاً مهارة الاستماع وإظهار الكياسة والأدب، والرغبة في الإبقاء على مودة زمالة العمل.

ثالثاً: إنه يؤكد على أهمية التقاليد الاجتماعية والأعراف والموروثات الشعبية في استعمالنا للغة وفهمنا وتحليلنا لها.

والملاحظ في اتجاه "هايمز" أنه لا يقترح نموذجاً لغوياً يمكننا من الاستفادة من هذه الملامح الاتصالية في التحليل، كالذي وجدناه مثلاً عند مدرسة براغ ومدرسة لندن. ولذلك فإن النموذج الوظيفي الذي يقدمه عبارة عن مقترحات عملية في الجانب الدلالي على وجه الخصوص. ومن الممكن توظيف النموذج في مجال تحليل النصوص "text analysis". وفي هذا المجال نجد أن آراء "هايمز" تلتقي مع آراء "هاليداي" التقاء واضحاً.

خامساً: التطورات الحديثة في الاتجاه الوظيفي

اتخذ الاتجاه الوظيفي منعطفاً واضحاً عند اللغويين الغربيين في جامعات هولندا وألمانيا وبلجيكا واليابان وغيرها. وهذا الاتجاه الجديد يجمع بين المرتكزات النظرية للاتجاه الوظيفي، وبين المنطق

الصوري. لكن الواضح أن الاتجاه الوظيفي في شكله المطور والذي يسميه أصحابه بالنحو الوظيفي "

"Functional grammar"، يتعامل مع ثلاثة مستويات في التحليل، لكل واحد منها مجاله

ومصطلحاته. يرى "سايمون ديك" " Simon c. Dik 1940 " ، وهو أحد أبرز هذا الاتجاه وكتابه، "أن

جملة مثل: "أكل خالد التفاحة" يمكن أن تحلل على ثلاثة مستويات مختلفة:

1. المستوى النحوي:	فعل	فاعل	مفعول به
2. المستوى الدلالي:	فعل	عامل	هدف
3. المستوى البراغماتي	مسند	متمم	
	Theme	tail	
أو	موضوع	بؤرة ¹	
	Topic	focus	

"وهناك من الوظيفيين المعاصرين من يكتفي بمستويين اثنين: مستوى يمثل التمثيل النحوي والدلالي

للعناصر " representational level " ومستوى يمثل العناصر المشاركة في الحديث اللغوي

"interpersonal level" ².

والجملة في "النحو الوظيفي" عبارة عن إسناد "prediction"، وهذا الإسناد يتكون من عدد من

المسميات "terms" التي هي عبارة عن تعبيرات "expressions" لها خاصية الإشارة، أي مسميات

يمكن أن تستعمل للإشارة إلى موجودات في العالم. ونحن نستطيع أن نتوصل إلى الإسناد وذلك بأن

نملاً ما يمثل خانة المحمول "predicate" (وهو يبين العلاقة ما بين الموجودات أو خصائص

الموجودات) وأن نملاً ما يمثل خانة الحجة "argument" (التي هي عبارة عن المسميات التي تستبدل

¹ Dik Simon, Functional Grammar, North Holland Publishing Company, 1978, p 13.r.

² Hengeveld, K, Layers and Operators in Functional Grammar, JL,1989, p128.

بها المتغيرات). ثم بعد ذلك تأتي الفضلات أو المكملات "stelites" (أي ما ليس بعمدة مثل الحال والتمييز والصفة....).

وهكذا فلكل جملة إطار إسنادي مصمم لبيان وظيفتها. وفي هذا الإطار الإسنادي يتم استبدال المتغيرات بمسميات تتفق في خصائصها الاختيارية مع المحمول. أي أن الإطار الإسنادي الثاني لا يصلح لتحليل جملة مثل "اغتيال الظلم فكري" لأن العامل والهدف كليهما أسماء مجردة. "ونجد في بعض الكتابات المعاصرة أن هذه المتغيرات يتم استبدال قيمها برموز منطقية على مستوى التمثيل الشكلي"¹

ولعلنا نلاحظ هنا أن النمط الوظيفي في شكله المطور يختلف عما قدمته المدارس الوظيفية السابقة من تحليل غير معقد مستمد من الاستعمال المباشر وليس من تطبيق المنطق. ولم يكن الوظيفيون المتقدمون يقفون عند الوظيفة الذهنية في اللغة إلا بقدر ما تعكس قضية تخطيط المرء للغة. فنقطة الخلاف إذن بين المجموعتين هي أن الوظيفيين يخللون اللغة من خلال مصطلحات دلالية تدل دلالة مباشرة على وظيفة الجملة. بينما الوظيفيون الجدد يرون أن الوظيفة يمكن إبرازها بالإسناد المنطقي. ولكن الجميع يتفقون حول فكرة عامة تجعل الاتجاه الوظيفي متميزا من بين الاتجاهات اللغوية الأخرى، وهذه الفكرة تتمثل في أن اللغة أداة اتصال في الحياة الاجتماعية، وأن القواعد الاجتماعية والأعراف والتقاليد تتحكم في اللغة. وحينما نصف اللغة فإنه يجب أن نصفها من خلال وظيفتها في البيئة الاجتماعية التي تؤدي فيها تلك اللغة وظيفتها.

وقد أخذت الدراسات الوظيفية في السنوات الأخيرة تركز على المجالات المتعلقة بالأسلوب والمستويات اللغوية وأسس الترابط في النص " cohesion " ، وذلك من خلال تحليل النصوص " text analysis " . وهذا المصطلح يطلق على الدراسة الوظيفية لمكونات النص اللغوي سواء أكان هذا النص عبارة عن عمل أدبي مطبوع " written text " ، أم كان مجرد نص منطوق " oral text " . ولكن نظرا لأن

¹. المرجع السابق، ص 131.

اختلاف نوعي النص (المكتوب والمنطوق) يثير قضايا تفصيلية مختلفة، فقد انفردت اللغة المستعملة في التحاور والمناقشات بمصطلح خاص يدل دلالة مباشرة على نوع الدراسة، وهذا المصطلح هو (تحليل المحادثة) "discourse analysis". وفي هذا المجال يكون التركيز على ظواهر تبرز في لغة الكلام خاصة، مثل النبر والتنغيم، والتقسيم المقطعي للكلمات، وإيقاع الكلام، وتقسيم الكلام إلى وحدات لغوية حسب المعلومات التي يريد المتكلم التعبير عنها.

الفصل الثاني

التواصل اللغوي

الفصل الثاني: التواصل اللغوي

المبحث الأول: بين اللغة والتواصل

مقدمة:

شهدت نظريات التواصل تطورا هاما منذ عشرينيات القرن الماضي، وتعمقت أشكال البحث والتحليل والمقاربة في هذا الإطار، بموازاة مع تطور التقنيات التواصلية وعولمتها، بحيث أصبحت المجتمعات الحديثة مجبرة على التواصل، نظرا لارتباط هذه العملية بمصالحها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. لذلك، أصبحت قضايا التواصل مجالا لمقاربة العديد من الحقول مثل: اللسانيات والسيميولوجيا، والسبرنتيقا، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، والفلسفة، وغيرها...

ويرجع هذا التنوع على مستوى المقاربات إلى تنوع أشكال التواصل وتعددتها: فمن التواصل الجسدي القائم على الحركات الإشارية، إلى التواصل الشفاهي والكتابي الذي تستخدم فيه رموز اللغة، إلى التواصل الجماهيري الذي تطور بوتيرة سريعة مع تطور الوسائل السمعية البصرية (سينما، تلفزة) إلى التواصل الرقمي الذي يركز على تقنية الانترنت، كنتاج من نتاجات العولمة الاقتصادية والتكنولوجية.

وتتجاذب قضايا التواصل حقول متعددة مثل: نظرية الإعلام والسيميولوجيا وعلم الاجتماع واللسانيات والبيداغوجيا والفلسفة والأنثروبولوجيا إلخ.. وقد برزت الأبحاث في مجال التواصل في العقود الأولى من القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية، مع مدرسة شيكاغو (1910) التي اهتمت بأشكال التواصل الاجتماعي داخل المدن في إطار دراستها لقضايا الهجرة ومدى اندماج المهاجرين في المجتمع الأمريكي.

وبرزت إثر ذلك أعمال رائدة لكل من "لاصوليل" "G. Iassuel" الذي اهتم بوظائف التواصل عبر دراسته لتقنيات الدعاية (1927)، و"شانون" "Claude Elwood Shannon"، و" ويفر" "Weaver"، اللذين وضعوا الأسس الفكرية لما يعرف بـ"نظرية الإخبار" وذلك ضمن مؤلفهما

"النظرية الرياضية للتواصل" " Théorie Mathématique de la Communication " (1948) وهو ما سيفسح المجال أمام حقول متعددة، للاهتمام بالفعل التواصلية من مختلف الجوانب: اللسانية والاجتماعية والنفسية والتقنية. وسينتج عن هذا التعدد على مستوى المقاربات، تنوع وغنى مفهومي وتشعب للقضايا وتباين للأطروحات، مما يجعل من نظريات التواصل والتلقي في وقتنا الحالي، ميدانا للتلاقح بين مختلف الحقول المعرفية، لأن الفعل التواصلية يتجلى عبر مختلف مستويات الممارسة الاجتماعية، ثقافية كانت أو سياسية أو اقتصادية أو إيديولوجية.

فما المقصود بالتواصل؟ وبأي معنى نتحدث عن الوظيفة التواصلية للغة؟ وما هي الأهمية التي يكتسبها الدليل والرمز والمعنى والتأويل في هذا الإطار؟

أولا. مفهوم التواصل:

أ. لغة:

يعني الوصول إلى الشيء أو بلوغه أو الانتهاء إليه، أما كلمة "communication" الإنجليزية المشتقة من الأصل اللاتيني "communis"، فمعناها عام أو شائع أو مألوف، وتعني الكلمة المرسلّة الرسالة الشفوية أو الكتابية، شبكة الطرق أو شبكة الاتصالات، كما تعني تبادل الأفكار والمعلومات عن طريق الكلام أو الكتابة أو الرموز.

وتستمد كلمة (تواصل) و (اتصال) معناها من (وصل). يقال "وصلت الشيء وصلا وصلّة، والوصل خلاف الفصل"¹. وتفيد كلمة (تواصل) المشاركة، أي تبادل الكلام وعدم المقاطعة، لأن (التواصل ضد التصارم). " والتصارم مأخوذ من (صرم، صرما) أي قاطعه في كلامه"². جاء في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام: " لا يحل لمسلم أن يصرم مسلما فوق ثلاث". أي يهجره وينقطع عن مكالمته³.

¹. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (إبن منظور)، لسان العرب، دار صادر، ط، 2003، 11/ 726

². المرجع نفسه، (صرم) 334/12.

³. المرجع نفسه، (صرم) 334/12.

وفي القاموس المحيط اشتقت كلمة (تواصل) من الفعل (وصل) الشيء بالشيء (وصلا) و(صلة) أي بلغه وانتهى إليه ولم ينقطع. وفي المعجم الوسيط جاءت كلمة (تواصل) في باب (أوصله) الشيء أي أخاه أو إبلاغه إياه. و(توصل) إلى الشيء انتهى إليه وبلغه. وفي "مختار الصحاح" وردت كلمة (تواصل) مشتقة من الفعل (وصل).

ويعرف التواصل لغة أنه الاتصال والصلة والترابط والالتئام، فالاتصال في اللغة لا يخرج عن معنى القرب وبلوغ الغاية.

أما في القرآن الكريم، فإن لفظة (اتصال) لم ترد على هذا النحو إلا في آية واحدة، وهي قوله تعالى في سورة النساء ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِئْثَةٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يُقْتَلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْتَلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾، وقوله تعالى في سورة القصص ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ فيه تأكيد منه - سبحانه - أنه أنزل عليهم القرآن متواصلًا متتابعًا يتبع فيه بعضه بعضًا، وهذا هو معنى الآية في ظاهرها.

التواصل من " تواصل " على وزن تفاعل الذي يدل على :

- المشاركة بين اثنين فأكثر ، مثل : . تقاتل زيد وعمرو ، تجادل زيد وعمرو وعلي .
- التظاهر : ومعناه الادعاء بالاتصاف بالفعل مع انتفائه عنه ، مثل : تناوم ، تكاسل ، تجاهل .
- الدلالة على التدرج أي حدوث الفعل شيئًا فشيئًا ، مثل : تزايد المطر ، تواردت الأخبار .
- المطاوعة : وهو يطاوع وزن " فاعل " ، مثل : باعدته فتباعده ، واليته فتوالى.¹

ب. اصطلاحا:

¹. د. عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1998، ص36.

نتناول فيما يلي مجموعة من التعاريف التي وضعها العديد من المتخصصين الأجانب قد تساعد في تقديم صورة مبسطة لمعنى التواصل:

- عرف عالم الاجتماع "شارلز كولي" "C.H. Cooley" عام 1909 الاتصال "بأنه ذلك الميكانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية وتنمو، وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان. وهي تتضمن تعبيرات الوجه والإيماءات والإشارات ونغمات الصوت، والكلمات والطباعة والخطوط الحقيقية والبرق والتليفون وكل تلك التدابير التي تعمل بسرعة وكفاءة على قهر بعدي الزمان والمكان"¹.
- ويرى "ريتشاردز" "J.A.Richards" عام 1928 أن الاتصال يحدث حين يؤثر عقل في عقل آخر، فتحدث في عقل المتلقي عبرة مشابهة للتي حدثت في عقل المرسل ونتجت جزئياً عنها. يقول "ريتشاردز" "إن الاتصال يتم عندما يؤثر عقل ما (مرسل) من خلال بيئة معينة على عقل آخر (مستقبل)، وفي هذا العقل الآخر تحدث خبرة معينة تشبه الخبرة التي كانت في العقل الأول"
- وتورد دائرة المعارف البريطانية في المجلد 16 التعريف نفسه وتعتبر وجهة نظر "ريتشاردز" للاتصال، والذي قدمه 1928 من أوائل التعريفات للاتصال، ومن أفضلها في بعض الوجوه. وتورد تقريراً عن "جورجين ريوتش" "Jurgen Ruesh 1910-1995" يذكر فيه أربعين تعريفاً لمفهوم الاتصال، ومداخل كثيرة تتناوله منها ما هو معماري Architectural، ومنها ما هو نفسي Psychological، ومنها ما هو أنثروبولوجي Anthropological، وأخيراً منها ما هو سياسي Political²

¹. Jean Pierre Pétard, Psychologie sociale, 2 édition, Bréal, 2007, p29.

². Britanica, The New Encyclopedia, Macromedia, 104, p 685.

- وأما (كارل هوفلاند) "Karl Hofland" فيعرف الاتصال بأنه العملية التي يقدم خلالها القائم بالاتصال منبهات (عادة رموز لغوية) لكي يعدل سلوك الأفراد الآخرين (مستقبلي الرسالة)¹.
- و في 1949 ألف كل من "كلود شانون" "Claude Shannon" و "وارون ويفر" "Warren Weaver" كتابهما "النظرية الرياضية للاتصال" "Théorie mathématique de la communication"، والذي ورد فيه أن "الاتصال يمثل كافة الأساليب والطرق التي يؤثر بموجبها عقل في عقل آخر"².
- وفي 1951، عرف "ج.أ. ميللر" "G.A. Miller" الاتصال بقوله: "يحدث الاتصال عندما توجد معلومات في مكان واحد أو لدى شخص ما ويريد توصيلها إلى مكان آخر"³.
- ويعرف "مارتن أندرسون" "M. Anderson" 1959 الاتصال "بأنه العملية التي نفهم من خلالها الآخرين ويفهموننا وهو عملية ديناميكية حيث أن الاستجابة دائمة التغير حسبما يمليه الوضع العام كله"⁴.
- وفي 1969 يعرف "إبراهيم إمام" الاتصال بأنه "حامل العملية الاجتماعية والوسيلة التي يستخدمها الإنسان لتنظيم واستقرار وتغيير حياته الاجتماعية ونقل أشكالها، ومعناها من جيل إلى جيل عن طريق التعبير والتسجيل والتعليم"⁵.
- ويرى "محمود عودة" عام 1971 " أن مفهوم الاتصال يشير إلى العملية التي تنتقل بها الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين يختلف من حيث الحجم ومن حيث محتوى العلاقات المتضمنة فيه بمعنى أن يكون هذا النسق الاجتماعي مجرد

¹ . Suzan T.Fiske, Psychologie sociale, de Boeck, 2004, p 48.

² . Claude Shannon et Warren Weaver, Théorie mathématique de la communication, Cassini eds, 2010, p 135.

³ . G.A. Miller, Language and communication, Mc Graw Hill Book company, New York, 2010, p 238.

⁴ . Stephen W. Littlejohn, Karen. A. Foss ; « Théories of Human Communication », 9th edition, Thomson

Wodsworth, 2008, p312

⁵ . إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلو المصرية، 1998، ص 25.

علاقة ثنائية نمطية بين شخصين أو جماعة صغيرة أو مجتمع محلي أو مجتمع قومي أو حتى المجتمع الإنساني ككل"¹.

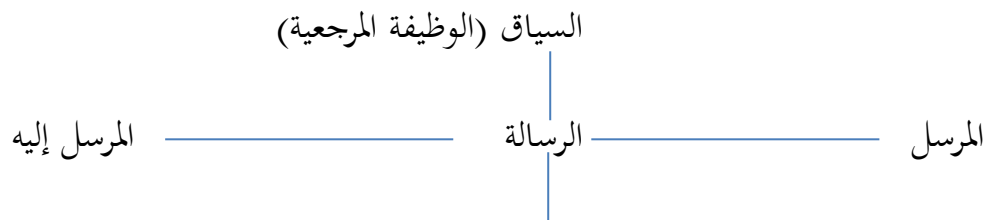
"والخلاصة أن كل تعريف من هذه التعاريف له مزاياه باعتبار أنه يقدم معنى إضافيا يزيد من فهم ظاهرة الاتصال، ويعكس وجهة نظر عدد من الباحثين والمتخصصين الذين درسوا الاتصال رغم اختلاف تخصصاتهم ما بين الهندسة والاجتماع والإعلام والسياسة وعلم النفس... إلخ"².

ج. نظرية التواصل:

وتعد نظرية التواصل "communication" من آلاء الدرس اللساني الحديث في تشريحه لجهاز الفعل الكلامي والوقوف على الأطراف الفاعلة فيه، وقد تبلور هذا الصنيع لدى "رومان جاكبسون" "Roman Jakobson" في ترسيمته لعناصر الفعل التواصلية وما يتولد عنها من وظائف لغوية.

وتقوم نظرية التواصل على ستة عناصر فعالة، تمثل الأطراف الرئيسية في كل عملية تواصلية، هي: المرسل "destinateur"، والمرسل إليه "destinataire"، والرسالة "message"، والسياق "contexte"، ووسيلة الاتصال أو الصلة "contact"، و الشفرة "code".

وكل هذه العناصر الستة تولد وظيفة لغوية، بالشكل الذي يبرزه المخطط (الجاكسوني) الشهير:³



¹. محمد عودة، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص 30.

². سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجمهير والرأي العام، عالم الكتب، 1984، ص 21.

³. Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, librairie Larousse, Paris, 1973, p 96-99.

الوظيفة الإفهامية

الوظيفة الشعرية

الوظيفة الانفعالية

الصلة (الوظيفة الانتباهية)

الشفرة (الوظيفة المعجمية)

ومن الواضح في هذا الشأن أن هذه الوظائف اللغوية لا تسود بالدرجة نفسها في كل خطاب، بل تتباين درجة السيادة وتختلف من نمط خطابي إلى آخر؛ إذ تصبح الوظيفة الإفهامية "وظيفة مهيمنة" على الخطاب اللغوي العادي، مثلما تغدو الوظيفة الشعرية هي المهيمنة على الخطاب الأدبي الإبداعي، وهكذا دواليك...

ويشترط لتحقيق التواصل أن تكون الرسالة واضحة وأن يكون المتلقي منتبهاً وألا يحصل تشويش على قناة الاتصال، حتى يسمح بمرور الرسالة إلى المتلقي. والمقصود بالتشويش هنا، ضياع الخبر الناتج عن اضطراب في مدار التواصل.

وقد ركزت دراسات الفعل التواصلية أيضاً على "المصفاة" أو "الترشيح" "filtre" التي تعتبر عنصراً أساسياً في عملية التواصل. ذلك أن الرسالة وإرسالها واستقبالها، تظل رهينة بهذه المصفاة التي تتخذ أربعة أشكال وهي:

- المصفاة الفزيائية التي تتعلق بكل الظروف المادية، المتمثلة في القدرة على النطق والحركة والاستماع والمشاهدة.
- المصفاة الثقافية المرتبطة بالعادات والتقاليد وبالقيم الروحية التي تتبلور كقناعات، تساهم إما في الفهم الجيد أو الخاطئ للرسالة.
- المصفاة الذهنية المتعلقة بقدرتنا الفكرية على إنتاج واستيعاب بعض الرسائل من خلال مستوانا الثقافي وتجربتنا اليومية.

- المصفاة النفسية المرتبطة بمدى تعاطفنا مع محتوى الرسالة أو مع مرسلها أو مستقبلها، ذلك أن عملية الإسقاط النفسي والثقافي تشوش في بعض الأحيان على الرسالة الفعلية.
- وهنا يبرز الدور الفعال للمصفاة في الفهم والتفاهم وفي تبادل المعلومات والرموز بين الأطراف التواصلية، لأن هذه العملية تهدف إلى تحقيق نوع من التفاوض بين الأطراف المتواصلة، بغرض إنتاج المعاني وتصريفها، لذلك نعتبر كفعالية اجتماعية بامتياز.
- إن هذه المعطيات تسمح بإبراز أهمية التواصل، كمجال للتفاهم والتبادل والصراع والتحاور، كما تسمح بإبراز الدور الفاعل للغة كوسيلة تواصلية بامتياز، تطرح في إطارها قضايا الرمز والمعنى والتأويل.

ثانيا: اللغة والتواصل:

يعتبر البعض الإنسان حيوانا اتصاليا، ولا تقوم للمجتمع الإنساني قائمة ما لم تكن له أنظمة اتصال، حتى اعتبرها البعض شرطا من شروط البقاء البشري. والملاحظ أن تاريخ البشرية كان دائما متوازيا مع تطور وسائل الاتصال التي تربط بين الأفراد والجماعات.

لقد ظن البعض أن إعلام عصر المعلومات ما هو إلا رجوح كفة الوسائط التكنولوجية التي غزت جميع الميادين، لكن اتضح في الحقيقة ان الأمر أخطر من ذلك لأن كما هائلا متزايدا أصبح يتدفق من خلال هذا الوسيط الاتصالي الجديد. يضاف إلى ذلك التدفق العالي وطرق التوزيع والاستقبال.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية نجد أن النضج الذي عليه التداولية ماثل في شبكة معقدة من التنظيرات المتنافرة، ولكنها تأخذ بأعناق بعضها متقاطعة بكيفية أو بأخرى في مستوى بعض النقاط المفاتيح. ولذا فقد نتمكن من اختزال السؤال الأساسي للتداولية: "كيف تنتج اللغة العلمية أو اللغة العادية الدلالة، أي تأثيرات في السياق التواصلية لمستعملي تلك اللغة؟" لقد بقيت الجهود المتعددة

التي بذلها التداوليون عديمة الجدوى بالرغم من كثرة المحاولات. بل إن الأسس العلمية المتحكمة في تماشيات تلك الجهود تجعل السؤال متشعبا، ناهيك عن كونه استقرائيا، استنباطيا، تجريبيا وشكلانيا. إن التعابير الأكثر تعقيدا هي المتواترة، إذ تستعمل الكلمات نفسها أحيانا لتعيين تصورات مختلفة أو متباينة (أي مفعمة بالدلالات). وعلى حد تعبير "سفنز" " Lucien Sfez 1937"، الذي يرى "بأن كل شيء لدى الإنسان يرجع إلى التواصل لكونه كائنا اجتماعيا، وهذا الرأي يشكل افتراض تيار "بالو ألتو" " Palo Alto " بأنه لا يمكننا أن نضرب عن التواصل"¹. ويقصد بذلك أن التواصل يمكن أن يكون باستعمال اللغة أو بدون ذلك. فالحركات وتقاسيم الوجه والتصرفات وحتى الصمت في حد ذاته كلها أنواع من التواصل مع المتلقي. وترتكز هذه النظرية على فرضية أن تصرفات الإنسان اليومية عبارة عن تواصل. وإذا اعتبرنا أنه لا يمكن للإنسان أن يبقى من دون تصرف فإنه لا يمكنه أن يبقى من دون تواصل.

وأما العنصر الثاني فيؤكد فيه أصحاب هذه المدرسة أن كل تواصل يمثل مظهرين اثنين: هما المحتوى والعلاقة. فإذا كانت كل رسالة تبلغ معلومة، وفي نفس الوقت تقتضي تصرفا معينا، فإن المعلومة هي محتوى التواصل وأما الطريقة التي تؤدي بهل فهي العلاقة.

وأما العنصر الثالث وهو الأكثر أهمية، فإن التواصل إما أن يكون تناظريا وإما أن يكون رقميا. أما الرقمي فإنه يرتكز على الاتفاقات الدلالية للغة ما. فالكلمات ترمز إلى معاني، أما التناظري فهو يرتكز على التصرفات والإيحاءات التي ترمز إلى العواطف والرغبات.²

ومن خلال هذه التنظيرات نتأكد أن اللغة المتلفظ بها لها خاصية الارتباط بالإنسانية. أما ما يسمى باللسان فهي بنية عليا متحكمة في التواصل. وبالتالي فإن الدلالة الأولى للتواصل نجدها في أشكال التواصل السلوكية والعرفية (حركات وصيغ وطقوس). وفي إطار التطبيق الاجتماعي، تظهر اللغة

¹. التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ت صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، 2007، ص

المتلفظ بها من خلال موجات مختلفة تتجلى في أنواع من الألسنة. ولذا فإن لسانا ما هو تقريبا اللغة المميزة بالنسبة للإنسان وهي تعود، بعيدا عن اللسانيات الداخلية في حد ذاتها، إلى لسانيات أرحب مجالا نحو اللسانيات الاجتماعية أو نحو التحليل السيميائي الذي تعتمده التداولية.

1. اللغة والحياة والمجتمع:

إن السلوك الإنساني يخضع للمعايير من كل جانب، وإن كان من الصعب توحيدها. مثلا، يجب أن نعرف كيف نصمت، وتعتبر الحشمة صفة حسنة، لكن شريطة ألا تصبح نوعا من اللامبالاة اتجاه الآخر. ويجب علينا أن نعرف كيف نتكلم، شريطة ألا نعتبر ثرثارين أو مزعجين. ونحن لسنا دوما مؤهلين لاتخاذ مبادرة التبادل أو إنهائه. كما أن تبدل المسافة تجاه الغير، يتم بحسب نوعية مبادلاتنا معه. "وقد مكنت الأبحاث في عملية القرب من تعداد الملاحظات والتجارب، حول الترابطات القائمة بين مضمون المحادثات وشروط الوضعية والمسافة التي تحددها"¹.

وتسمح لنا هذه الملاحظات بمعرفة كيف أن الكلام هو من الخطورة، بحيث أن كل جماعة اجتماعية تعمل على تحديد إجراءات لممارسة اللغة وإكسابها لأعضائها، كي تتلاءم مع القواعد المشكلة لعمل اللغة ذاتها. ففي التبادلات القائمة بين الناس، بما فيها التبادلات اللغوية البسيطة، تكون رهانات السلطة قائمة دوما.

ويمكن القول بأن اللغة التي نتقاسمها مع أفراد مجتمعنا، تضع رهن إشارتنا المشتركة، صيغة أولى للتجريد، مما يسمح بالقيام بالتواصل لكن هذه الصيغة لا تشكل حاجزا يصعب اجتيازه. وسيكون من التناقض أو على الأقل من التعسف، أن يكون الأمر كذلك. فالتواصل بين الناس ليس شبيها بالتواصل بين النحل، لأنه لا يحتزل في نقل الإشارات الهادفة إلى إثارة سلوكات تكيفية، بل يسمح

¹ E.T. Halla, le langage silencieux, trad fr, J.Mesrie, Mame, 1973, .

لكل واحد منا بأن يدرك بأنه يستحيل عليه التأكد من فكرته ما لم يواجهها بفكرة الغير، وبالتالي يتوجب عليه قبول الاحتجاج والسجال لبلوغ ما يفكر فيه الغير. فلو كانت اللغة تفرض عليه صياغة صارمة للتجربة، لما تلاءمت من بعد الانفتاح اللامحدود على الآخر والذي يخلق روابط بين الناس، تتجاوز الحدود البيولوجية.

2. اللغة والفكر:

- اللغة كوسيلة للتعبير: من المسلم به أن اللغة تعبر عن الفكر؛ فهي لباسه وسبوره أو نسخته. وتكمن النواة المشتركة لهذه الصور، في أن الفكر بإمكانه أن يتبلور باستقلاله عن كل ترميز، وأن الوظيفة الخاصة للغة هي تقديم سند مادي أو بالأحرى ملموس، لإنتاجات النشاط الذهني، يسمح بخلق التواصل، لكنه لا يتدخل مباشرة في هذه الانتاجات. ويشكل هذا التمثل أساس أغلب نظريات اللغة في العصر الكلاسيكي. "واللغة في اعتقادهم لا تساهم في تشكيل الأفكار، بل تكتفي بعرضها خارجيا، بغرض نقلها إلى الغير. علما بأن هذا الأخير لا يتأثر إلا بزناات الصوت التي تستثير أفكاره. وتتجلى الأفكار بشكل مترابط، بفضل اللغة المشتركة بين المتخاطبين، لأننا عندما نتكلم، فإننا لا ننقل أفكارنا بقدر ما ندفع الغير إلى تشكيلها لحسابه الخاص"¹.

- ليست اللغة سوى الفكر، هذا الفكر الذي لا أملكه، لأنه يتكون لدي بدون مراقبة دقيقة من طرفي، وبالتالي فإن اللغة تكون مترسخة في الواقع كما نعتقد. فالأمر لا يتعلق باستخدامها فقط من أجل تغيير هذا الواقع بواسطة أوامر نقلها ولا بالتعلي عنه بواسطة أسئلة نظرها أو فرضيات نعمل على صياغتها. فحتى وإن بقينا على مستوى التأكيدات، فإننا لا نتكلم من أجل وصف الواقع. فحينما أقول "السماء زرقاء"، عندما تكون كذلك،

¹. la logique ou l'art de penser, Antoine Arnaud et Pierre Nicole, Galimard, 1992, p371.

فمن المحتمل جدا أن يجيبني بعضهم بكوني أتكلم دون أن أعني شيئا. وقد يتساءل البعض عن السبب الذي جعلني أتفوه بهذه الجملة. وإذا ما قلت بالمقابل، "وأخيرا أصبحت السماء زرقاء أو لا زالت السماء زرقاء"، فإن هاتين الجملتين بإمكانهما توجيه النقاش نحو المتعة الناتجة عن زوال رمادية الأيام السابقة أو نحو الإرهاق الذي تسببه استمرارية الحرارة المفرطة. فنحن لا ننهي الصمت عندما نشير إلى ما يراه كل واحد بنفسه، وعندما نتكلم، فإننا نريد بالأحرى التذليل على الاختلاف الذي يمكن أن يحصل مع ما يعرفه الغير بشأن المعطى الفيزيائي أو غير الفيزيائي، والذي قد يؤدي إلى سوء الفهم.

لذلك فإن إحدى الوظائف الأساسية للغة، تتمثل في السماح لنا بالتعرف بشكل متبادل، على تصورنا لما هو معطى. فعبارة "وأخيرا أصبحت السماء زرقاء"، تتحدث عن حالة السماء، لكنها تعبر في نفس الوقت عن تقييم المتكلم لهذه الحالة. ومن المحتمل ألا تهم المخاطب إلا من هذا الجانب الثاني، ما دام الجانب الأول لا يهيمه في شيء. وهو ما جعل البعض يعارض كل فلسفة للغة، تحتم على هذه الأخيرة تقديم صورة للعالم بمعنى التمثيل المطابق. فاللغة، وإن كانت مجرد تأكيدات، فهي لا تهدف إلى وضعنا أما معطى مكرر.

3. بين الاتصال والتواصل:

من خلال ما سبق يتضح أن "الاتصال" و"التواصل" مشتركان في الجذر اللغوي "وصل" وكلاهما مصدر، فالأول "اتصال" للفعل المزيد "اتصل" على وزن "افتعل"، قلبنا فيه "الواو" "تاء" ثم أدغمت في التاء المزيدة. والثاني "تواصل" للفعل المزيد "تواصل" على وزن "تفاعل" ومن هنا، وعلى الرغم من كونهما لا يأتیان في غالب الأحيان إلا متلازمين، يختلفان في المعنى وإن كانت هذه الاشتقاقات لا تكاد تبتعد عن المفهوم العام.

فوزن "افتعل" وإن كان من معانيه كما يقول الصرفيون "الاشتراك"¹، فإن فعل "اتصل" لا يدل على هذا المعنى، لأنه لا يقع من فاعل واحد، وهو لا يتعدى في معناه الوضعي مجرد إقامة علاقة مع شيء أو شخص عن طريق وسيلة معينة، ولا يدل على معنى التواصل، وهو ما يقابله في اللغة الفرنسية: Etablir une relation ou un lien وفي الإنجليزية Establish a relationship or link

أما الفعل الثاني "تواصل" فهو يدل، كما سبقت الإشارة، على المشاركة في القيام بالحدث بين أكثر من اثنين في وقت واحد، ولا يمكن أن يحدث فعل التواصل من حيث الزمان، إذا ما ربطناه في معناه الإنساني بفعل التخاطب والتحاور بين شخصين أو أكثر، إلا بعد فعل الاتصال، بمعنى أن التواصل يلي مرحلة الاتصال، أو بعبارة أخرى لا يمكن أن يكون هناك تواصل من دون اتصال، وإن كانت هناك مواقف خاصة واستثنائية يحدث فيها اتصال، لكن من دون تواصل، وذلك إما لغياب أحد الطرفين في العملية التواصلية "الملقي والمتلقي" أو لسلبيتهما، أو لغياب الرسالة. ومن ذلك كما يحدث للبعض أحيانا أن يشكّل رقما هاتفيا للاتصال بشخص ما، ولكن بمجرد أن يرفع هذا الشخص السماعة يلتزم الطرف الآخر الصمت أو ينقطع الخط بينهما، فهل هذا اتصال أم تواصل؟ مما لا شك فيه أنه اتصال وليس تواصلًا .

ومن هنا يمكن القول إن الاتصال لا يعني أحيانا التواصل، في حين قد يعني التواصل الاتصال. وعليه فمفهوم التواصل أوسع من الاتصال، وهو ما يعبر عنه باللغة الفرنسية² "communiquer"، وباللغة الإنجليزية "communicate"، لأنه يحمل معنى فعل "Etablir un contact ou un lien" التي تعني: "اتصل"، وهو بحسب "الدكتور النيفر" ما يخالف ما ذهب إليه "عبد الجليل مرتاض" الذي يقول: "إننا نؤكد ما ألحنا إليه آنفا من أن الاتصال أكثر عموما من التواصل والتوصل والمواصلة"³.

ويرتبط التواصل في بعده الإنساني بالتخاطب والتحاور بين شخصين فأكثر، بمعنى أن التواصل يقتصر على الممارسة الفعلية الاجتماعية للغة التي تتمثل في الإبلاغ والإخبار والاطلاع من خلال المشاركة في ما يجري بين الأفراد من أحاديث، وعليه فهو يخص التخاطب البشري، ويختص بدراسة

¹. المرجع نفسه، ص 36.

². Micro-Robert : dictionnaire du Français primordial ; S.N.L Le Robert 1977 P .201

³. د. نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات، ط1، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس، 1993 ص 157.

العلاقات بين الأشخاص الذين يفسرونها ويتأثرون بها، وهذا يعني أن التواصل يقوم على "نشاطين رئيسين هما : الكلام والاستماع ، هذان النشاطان لهما أهمية بالغة لدى عالم النفس باعتبارهما نشاطين عاليين للجهاز العصبي يحملان في ثناياهما عمليات تعكس طبيعة العقل البشري وقدرته"¹.

والملاحظ أن هذين الشرطين لا يتوفران إلا في اللغة المنطوقة أي في الكلام ، وهذا لا ينطبق على اللغة المكتوبة التي تعد من ضمن طرق الاتصال، وعليه يمكن الاستعاضة عنهما فيها بالقراءة والرؤية، ومن ثمة يمكن القول إن التواصل يقوم على الشروط الآتية: الكلام والاستماع أو القراءة والرؤية. ومما سبق نتبين أن مفهوم التواصل ينحصر أساسا في الممارسة الفعلية للغة، شفوية كانت أم خطية، في حين يقتصر الاتصال على الوسائل والأدوات والطرق التي تساعد على تحقيق وتجسيد هذه الممارسة في الواقع الملموس، والوسائل طبعا متعددة، فمنها اللغة الكلام، الكتابة الرموز، الإشارات، العلامات والرسوم... إلخ . ومن هذه الوسائل ما يستدعي وسائل أخرى، ففي الكلام مثلا قد نحتاج إلى الهاتف أو الصورة، وفي الكتابة نحتاج إلى الفاكس، البرقية الأنترنت... وما إلى ذلك مما توفره التكنولوجيا الحديثة، وهذا طبعا بحسب موقف وموقع كل من طرفي العملية التواصلية .

إلا أنه وعلى الرغم من هذا التباين في دلالة المصطلحين، فقد يراد بالاتصال عن بعد أحيانا التواصل والعكس صحيح، وهذا بالفعل ما أفرزته التقنية الحديثة في مجال الاتصال حيث أصبح "التواصل يعني انتقال المعلومات ومعالجتها"². ومن هنا فلا داع للاستغراب حينما نجد هذا الخلط في استعمال المصطلحين؛ حيث لم يعد هناك ما يميز الاتصال عن التواصل في كثير من التعاريف. ولعل أحسن مثال على ذلك ما جاء في معجم التربية أن الاتصال هو "نقل خبر ما من شخص إلى آخر، وإخباره به، وإطلاعه عليه، ويعني التواصل والتوصيل، أي إقامة علاقة مع شخص ما أو شيء ما، كما يشير إلى فعل التوصيل، كما أنه يعني التبليغ أي توصيل شيء ما إلى شخص ما وإلى نتيجة ذلك الفعل، كما يدل على الشيء أي يتم تبليغه والوسائل التي يتم التواصل بفضلها"³.

¹. المرجع نفسه، ص 157.

². المرجع السابق، ص 157.

³. عبداللطيف الفاربي، عبد العزيز الغرسان، محمد آيت موحى وعبد الكريم غريب، معجم علوم التربية : مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، م01، سلسلة علوم التربية، 9-10 ، دار الخطابي، 1994. ص: 81.

ومن جملة التعاريف التي ورد فيها التواصل بمعنى الاتصال تعريف "سامي ذبيان" الذي يقول :
"الاتصال عملية تتم بين طرفين يتخاطبان ، يستطيعان عن طريق الاتصال بينهما أن يتشاركا في فكرة أو رأي أو شعور أو عمل ما، ويمكن أن يكون كل طرف من الطرفين شخصا واحدا والآخر عدة أشخاص، فيكون الاتصال عن طريق التخاطب بين شخص ومجموعة "حال المدرس والتلاميذ" أو حال "زعيم سياسي يخطب في جماهيره، وأحيانا يكون التخاطب بين شخص واحد أو عدة أشخاص وبشكل غير مباشر كحال المذيعين الذين يتوجهون إلى مستمعيهم"¹ .

ومن البديهي أن اللغة تعد أهم منظومة لهذا التواصل، وقيل "إن التواصل هو التبادل اللفظي بين متكلم آخر ومخاطب ينتظر منه المتكلم الاستماع أو جوابا ضمنيا أو صريحا، وذلك حسب نوع العبارة، أو هو: عملية انتقال نبأ من نقطة إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر"²
والتواصل إقامة علاقة بين الناس على مستوى الكلام، وهو في الاصطلاح الحديث: "ليس أكثر من تبادل كلامي بين اثنين أو لنقل معلومات بين هذا الذي يؤدي أو يرسل الكلام (المرسل) وذاك (المخاطب) الذي يستقبله. وفي هذه الحال ينظر إلى التواصل ليس بالمنظور الشمولي للمعنى، بل على العكس بالمعنى الحصري له وخارج أنماط التواصل الأخرى (المواقف، المشاعر، الحالات النفسية... إلخ"³

والاتصال عملية يتم عن طريقها إحداث التفاعل بين الأفراد، أو عملية تبادل حقائق وأفكار وشعور وأفعال، أو جهد يبذله الفرد لينقل شيئا إلى فرد آخر أو إلى مجموعة من الأفراد، وقد أصبح الاتصال حقلا واسعا للدراسة، وحظي باهتمام كبير في السنوات الأخيرة مع تعقد العلاقات الاجتماعية وتطور النظريات الإدارية ونمو المنظمات وزيادة التخصص وتقسيم الأعمال وسرعة التغير والتطور العلمي والتكنولوجي وما صاحبه من ظهور أفكار وطرق جديدة لتحسين العمل. وأصبحت عملية الاتصال في الآونة الأخيرة من المكونات الرئيسية للعملية التعليمية التعليمية. وقد بدأت تظهر الكتب والمقالات

¹ سامي ذبيان، مدخل نظري وعملي إلى الصحافة اليومية والإعلام: الموضوع والتقنية والتنفيذ، دار المسيرة، لبنان ، ط1،

1979، ص 76.

² Jean Dubois et autres, Dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse 1973,p96.

³ بول فابر، مدخل إلى الألسنية، ترجمة عنبرة سلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص56.

عنها في السنوات الأخيرة، والتي تشير إلى نتائج الخبرات والدراسات المختلفة، وكان بعضها معنيا بالوصول إلى نظرية خاصة في الاتصال.

وهناك علاقة وثيقة بين اللغة والتواصل وهذه العلاقة مهدت لوجود مفهوم جديد على الساحة التربوية هو مفهوم التواصل اللغوي الذي يقصد به نقل المعاني بين المرسل والمستقبل باستعمال اللغة ، فعندما يتصل الإنسان بغيره اتصالا لغويا بغية التعبير عن الذات ونقل المشاعر والأحاسيس فهو إما أن يكون متحدثا، وإما أن يكون مستمعا، وإما أن يكون كاتباً، وإما أن يكون قارئاً .وفي كل الحالات يمر الإنسان بعمليات عقلية مضمونها ومادتها اللغة و عملية التواصل اللغوي تتم عادة عن طريق التفاعل المتبادل بين طرفين (مرسل) و(مستقبل) وبينهما رسالة لغوية (مكتوبة) أو (منطوقة) تسير في قناة تواصل لتؤدي إلى إشباع حاجات التواصل اللغوي، كالتعبير، أو الإفهام، أو الإقناع، أو التأثير، باستخدام قدر من الكفاءة اللغوية لدى كل من المتحدث أو المستمع، أو الكاتب، أو القارئ عن طريق استخدام مهارة لغوية أو أكثر، وفي إطار مجال من مجالات التواصل اللغوي (المكتوب) أو (المنطوق).

ولما كان التواصل يقتضي عملية لغوية طرفاها مرسل ومتلق يشتركان في عملية تواصلية تحكمها رغبتهما المشتركة في أن يكون كل منهما مرسلا ومتلقيا في آن واحد، كان عنصر (القصد) والإرادة في تبادل الكلام هو العنصر المهيمن على عملية التواصل، وهو الذي يميزها عن مفاهيم مثل: (الإبلاغ) أو (التبليغ) أو (الاتصال). فهذه المصطلحات لا تستعمل إلا في معرض الإشارة إلى العملية اللغوية التي يكون الغرض منها إبلاغ أو تبليغ أو إيصال مضمون إخباري إلى المتلقي فحسب...أو في الحالات التي يكون فيها (الاتصال) "communication" من طرف واحد أو في المجالات التي يكون فيها ردود الكلام المرسل. وهنا يمكن الإشارة إلى وسائل الإعلام كالصحافة والإذاعة والتلفاز، والمحطات الفضائية، ووكالات الأنباء، وغيرها مما يعد مصدرا فريدا لتلقي المعلومات والأخبار، ونقل الأحداث التي تجري في عالمنا دقيقة بدقيقة على مدار اليوم كله، وهي على تعدد أساليبها في الإرسال لا تحتاج إلى مشاركة كلامية في هذا (الاتصال).

وحسبها أن تفعل فعلها في توجيه مشاعرنا وإثارة انتباهنا، واستنهاض هممنا، أو إقناعنا بفكرة معينة، أو دفعنا للقيام بفعل معين، أو إلى غير ذلك مما تحمله الرسائل الإعلامية وتهدف إليه.

ولهذا كان (الاتصال) بمفهومه الإعلامي "عملية نوعية قصدية تهدف إلى إثارة استجابة المتلقي بغية التأثير عليه نفسياً، وعقلياً وسلوكياً، ومساعدته في اتخاذ موقف محدد مما يعين على خلق جو من الألفة والاتفاق بين المصدر الاتصالي فرداً أو شخصاً اعتبارياً، والطرف المستقبل، ومن ثم تحقيق الهدف المطلوب من الاتصال"¹. وهو وقوع فعل تبادلي بين الأطراف المتصلة، وهذا يؤكد ما للاتصال من دور فاعل في حياتنا اليومية، سواء كان ذلك في بيوتنا، أو في أماكن أعمالنا أو في مدارسنا أو في جامعاتنا، أو في مؤسساتنا الثقافية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. "إذ لا بد من بناء الاتصال على أساس من الثقة المتبادلة بين الجماهير المتلقيّة ومراكز الاتصال الثلاثة"²، وهي:

- مركز القرار، وغالباً ما يكون دولة أو جهة.
- مركز المعلومات، وميادينه محلياً وقومياً وعالمياً.
- مركز التنفيذ أو وسائل الاتصال المتعددة كالصحافة والإذاعة والمسرح وغيرها.

ونظراً لتعدد الحياة الحديثة وكثرة وسائل الاتصال وتنوعها أصبح الإنسان في أمس الحاجة إلى امتلاك مهارات التواصل اللغوي من فنون شفوية (كالاستماع والتحدث)، وفنون كتابية (كالقراءة والكتابة) حتى يكون قادراً على الإقناع والاقتناع، الأمر الذي ينبغي معه العناية بمهارات التواصل اللغوي والإكثار من التدريب عليها.

- اللغة والاتصال عند الجاحظ:

لا شك أن عصراً جديداً قد بزغ في تاريخ الفكر اللغوي الإنساني بعد اكتمال نزول القرآن الكريم، وذلك حينما طرق علماء العربية القدماء، وغيرهم من علماء المسلمين دروباً من الدرس اللغوي أثناء بحثهم عن أسرار إعجاز القرآن الكريم.

¹. د. محمد جبار العبيدي، موضوعات إعلامية، مركز عبادي للدراسات، صنعاء، 1995، ص 9.

². المرجع نفسه، ص 10.

فقد تحدث عربية القرآن السليقة اللغوية لأبناء العربية الخالص "native speakers" ، كما تحدث أيضا عقول العلماء الذين قادهم البحث عن أسباب إعجاز القرآن، إلى البحث في جوانب لغوية خالصة تتصل باللغة العربية، وباللغة والكلام من حيث هما ظاهرة عامة في اللغات الإنسانية الأخرى. وكان القرآن الكريم، وما يزال يمثل عند المسلمين صورة مثالية للخطاب اللغوي الذي انفردت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات الأخرى.

والجاحظ واحد من هؤلاء العلماء الذين انطلقوا من ظاهرة الخطاب القرآني وإعجازه إلى معالجة ظاهرة "اللغة" بما لها من صلة بالعربية من ناحية، ومن حيث هي ظاهرة إنسانية واجتماعية من ناحية أخرى، ومن ثم وقف أمام ظاهرة فريدة في تاريخ الفكر اللغوي الإنساني وهي إعجاز لغة الخطاب القرآني في مقابل استخدام اللغة نفسها في مظاهر الاتصال الإنساني.

وكانت المعضلة التي واجهت الجاحظ هي كيف يحلل ويجرد هذه العلاقة الفريدة في اللغة العربية بين إعجاز لغة القرآن واستخدام اللغة في الحياة اليومية للمجتمع.

وينطلق الجاحظ من منهج عام يقوم عنده على النظر والاستقصاء والتجريد، ثم يبين لك كيف تفترق الحالات وتتفاوت بهم المنازل، وما العلل التي يوجب بعضها بعضا، وما الشيء الذي يكون سببا لغيره، ومتى كان الأولى كان ما بعده، وما السبب الذي لا يكون الثاني فيه إلا ما للأول.

لقد حاول أبو عثمان أن ينظر إلى اللغة من خلال هذا المنهج ويكشف عن طبيعتها الاتصالية ووظيفتها الاجتماعية وصورتها الاعجازية في القرآن الكريم، وصورتها التواصلية في المجتمع.

وينطلق في ذلك إلى تحديد الوظيفة الاجتماعية للغة، واللغة عنده هي اللغة المنطوقة، ويبدو ذلك من خلال معالجته لمصطلح "البيان" ومن خلال رؤيته العامة لهذا المصطلح نرى البيان يحدث باللغة وبغير اللغة، وإن احتلت اللغة في تصوره للبيان ووسائله وطرقه مكانا عاليا، حتى كأنه يخصها دون غيرها من وسائل البيان.

ومعنى هذا أن مصطلح البيان عند الجاحظ يجمع كل طرق الاتصال ووسائل التبليغ في المجتمع. يقول محمداً أصناف الدلالات حاصراً لوظائفها: "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النُصبة، والنُصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر على تلك الدلالات".¹ وإذا أعدنا صياغة هذا النص عن أصناف الدلالات، كما أسماها الجاحظ، وفق النظرية اللغوية الحديثة "modern linguistic theory" فيما يتصل بمفهوم "الاتصال" "communication" وطرقه ووسائله، لوجدنا ثلاثة من وسائل الاتصال الخمس التي ذكرها الجاحظ يهتم بها علم اللغة، وهي:

1. اللفظ: وهو مصطلح عند الجاحظ يعادل مصطلح اللغة المنطوقة في اصطلاح علماء اللغة الآن، فاللفظ عنده هو ما يميز الإنسان عن الحيوان.
 2. الإشارة: وهي عنده تعادل الحركة الجسمية المصاحبة للكلام، مثل رفع الحاجب وكسر الأجناف وتحريك الأعناق وقبض جلد الوجه أو تكون بالرأس وباليد وبالعين والحاجب والمنكب.
 3. الخط: ويعادله مصطلح اللغة المكتوبة عند علماء اللغة، وهو كما يقول: "الدليل على ما غاب من حوائج الإنسان، وسبباً موصولاً بينه وبين أعوانه جعله خازناً لما لا يأمن نسياته مما قد أحصاه وحفظه وأتقنه وجمعه وتكلف الإحاطة به".²
- أما العقد فهو الحساب، وهو دون اللفظ والخط، "وأما النُصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض".¹

¹ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985،

² أبو عثمان عمرو الجاحظ، كتاب الحيوان، حققه عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، 1/45، 1996.

غير أن أصناف هذه الدلالات أو وسائل البيان وطرقه تختلف وتتنوع فيما بينها.

وبناء على هذا التفاضل أو الاختلاف في طرق البيان أو الاتصال يرى الجاحظ أن الكلام قد يشترك مع الإشارة أو الحركة الجسمية للمتكلم في إيصال المعنى وتوضيحه وبيانه. وإذا كانت دلالة الكلام ترتبط بالمواضعة أو الاتفاق الجماعي، أو كما يقول بالمستعمل في الكلام من عادات الناس، فإن الإشارة أيضا تتفق مع الكلام في ذلك.

البيان إذن، كما تصوره الجاحظ، هو وسيلة اتصال، وظاهرة اجتماعية، ووسائله واحدة في كل مجتمع إنساني وإن اختلفت صورها ومواضعها من مجتمع إلى آخر، غير أن مفهوم البيان له بعد ديني أيضا: لأن القرآن "بيان" ﴿٣٣﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾²، ومع ذلك فهو خصيصة من خصائص الإنسان كما خلقه الله: الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾³.

ويترتب عن ذلك أن هناك بيانا في صورة رسالة دينية نزلت بوحي من السماء، ولكن في مستوى لغوي معجز للناس، ولكن هذه الرسالة ينبغي أن تفهم، وهي وظيفة الرسول (ص) الذي أنيط به التبيين أو التوصيل، ﴿٥﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥١﴾⁴. وقد حاول الجاحظ طبقا لهذا التصور أن يحلل هذه العلاقات بين اللغة وصورتها الإعجازية، كما نطق بها القرآن، وبين اللغة في صورتها الإنسانية.

¹ . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 75/1، 1985.

² . سورة آل عمران، الآية 138.

³ . سورة الرحمن، الآيات من 1 إلى 4.

⁴ . سورة إبراهيم، الآية 52.

ووفق هذه المعايير وصلتها بنظم الكلام ينحدر الجاحظ من مثالية البيان القرآني إلى الكلام الإنساني وتنوعه واختلافه، وكل ذلك في إطار نظريته العامة في علاقة اللغة بالاتصال والتبليغ، أو تصوره للبيان، وصلته بإعجاز القرآن، وكلام الناس، أو كما أسماه "البيان باللسان"¹. والبيان باللسان يدخلنا في صميم الظاهرة اللغوية الاجتماعية التي يضعها في مقدمة أصناف الدلالات أو وسائل البيان، وهو اللفظ، أو اللغة المنطوقة، وتصوره اللفظ يبدأ من طبيعته بصفتيه الفسيولوجية والفيزيائية حيث يجري الصوت. فالكلام ليس هو هذه الحروف المتقطعة المميزة، وإنما لا يكون ذلك كلاما، إلا إذا حدث التركيب لهذه الوحدات التي يطلق عليها مصطلح الحروف، ويطلق عليها علماء اللغة مصطلح الفونيم، حيث تبدو وظيفة الصوت داخل التركيب أو البنية، أو التأليف حتى يصبح كلاما. وفي موضع آخر يشير إلى أن اللغة مادة مكونة من أصوات منطوقة على وجه مخصوص، تصدر عن أعضاء النطق عند بني الإنسان، وأن هذه الأصوات تقطع وتشكل بحيث لكل وحدة فيها خصائص نطقية وسمعية مميزة، وهذه الوحدات تدخل في تأليف له معنى، حتى يصبح كلاما لا لغوا. وهو بذلك قد أدرك جانبيين من جوانب النظام اللغوي، وهما الصوت والمعنى، أو ما يطلق عليه علماء اللغة ثنائية التركيب، أي أنه كان يدرك أن اللغة تتألف من الأصوات المنطوقة المسموعة، ثم المعنى، كما في الشعر والنثر. ويحدث التأليف من هذه الأصوات المميزة المقطعة نتيجة لاستدعاء هذه الأصوات للمعنى المقابل لها طبقا لما يتعارف عليه أبناء اللغة الواحدة، وهو يستخدم للدلالة على ذلك مصطلح "الفصاحة" بالمعنى العام.

ويعتبر الجاحظ أن أي نظام من نظم البيان أو الاتصال يخضع إلى عادات الناس، وهو في تعبيرنا اليوم يستلزم وجود "شفرة" تتألف من نظام محدد من العلامات متفق عليه بحيث يستطيع من يستخدم هذه الشفرة أن يكون تشكيلات مختلفة من هذه الرموز أو العلاقات، طبقا لقواعد معينة متفق عليها بين أبناء اللغة الواحدة، وهذه التشكيلات تتخذ أحيانا أشكالا مختلفة مثل النطق أو الكتابة أو غير

¹. أبو عثمان عمرو الجاحظ، كتاب الحيوان، حققه عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1996، ص71/1.

ذلك من وسائل البيان التي أشار إليها الجاحظ. فهو يحاول بطريقته أن يشرح من أجل الوصول إلى فكرة وجود "نظام" محدد من التقطيع الصوتي في اللغة المنطوقة وهذا التقطيع ينتج حروفاً أو أصواتاً لغوية، وهي في نفس الوقت رموز أو علامات، وهذه العلامات قابلة للتشكيل أو التأليف على حد تعبيره، وينتج عن هذا التشكيل كلمات وجمل وعبارات وشعر ونثر، ويمكن بواسطة هذه الرموز أن ينتقل الكلام بين طرفين هما المتكلم والمستمع.

ويدل على وعيه بالجانبين النطقي والوظيفي ودورهما في التشكيل والتأليف على مستوى الكلمة المفردة بعض القوانين العامة التي رصدها فيما يتصل بالنظام الصوتي للكلمة العربية. ويترب عن هذا التصور للعلاقات التركيبية للكلام سواء أكان كلاماً عادياً أم كلاماً فنياً شعراً ونثراً أو خطابة، أنه كان يميز بصورة جوهرية بين مستويات التركيب أو التأليف المختلفة، وبعبارة أخرى بين نظم اللغة المختلفة: الصوتية، والفونولوجية، والصرفية، والتركيبية أو النظم، الذي أقام عليه نظرية في إعجاز القرآن. وأن هذه النظم لا تعمل بصورة منفصلة، بمعنى أن كل نظام منها يعمل بصورة مستقلة عن النظام الآخر، أو له استقلال واضح عن بقية النظم الأخرى، خاصة في استعمال اللغة، ولكنه كان يعرف أن هذه النظم تصب في نظام واحد متناسق متكامل هو النظام اللغوي للغات الإنسانية من ناحية، والنظام اللغوي الخاص بلغة معينة من ناحية أخرى، ويدل على ذلك ويؤكد حديثه عن اتفاق اللغات واختلافها، والفروق الواضحة بين لغة الإنسان ولغة الحيوان، لأن استعمال اللغة عنده استعمال واع مقصود به البيان والتبليغ.

ومن خلال هذا كله يتضح لنا أن نظرية "البيان باللسان" التي تحدث عنها الجاحظ بشقيها الاتصالي والتحليلي، وقد جرد هذه النظرية وفق أصول عملية من ملاحظاته الواسعة للغة العربية واللغات الأخرى التي يتردد ذكرها في مؤلفاته مثل الفارسية والرومية والهندية وغيرها.

وهو بهذا التصور لماهية اللغة ونظامها ووظيفتها، يستعد للدخول إلى عالم اللغة الواسع وخاصة في حقلين أساسيين من حقول دراسة اللغة، أولهما الاستخدام الفني للغة كما تبدو في مجالات الأدب

من شعر ونثر وخطابة، وثانيهما استخدام اللغة في إطارها الاجتماعية، وصور هذا الاستخدام وتنوعه؛ أي بعبارة أخرى دراسة اللغة في صورتها الجمالية والأسلوبية، ثم دراسة اللغة كوسيلة اتصال يومية في المجتمع، وتنوع هذا الاستخدام، وذلك وفق أصل واحد، وهو لكل مقام مقال، أي وفق نظرية السياق الاجتماعي.

ثالثاً: أنواع التواصل:

يمكن الحديث عن أنواع عدة من التواصل: الإنساني والآلي والسيميائي، فهناك: التواصل البيولوجي، والتواصل الإعلامي، والتواصل الآلي، والتواصل السيكلوجي، والتواصل الاجتماعي، والتواصل السيميوطيقي، والتواصل الفلسفي، والتواصل البيداغوجي، والتواصل الاقتصادي، والتواصل الثقافي... وفي هذا الصدد، يقول طلعت منصور: "إن وظيفة الاتصال تتسع لتشمل آفاقاً أبعد. فكثير من الباحثين يتناولون الاتصال، كوظيفة للثقافة، وكوظيفة للتعليم والتعلم، وكوظيفة للعلاقات بين المجتمعات، بل ويعتبرون الاتصال كوظيفة لنضج شخصية الفرد، وغير ذلك من جوانب توظيف الاتصال".¹

ويرتبط التواصل بعدة علوم ومعارف، يمكن حصرها في: علم التدبير والتسيير، والعلاقات العامة، وعلوم الإعلام والاتصال، والفلسفة، والبيداغوجيا والديداكتيك، وعلم التسويق "Marketing".
والسيميولوجيا...

وتوجد تقسيمات أخرى لأنواع الاتصال أهمها التقسيم حسب الوسائل المستخدمة، التقسيم حسب الاتجاه، والتقسيم حسب درجة التأثير.

1. أنواع التواصل من حيث الوسائل المستخدمة:

أ. التواصل اللفظي:

¹. طلعت منصور، سيكلوجية الاتصال، عالم الفكر، الكويت، المجلد 11، السنة 1980 م، ص. 109.

وهو الذي يستخدم كوسيلة تمكن المرسل من نقل رسالته إلى المستقبل سواء كانت مكتوبة أم غير مكتوبة كالمذكرات والخطابات والتقارير والكتب والمحادثات التلفزيونية والمناقشات والمناظرات والندوات والمؤتمرات... وغيرها.

ب. التواصل غير اللفظي:

وهو عبارة عن تعبيرات منظمة تشير إلى مجموعة معاني يستخدمها الإنسان أو قد يقصدها في احتكاكه بالآخرين، ومن أنواعه: لغة الصمت، والتعبيرات الحسية والفيزيولوجية، كاصفرار الوجه وتصيب العرق، والتعبيرات الحركية، واللغة الرمزية، كرواية النكت التي تعتبر كصمامات أمان للتنفس عن التوتر، والإشارات كإيماءات الرأس التي تعني في بعض الحضارات الموافقة وفي البعض الآخر الرفض واللمس..

2. أنواع التواصل من حيث درجة الرسمية:

ويقسم الدارسون التواصل إلى نوعين اثنين هما:

أ. التواصل الرسمي:

ويعرفه معجم مصطلحات الإعلام بأنه الاتصال الذي يتم بين المستويات الإدارية المختلفة في هيئة أو مؤسسة بالطرق الرسمية المتفق عليها في نظمها وتقاليدها، ويعتمد على الخطابات أو المذكرات أو التقارير، حيث يوجد في كل منظمة إنسانية ما يعرف بشبكة الاتصالات الرسمية بأنواعها المختلفة التي يتم تحديدها عند وضع الهيكل التنظيمي لتوضيح كيفية الربط بين الوحدات الإدارية المختلفة التي يتضمنها الهيكل.

ب. التواصل غير الرسمي:

وهو الاتصال الذي يتم التفاعل فيه بطريقة غير رسمية بين العاملين بتبادل المعلومات والأفكار أو وجهات نظر في الموضوعات التي تهتم وتتصل بعملهم أو تبادل المعلومات من خارج منافذ الاتصال الرسمية، أو تعبير عن خطط تحددها وتدعمها السلطة الرسمية خلال السلم الهرمي المتدرج التنظيم

مثلا، اللقاءات الرسمية في أية مناسبة من المناسبات التي تسمح بنقل المعلومات بين الأشخاص مثلا، يتقابل زميل في جهة مع زميل من جهة أخرى.

المبحث الثاني: الفلسفة والتواصل:

تُنتج تقنيات التواصل تأثيرات تغيرنا من الداخل، بحيث لا يمكن معالجتها كقوى آتية من الخارج، بالرغم من الإقرار بكون أجهزة التلفزة والحاسوب التي نستعملها، هي آلات موجودة خارجنا كمعطيات فيزيائية.

لقد أدت الانقلابات الحاصلة في الحياة الاجتماعية إلى تغير على مستوى النمط المهيمن للتواصل، إلى درجة يمكن القول معها بأن كل نوع من الاجتماع يقابله نوع من التواصل يعبر عنه. فالانتقال من الشفاهي إلى الكتابي كنمط تواصل، لم يغب عن اهتمام الفلاسفة ولا عن مختلف الاختصاصيين في مجال العلوم الاجتماعية.

ولذلك يتعين على الفلاسفة مواجهة هذه العلاقة بين التواصل والاجتماع، دون أن تختزل في فلسفة التواصل، كما هو الأمر عند "هابرماس" (Habermas)، ويجب عليها أن تقر بالعلاقة الجديدة بين الاجتماع والتواصل، وبأن مهمة فحص هذه العلاقة الجديدة تؤول أساسا إلى العلوم المسماة اجتماعية أو إنسانية، وخصوصا إلى علوم الإعلام والاتصال. وفي ضوء كل ذلك، يتعين الفصل بين التواصل والإخبار، ذلك أن الإخبار هو جزء أو جانب فقط من التواصل، وهو يكمن أساسا في نقل رسالة من مرسل إلى متلقي، عبر استعمال وسيلة نقل محددة. إن التواصل عبارة عن عملية أكثر تعقيدا، فالفلسفة التي تتجاوز الإطار الضيق للتخصصات، مطالبة بالتعالي عن اختزال التواصل في الإخبار، إذ يتعين عليها أن تأخذ بعين الاعتبار كل التأثيرات الناجمة عن الحركة التي تنطلق من المرسل إلى المتلقي، والتي تجعل المرسل متلقيا، والعكس أيضا.

1. فلسفة التواصل عند هابرماس

لقد تجاوز الاهتمام الذي كان منصبا ومنحصرا في بوثقة المجال التداولي المرتبط بتبادل المعلومات وتقنيات تبليغها و ايصالها، إلى أن أصبح نظرية علمية وفلسفية مستقلة بذاتها. وتعد مرجعية "هابرماس" الفلسفية دليلا على هذا التحول. ولعل أبرز من يمثل ذلك، "هابرماس" الذي استفاد في مرجعيته من نظريات العلوم الاجتماعية التي ركزت بدورها على الهوية الذاتية.

ويتناول "هابرماس" مسألة التواصل من منظور علم الاجتماع، أي بوصفها فعلا اجتماعيا، لا فعلا له صلة كلية بالوعي الانساني. إذ ثمة فرق بين تناول التواصل من منظور الفاعل للتواصل، و بين تناوله كما لو كان فعل حوار أو تحاور تتدخل فيه أطراف متعددة وهذا باعتراف "هابرماس" الذي يقر بفضل علماء الاجتماع في بلورة هذا المنظور الجديد للتواصل.

• الفعل التواصلية لدى "هابرماس"

يعرف "هابرماس" الأفعال التواصلية بأنها تلك الأفعال التي تكون فيها مستويات الفعل بالنسبة للفاعلين المنتمين الى العملية التواصلية غير مرتبطة بجوانب السياسة، بل متعلقة بأفعال التفاهم. ولا تفاهم بدون لغة؛ و هو ما دفعه إلى إدخال اللغة كعنصر لفهم العلاقات التواصلية. وتعزيزا لهذا التصور كان يعتقد أن الفعل التواصلية يتميز عن غيره من الأفعال الأخرى بأنه لا يسعى للبحث عن الوسائل التي تمكنه من التأثير في الغير، بل يبحث عن كيفية التوصل إلى تفاهم معهم. وقد وضع شروطا لهذا التفاهم منها عدم تأثير طرف على آخر حتى لا يفشل التواصل؛ إذ أن نشاط التفاهم المتبادل يخضع لشرط أساس به يحقق المعنيون مشروعاً لا تفاهم المشترك... فهم يسعون لتفادي خطرين : يتمثل أولهما في فشل التفاهم المتبادل وسوء الفهم؛ بينما يتمثل الثاني في فشل مشروع الفعل و الإخفاق التام. فتنحية الخطر الأول شرط لا بد منه لتلافي الثاني. والتفاهم في نظره رديف للفعل التواصلية من حيث أنه يصبو الى تحقيق الاتفاق؛ و هو ما يسميه "هابرماس" بالإجماع. فيما عارضه الفيلسوف الفرنسي "جون فرنسوا ليوطا" " j.f. Lyotard 1924-1998 " الذي اعتبر أن جوهر الأمور هو الاختلاف والنزاع.

2. دور الفلسفة في فعل التواصل

يعتقد "هايرماس" أن الفلسفة يجب أن تبقى في منأى عن معرفة المطلق لأن الفلسفة المطلقة كانت تشكل عائقا أمام تطور العقلانية. ومن هنا يتبين أن نظرية التواصل عند "هايرماس" بنيت على موقف جديد من الفلسفة، يعيد تحديد مهامها وأهدافها بحيث تندمج في أفق نقدي جديد من أجل أن تلعب دورا إيجابيا وفعالا ضمن مباحث أخرى كعلم الاجتماع ومحمل العلوم الإنسانية في إطار تكاملي، و ليس في إطار الهيمنة على تلك العلوم.

وفي إجابته عن سؤال كيف يكون الفعل الاجتماعي التواصلي ممكنا؟ يجب بأن منطق العقلانية الاجتماعية يتجلى في اللغة اليومية الطبيعية التي هي عماد كل تفاعل اجتماعي. وهكذا يتحول اهتمامه نحو مبحث اللغة والتداول. ولعل هذا ما قاده الي تحويل علم الاجتماع و نظريته الاجتماعية الى فلسفة للتواصل. وبذلك انتقل من فلسفة المعرفة بمعناها الكلاسيكي إلى فلسفة التواصل.

ثم إننا وجدناه يقترح مذهباً لفلسفة الذات هو الفلسفة العقلانية التواصلية نظراً لأنها تقوم على العلاقة بين الذات كما تسعى إلى ضبط علاقة الفرد بالغير وإخضاع العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية داخل المجتمع إلى أخلاقيات النقاش والحوار. وبالتالي فهو يسعى إلى تأسيس عقلانية تواصلية لا صلة لها بالميتافيزيقا.

لقد فرضت النظرية التداولية نفسها كبعد ثالث مكمل للتركيب والدلالة. وقد ساهمت أعمال "أوستين" " J.L. Austin 1911-1960" في إبراز الأبعاد التداولية للغة حتى أنها أي -التداولية- تحولت إلى مبحث جديد يولي عناية كبيرة للشروط خارج اللغوية، المتعلقة بالسياق والأعراف التفاهمية ومقاصد المتكلمين..

وقد اهتم "هايرماس" بالتداولية لأهميتها، وأبرز شروط التفاهم أو ما أسماه بالفعل التواصلي. كما اهتم أيضا بالأفعال الكلامية ووضع للتداولية مهاماً، نجملها فيما يلي:

- وصف الأشياء بواسطة اللغة.
- التعبير عن مقاصد المتكلم.
- تأسيس علاقات بين المتكلمين المتحاورين.

وكل عملية تواصلية لا تقوم لها قائمة دون توفر هذه الشروط. وبذلك تتم العملية الحوارية من دون إكراه أو ضغط. ويشترط على كل متكلم أن يختار تعبيراً مفهوماً واضحاً لكي يتمكن المتكلم والمستمع من التفاهم فيما بينهما. كما عليه أيضاً أن يفصح عن مقاصده لكي يتمكن المخاطب من تصديق أقواله. كما يتعين على المتكلم اختيار عبارات صحيحة تلتزم حدود المعايير والمقاييس الجاري بها العمل لكي يتمكن المخاطب من قبول تلك العبارات بكيفية تجعل المتكلم والمخاطب في وضعية تؤهلها للاتفاق.

وعلى العموم فإن "هابرماس" ينظر إلى اللغة لا في بعدها المعرفي كما يفعل "تشومسكي" " Noam Chomsky 1928"، بل في بعدها التواصلية والاستعمالي التداولي متسائلاً عن شروط الممارسة الاجتماعية القائمة على التداول السليم لشروط التداول المثالي للغة.

3. العقلانية التواصلية

لقد ربط "هابرماس" الفعل التواصلية القوي بالاستخدام التواصلية للغة المتصل مباشرة بالعالم الاجتماعي المرتكز على العالم المعيش والمتكون من القيم والمعايير المشتركة بين الفاعلين في المجتمع.

وقد ارتبطت العقلانية التواصلية لديه بالتواصل إلى حد أنه تم الربط بين العقلانية والمستوى التواصلية في الكلام.

ونخلص إلى القول بأن مشروع "هابرماس" كان تأسيس الديمقراطية على أساس جماعة متواصلة خالية من أية هيمنة. وأما التضامن بالنسبة إليه فهو شكل من أشكال التواصل في إطار الديمقراطية

التشاورية التي تقوم على السلطة، وهي سلطة غير قمعية لأنها نابعة من الفعل الجماعي، بل تشكل ما يسمى بالتواصل السياسي.

4. الأخلاق والتواصل

لقد فتح "هابرماس" الفلسفة المعاصرة على نظرية التواصل، بشكلها المتميز، حتى مس السلوك الاتصالي، رغبة منه في تشخيص حال العالم، محاولاً تحليل أسباب ونتائج ما يهدد الحياة الإنسانية، وبالأخص محاولات تحطيم بنى الاتصال في خصوصياتها الإنسانية.

ويعتبر "هابرماس" التواصل مجموعة من الترابطات يتفق حولها المشاركون من أجل تحقيق مخطط أعمالهم بطريقة فعالة. ويتجلى التواصل، في اعتقاده، في شكل الفعل الذي يخرج الوعي من باطنه نحو الانفتاح على الآخر، لذلك أسس نظريته في مجال التواصل على نتائج نظرية أفعال الكلام والألسنية والتداول، وأعطاه تفسيرات اجتماعية وسياسية وقانونية.

وانطلق في بناء فكرته من كيفية تشكل الرأي العام حيث يرى بأن الفضاء العام كان مجالاً أو ميداناً للتعبير عن الرأي الفكري والنقدي، ثم جاءت وسائل الإعلام لتحتله وتشوّهه، وتسيطر على مضمونه، كي تجعله دعامة للإيديولوجيا والمصالح.

وبالتالي بات من الضروري مساءلة الفضاء العام والتفكير في التواصل من جديد، وذلك من خلال تأسيس نظرية اجتماعية وثقافية في التواصل تسمح بالشروع في تفكير عقلي ونقدي جديد ومستقل لقضايا عصرنا، وهو أمر لا ينهض إلا بواسطة نظرية الفعل الاتصالي.

ويعتبر الفعل الاتصالي إطاراً نظرياً فلسفياً قائماً على مفهوم تداولي للغة. حيث تشكل اللغة الأساس والمحتوى لكل مجتمع إنساني.

ويريد "هابرماس" أن ينهض علم الاجتماع على الفعل الاتصالي نظراً لطبيعة العلاقات الاتصالية التي تختزل في مجرد تبادل الأخبار أو المعلومات أو المعطيات بواسطة اللغة، حيث لا يقوم الفعل الاتصالي

فقط على تبادل المعلومات ضمن سياق أو ظروف اجتماعية معينة فقط، بل يقوم بتأويل كلما يحدث، وبالتالي فهو يسهم في بناء العالم المعاش.

ويستلزم الفعل التواصل المحاججة، إلى جانب الحق في الرفض أو القبول، ولذلك وضع مفهوم أخلاق المحادثة الذي يعتمد على اللغة العادية معتبراً أن الإنسان عندما يبدأ في فعل التواصل يكون قد قبل بالاحتكام إلى معيار أخلاقي يخضع جميع الاختلافات للحجج والأدلة التي تحقق الإجماع.

وفي اعتقاده أن التواصل الديمقراطي يشكل رابطاً قوياً داخل دولة القانون إذ يلزم تقديم الحجة لتبرير شرعية القرارات. ويعتبر أن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ضمانات لا بد منها لبلوغ النموذج الديمقراطي التواصل. كما يرى أن الديمقراطية باعتبارها سؤال الضرورة للخلاص من الاستبداد وفتح الطريق أمام القوى الاجتماعية والسياسية للتعبير عن ذاتها حيث يقدم فيه الأفراد وجهات نظرهم والحلول التي تمكنهم من التحرر من منطق الأنظمة الشمولية المستبدة.

ويكمن دور فلسفة التواصل النقدي، في محاولة تحرير مجال الاتصال الإنساني من قبضة العقل الأداة. وينظر إلى اللغة بوصفها وسيلة وسلوكاً اتصالياً، وقد استخدمها في نظريته في الفعل التواصل، التي تنهض على الحوار والتفاهم بين مجموعة المتحاورين في مجتمع الأصدقاء.

5. التواصل والسلطة:

يحدث أن يخضع فعل التواصل لعمليات الإغراء وتمويه الحقيقة، بهدف إجبار المتلقي على تقبل الخطاب الموجه إليه. وهنا تتحول المبادلات الرمزية إلى علاقات للهيمنة والسيطرة، بحيث أن المتكلم يزود خطابه بفائض المعنى الذي يمكنه من قوة التبليغ ويصبح بالتالي متوفراً على سلطة الكلام التي تخول له إخضاع مخاطبيه لتأثيره وانتزاع اعترافهم بسلطته وفعاليته.

وبشكل مفارق، فإن هذا الوضع هو الذي سيسمح للمشاركين في التواصل بالانخراط المتبادل في عملية التخاطب، بهدف تدعيم أقوالهم وأفعالهم. وهو الأمر الذي حلله الفيلسوف الألماني "يورغن

هابرماس " J. Habermas 1929 " ضمن العديد من مؤلفاته التي نذكر من بينها: "الأخلاق والتواصل" " Morale et communication 1983 "، "نظرية الفاعلية التواصلية" " Théorie de l'agir communicationnel 1981 "، "إتيقا المناقشة" " De l'éthique de discussion 1992 " إلخ... فالتواصل هو نوع من التفاعل الهادف إلى خلق تفاهم بين مجموعة من الذوات داخل مجال عمومي. ويصاغ هذا التفاعل بواسطة الرموز، كما يخضع للمعايير الجاري بها العمل. وقد استعمل "هابرماس" عدة مفاهيم لإبراز خصوصية هذا التفاعل مثل: البين ذاتية، والاعتراف المتبادل، والمبررات العقلانية التواصلية وأخلاقية النقاش إلخ...

ويبقى السؤال المطروح هو: كيف يرتبط الشركاء المتفاعلون داخل نشاط تواصلية معين؟ والجواب أنهم يقومون بذلك بفعل قوة العقلانية المتضمنة في خطابهم. فالانخراط المتبادل للمتخاطبين في العملية التواصلية، يستند على المبررات المعقولة التي يتوفر عليها كل واحد منهم، لتدعيم ادعاء صلاحية ما يقوله وما يفعله. يقول "هابرماس": " إن التفاعلات التي يتفق المشاركون من خلالها على تنسيق خططهم في العمل بشكل متواطئ، هي التي أدعوها بالعمليات التواصلية. ويتحدد هذا الاتفاق الحاصل، وفق الاعتراف الحاصل، وفق الاعتراف البين ذاتي بمقتضيات الصلاحية. فحينما يتعلق الأمر بعملية التفاهم المتبادل والواضح على المستوى اللساني، فإن الفاعلين يعربون أثناء اتفاهمهم حول شيء ما، عن مقتضيات الصلاحية أو بالأحرى عن مقتضيات الحقيقة والضبط والصدق"¹.

ويتضح من خلال كل هذه المعطيات أن مفهوم التواصل واسع ويشمل مختلف مجالات الفعالية الانسانية: الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية إلخ... لذلك تعددت تعريفاته وتحدياته وتنوعت بتنوع هذه الحقول والمجالات.

ويمكن القول إن التفاعلية التواصلية عبارة عن تجربة أنثروبولوجية تتمثل في التفاعل المتبادل مع الغير، إذ لا وجود لحياة فردية أو جماعية بدون تواصل. وأبسط فعل تواصلية يحيل على التفاهم والتشارك بين

¹ Jurgen Habermas, Morale et communication, Flammarion, 1986, p 79.

الأفراد والجماعات، أي على تاريخ سيرورة المجتمع وثقافته. وهو أيضا مجموع التقنيات التي عوضت ما يعرف بالتبادل المباشر بين شخصين أو أكثر، بالتبادل عن بعد وذلك بواسطة تقنيات الاتصال مثل: الهاتف والتلفزة والفاكس والانترنت إلخ...

وهكذا ستأخذ العبارة الشهيرة "العالم قرية صغيرة" مدلولها الحقيقي والفعلي، حيث أصبح من المؤلف إرسال وتلقي الأخبار بواسطة الصورة والصوت من أقصى الكوكب الأرضي إلى أقصاه، بل ومن خارج كوكبنا كما هو الحال في التجارب والأبحاث الفضائية.

"وقد أصبح التواصل، في ضوء ذلك، ضرورة اجتماعية وعملية وظيفية ليس فقط على المستوى المحلي والوطني، بل العالمي أيضا. وسواء تعلق الأمر بالمبادلات التجارية أو الاقتصادية أو الدبلوماسية أو الثقافية، فإن الانفتاح على الآخر أصبح ضرورة وظيفية في إطار ما يعرف بالعمولة، وإن كانت العلاقة بين البلدان الصغيرة والبلدان العظمى غير متكافئة في ظل هذا النظام"¹

إن التواصل وإن كان ينطلق من استراتيجية تأكيد الذات والتأثير في الآخر، إلا أنه يروم بناء فضاء علائقي يقوم على الحوار ويرتكز على معيار قبول الآخر المختلف. وتجدد الإشارة هنا إن فعل التواصل أصبح في زمن العمولة يهتم الثقافات والحضارات المتباينة ولم يعد يقتصر على الأفراد والجماعات. فالتطورات الحاصلة على المستوى الكوني، استلزمت الاهتمام بقضايا التواصل، لأن الأمر يتعلق بمستقبل العلاقات بين البشر والمنتظرات التي تهم مختلف جوانب معيشتهم اليومية.

ومن بين الصعوبات التي يواجهها كل تحليل للغة، هناك صعوبات لاستعمال الكلمات في معنى موسع أو محصور. وينطبق هذا الأمر على لفظة "اللغة" ذاتها وأيضا على لفظة "العلامة".

¹ Dominique Wolton, penser la communication, Champs, Flammarion, 1998, p 15 et 16.

فاللغة يمكنها أن تخص نسقا تواصليا معينا. وبذلك يتم الحديث عن لغة الإشارات ولغة الزهور أو عن اللغة الحيوانية، حينما يقوم كائن عاقل أو حي بشكل عام، بحركة في ظرف معين، يقطف فيها وردة أو يمارس سلوكا معينا أو يؤثر في كائن آخر أو يحدث تغييرا عليه.

لكن لا يمكننا أن نخص لفظة ومفهوم "اللغة" بنسق التواصل وحده، المتحقق بواسطة الكلام، كما هو الشأن لدى الإنسان. وسواء تناولنا اللغة في منظورها الواسع أو عاجلناها كتشكل خاص، فإننا نجد أنفسنا ملزمين بحل مشكل تحديدها.

المبحث الثالث: عناصر التواصل ووظائف اللغة:

أولا: العناصر التواصلية

ثمة ستة عناصر تحكم فعل التواصل لدى "جاكسون"، وهي:

أ. المرسل: وقد يسمى في استعمالات اصطلاحية أخرى "الباث" أو "المتكلم". ومعلوم في نظرية التواصل، أن الرسالة حين تتمركز حول المرسل تهيمن من خلالها وظيفة لغوية خاصة تسمى الوظيفة الانفعالية "fonction émotive"، ويسمونها آخرون الوظيفة التعبيرية "fonction expressive".

وتستهدف "التعبير المباشر عن موقف الفرد مما يتكلم عنه، فهي تنزع إلى إعطاء الانطباع بوجود انفعال ما صحيح أو مصطنع"¹، حيث تطغى على الرسالة عواطف المرسل وانفعالاته، وتسود علامات التعجب وسائر الأساليب الإنشائية.

ب. المرسل إليه:

وقد نطلق عليه تسميات أخرى من قبيل "المستقبل" أو "الملتقط" أو "المتلقي".

ج. الرسالة:

الرسالة أو المرسل (عند آخرين) هي مركز الفعل التواصلية ومداره، وهي ما يريد المرسل نقله إلى المرسل إليه.

د. الصلة:

الصلة (أو اتصال) "قناة فيزيائية، ورابطة سيكولوجية بين المرسل والمرسل إليه، تسمح بتوطيد التواصل وتأمينه"². وعنهما تتولد وظيفة سميتها نظرية التواصل "الوظيفة الانتباهية" "phatique" التي تحرص على سلامة جهاز التواصل الهاتفية مثلا - عبارات من نوع: ألو، هل أنت معي؟ أسمعني؟ ارفع صوتك قليلا... -

هـ. الشفرة:

الشفرة (أو الكود، القانون، السنن، الرمز، الاصطلاح، المواضع، ...) "نسق من الإشارات - أو العلامات أو الرموز - مخصص باتفاق قبلي لتقديم الخبر وتبليغه بين مصدر الإشارات (الباث) ونقطة الوصول (المرسل إليه)..."³.

¹. الألسنية علم اللغة الحديث، ميشال زكريا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1985، ص 91.

². Dictionnaire de linguistique, p 216.

³. Dictionnaire de linguistique, p 92.

وعن الشفرة تولد الوظيفة المعجمية "fonction de glose"، أو ما يعرف في تسمية أشهر بوظيفة ما وراء اللغة "métalinguistique"؛ ومؤداها أن التواصل السليم يقوم على استمرار التفاهم اللغوي، وهذا لا يتأتى إلا من خلال تواضع المرسل والمرسل إليه على استعمال نمط لغوي مشترك.

و. السياق:

وقد يسمى تارة أخرى (في نطاق النظرية ذاتها) مرجعا أو محتوى، وهو ما يمكن فهمه من محتوى الرسالة، وهذا المحتوى. إما أن يكون كلاميا وإما أن يكون بالإمكان تحويله إلى كلام.

ويؤدّد السياق وظيفة لغوية قد تكون أكثر الوظائف أهمية، هي "الوظيفة المرجعية" "référentielle"، التي قد تسمى أحيانا "وظيفة إدراكية" "cognitive"، أو "تعيينية" "dénotative"، وهي "الوظيفة المؤدية للاختبار باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها، وتقوم اللغة بوظيفة الرمز إلى تلك الموجودات والأحداث المبلغة"¹، وبالنظر إلى ذلك فقد كان أولى بهذه الوظيفة أن تسمى "وظيفة إخبارية".

ثانيا: وظائف التواصل اللساني:

من بين أهم ما قدمته لسانيات "دي سوسير"، هو التأكيد على الفعالية التواصلية للغة. فأساس اللغة فعل نتج من خلاله التعبير عن مضمون الفكر بواسطة علامات ورموز متفق عليها من طرف المخاطبين. لذلك، فإن المفاهيم التي استخدمتها نظريات التواصل في مختلف الحقول مثل الرسالة، المرسل، المتلقي، القناة، الشفرة أو السن، تعتبر ذات فعالية إجرائية لفهم العمليات التواصلية في تنوعها. وهو الذي أكدّه اللساني الروماني "رومان جاكبسون" بخصوص التواصل اللساني والوظائف التي تقوم بها اللغة، وذلك ضمن نص هام تحت عنوان "اللسانيات والشعرية" ضمن مؤلفه "محاولات

¹. الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، ط3، لدار العربية للكتاب، ص 159.

في اللسانيات العامة "1963". فقد اعتبر أنه من الضروري دراسة اللغة في تنوع وظائفها. ولكي نأخذ فكرة عن تلك الوظائف، لا بد من التعرف على العوامل المكونة لكل عملية لسانية ولكل فعل يتم فيه التواصل عن طريق الألفاظ.

فالمرسل يوجه رسالة إلى المتلقي، ولكي تقوم هذه الرسالة بعملها، فإنها تتطلب سياقاً تحيل عليه وهو ما يطلق عليه أيضاً اسم المرجع. ثم إن الرسالة تستلزم شفرة يشترك في جزء منها أو فيها كلها، المرسل والمتلقي (أي واضع الشفرة وذلك الذي يفك رموزها). وأخيراً، فإن الرسالة تستدعي اتصالاً وقناة مادية ورابطة نفسية تربط المرسل مع المتلقي وهو ما يسمح بإقامة التواصل واستمراره.

ويؤكد "جاكسون" بأن كل عامل من هذه العوامل الستة تنتج عنه وظيفة لسانية متميزة. وتخضع الوظائف اللسانية المتولدة عن هذه العوامل للتراتب، بحيث قد تتوقف البنية اللفظية لرسالة ما على وظيفة مهيمنة، لكن لا بد من أن تستعين بالوظائف الأخرى المعتبرة ثانوية، ما دام من الصعب العثور على رسائل لا تقوم إلا بوظيفة واحدة. فتنوع الرسائل لا يكمن في القيام بوظيفة دون الوظائف الأخرى، وإنما في اختلاف تدرج الوظائف فيما بينها. وعبر تفاعل هذه العوامل والوظائف، يحصل التبادل والتحاوور بواسطة علامات ورموز تستدعي التأويل، كي يحصل التفاهم بين أطراف العملية التواصلية. ثم إن التطرق للخاصية التواصلية للغة يستدعي الوقوف على مسألتين أساسيتين وهما: وظائف اللسان كأداة للتواصل والخاصية الرمزية لهذا اللسان وإمكانية تأويل معانيه ورموزه.

وليس جديداً القول أن الدراسات اللغوية في العقود الأولى للقرن العشرين قد شهدت تطوراً كبيراً في المناهج والطروحات، وظهور دعوات متعددة لتبني جملة من الأفكار الجديدة في ميدان الدرس اللغوي. ولعل من أهم الركائز التي قامت عليها تلك الدعوات مقولة "سوسير" "Saussure" الداعية إلى دراسة اللغة (في ذاتها ومن أجل ذاتها). وهذا يدعو إلى أن نأخذ بعين الاعتبار عند دراستنا للغة كل العناصر التي يمكن أن تتدخل في أثناء عمليتي التواصل والاتصال اللغويتين، بما في ذلك العناصر النفسية والاجتماعية والثقافية وغيرها. وأن نسعى أيضاً إلى معرفة أبعاد التكيف اللغوي في مختلف

الأغراض والمواقف. ومما زاد في التمسك بهذا التوجه ما أصبح شائعا من أن اللغة أساسا وسيلة تواصل بين الناس، وهذا ما جعل مقولة (اللغة نظام من الرموز) تأتي في مرتبة ثانية، وذلك ما أكدته أكثر من مفكر من أن (اللغة ظاهرة إنسانية تلتقي فيها الحياة الذهنية والثقافية لمتكلمين بها، وهي أيضا وسيلة هذا الالتقاء والتفاعل). وذلك ما يدعو إلى ضرورة إرساء قواعد جديدة تبنى على ثلاثة أبعاد:

- اللغة
- الثقافة.
- الشخصية¹.

ومن بين الحجج التي يسوقها دعاة هذا المنهج "أنه لا يمكننا التطلع إلى فهم اللغة إذا لم نفهم "الخطاب" "discourse"، ولن نفهم الخطاب إذا لم نضع في اعتبارنا الهدف من التواصل أي (نوايا المتكلمين). وإذا لم نحاول معرفة مؤثرات السياق فيما نقول"².

وهكذا توالى الدعوات لإخراج اللسانيات من الإطار الضيق الذي حصرها فيه بعض روادها بالنظر إلى اللغة بعيدا عن العوامل المؤثرة فيها. ويُذكر في هذا المجال: "ساير" "Edward Sapir 1884-1939" و "هايمز" "Dell Hymes 1927-2009" اللذين أعابا على البنائين تركيزهم على الأشكال اللغوية مجردة ومنفصلة عن كل العناصر الأخرى، النفسية والثقافية.

ويلح رواد ما يسمى بلسانيات الخطاب على ضرورة الانطلاق من الخطاب بكل ملابساته الاجتماعية والثقافية والنفسية. وبذلك يعيدون إلى دائرة الاهتمام أمورا طالما أبعدت بحجة اقتضاء الدراسة العامة للغة وإبعاد كل ما هو غير لغوي. ويندرج في إطار هذا المنهج كل الدراسات التي يمكن أن تتعرض للتواصل أو الاتصال بوصفها مظاهر أساسية في استعمال اللغة، وتحاول أن تتجاوز باللغة من كونها مجرد وسيلة ذات وظيفة محددة إلى مجال أرحب تصبح فيه اللغة سلوكا إنسانيا وظاهرة

¹ E. Benveniste, Problème de linguistique générale, Edition Gallimard, 1966, p 16.

² Catherine.K. Orechioni, l'énonciation : de la subjectivité dans le langage, Armand Colin, 4^e édition, 1980, p8.

معقدة لا بد أن تدرس بأبعادها وحيثياتها المتعددة. ومن أبرزها ما يطلق عليه مصطلح (الكفاية التواصلية) التي تعني تمكن الناطق باللغة المعينة بأنظمتها وقوانينها من جهة والتمكن في الوقت نفسه من أساليب استعمالها بحسب المواقف والسياقات المختلفة، وبمعنى أوضح فإن الكفاية التواصلية تعني معرفة مجموع القواعد اللغوية والأسلوبية والاجتماعية والثقافية للغة.

وإذا كانت الكفاية اللغوية تستمد وجودها من وجود قواعدها وأنظمتها المحددة، فإن الكفاية التواصلية تستمد وجودها من العلم بالكفاية اللغوية، ومن العلم بجميع المؤثرات التي تعمل في اللغة، اجتماعية، نفسية، دينية، ثقافية، سياسية أو تراثية أو غير ذلك من المؤثرات التي تمثلها اللغة وتتأثر بها في آن واحد.

ويعد "هايماس" "Hymes" عند الغربيين أول من تطرق إلى مفهوم الكفاية التواصلية، وذلك في دراسة نشرت له عام 1971، يرى فيها "أن الكفاية التواصلية هي المعرفة بالقواعد النفسية والثقافية والاجتماعية التي تتحكم في استعمال الكلام في إطار مجتمع معين"¹. بمعنى أن استعمال اللغة في مختلف الأنشطة الإنسانية لا يقف عند حد إصدار الجمل والعبارات الصحيحة نحويا، بل يجب أن تكون تلك الجمل والعبارات مناسبة للوضعية أو الموقف الذي تجري فيه اللغة لكي يتمكن من تنويع أساليب كلامه وفق ما تقتضيه المواقف والوضعية التواصلية في المجتمع.

ويزيد "بيار بورديو" "Pierre Bordieu 1930-2002" الأمر وضوحا، فيرى أن الكفاية التواصلية هي "قدرة المتكلم على معرفة متى وكيف يستعمل اللغة، ومعرفة ما يجب قوله في ظروف معينة، ومتى يجب عليه السكوت، ومتى يجب عليه الكلام. إنها المعارف التي تزداد على الكفاية اللغوية الصرفة المتمثلة في ثراء الرصيد المعجمي عند مستعمل اللغة وتمكنه من قواعد لغته، والسيطرة على المعاني ووضوح خطابه".

¹ J. Lyons, sémantique linguistique, traduction de J. Durand et D. Boulonne, Larousse, 1981, p 193.

يمكن القول إذن أن استعمال اللغة في مختلف الأنشطة الانسانية يتطلب كفاية تواصلية من الأفراد زيادة على الكفاية اللغوية. ولعل هذا المفهوم للكفاية التواصلية عند الغربيين يلتقي مع مفهوم (البلاغة) عند العرب، إذ يقول الجاحظ (ت 256) أن "البلاغة اسم جامع لمعاني كثيرة في وجوه كثيرة. فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداء"¹.

إن التأكيد على المعرفة بمواطن السكوت، أو حسن البدء في العملية التواصلية، وهما من الشروط التي عدها "بورديو" من أسس الكفاية التواصلية، وقد قال بها المفكرون العرب، وزادوا عليها أسساً أخرى كإجادة الاستماع، وعمق الاحتجاج، والتأثير في المتلقي، وحسن الجواب وغير ذلك مما يعد سبقاً لغويًا للغويين ومفكرينا يؤكد فهمهم الشامل لما يسمى (الكفاية التواصلية). وقد ألح اللغويون العرب القدامى على القول بأن الكلام الجيد البليغ هو ذلك الذي يتطابق والمقام الذي يرد فيه، ويتناسب وأحوال السامعين. وفي هذا الصدد يقرر "الخطيب القزويني" (ت 738) أن "مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يبين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد، ومقام التقديم يبين مقام التأخير، ومقام الذكر يبين مقام الحذف، ومقام القصر يبين مقام خلافه... ومقام الإيجاز يبين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يبين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام... وارتفاع الكلام في الحسن والقبول بمطابقتها للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقتها له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، وبهذا أعني: تطبيق الكلام على مقتضى الحال"². ولا نشك في دور اللغويين العرب القدامى في دراسة (السياق) أو (المقام) بوصفهما من مكونات الكفاية التواصلية، وما اتفق عليه الدارسون أن ما يطلق عليه الغربيون مصطلح الكفاية التواصلية يطابق أو يقترب إلى حد بعيد من مفهوم البلاغة عند العرب باعتبار أن المقصود لدى الفريقين هو مطابقة الكلام للوضعية التي يساق لها أو يجري فيها. بل إن اللغويين العرب القدامى في تأكيدهم على أن (الإبلاغ) أو

¹. أبو عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، ص 115 و 116.

². القزويني، الايضاح، ص 8 و 9.

(لاتصال) لا يمكن أن يتم على أحسن وجه إلا في ضوء مطابقة الكلام لأحوال المتلقي، ومطابقته للمقام الذي يجري فيه، وقد سبقوا في ذلك اللغويين المعاصرين، إذ لم يلتفت الدرس اللغوي الحديث إلى دراسة المقام أو السياق "contexte" إلا في فترة متأخرة (أواخر الخمسينيات) على أيدي أقطاب المدرسة اللغوية الاجتماعية من أمثال "فيرث" John Rupert Firth 1890-1942 " و"مالينوفسكي" Bronislaw Malinowski 1884-1942 "، ومن نهج نهجها في الربط بين دراسة اللغة ودراسة أنواع النشاط الاجتماعي والانساني بحيث يتم تفسير دلالة الألفاظ أو العبارات داخل إطار السياق الحقيقي الذي ينتسب إليه. واللغة بهذا المفهوم تقترب من المستوى العلمي الاجتماعي أو قل (الإعلامي)، لأنها تعد نمطا من أنماط السلوك البشري الذي لا يؤدي وظيفة ثانوية محددة بل يؤدي دورا وظيفيا واسع الأبعاد يمكن أن تكتشف من خلاله (الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم قواعد العمل اللغوي مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللغوي ومن ثم توضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية) مما يعين على حل الكثير من مشكلات الإعلام والتعليم. ولهذا كانت نظرية السياق من أصلح النظريات لدراسة استعمال اللغة في الإعلام. ومن المفيد جدا أن توظف هذه النظرية على يد أحد أقطابها "فيرث" " Firth " في إطار مناسب تنتظم فيه العناصر التي تشمل الأشخاص والأدوات والأحداث إلى جانب عنصر اللغة الذي تقوم بينه وبين هذه العناصر الأخرى علاقات وتفاعلات هامة لا يمكن إغفالها عند دراسة الأحداث اللغوية على اعتبار أن اللغة ظاهرة اجتماعية في المقام الأول، وعلى هذا يقترح "فيرث" منهجا محددًا لدراسة اللغة تتحدد أبعاده في الوقوف على التالي¹:

أولا: دراسة السمات المميزة للأشخاص الذين يشتركون في العملية التواصلية.

ثانيا: معرفة الأحداث اللغوية والكلامية المتداولة في العملية التواصلية، وكذلك الأحداث غير اللغوية التي تصدر عن المشتركين كالإشارات والإيماءات إلخ...

¹. د. عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام ولغة الحضارة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، 1989، ص 369.

ثالثا: دراسة الأشياء والأدوات ذات العلاقة بالموقف.

رابعا: أثر الحديث اللغوي ونتائجه.

"إن الوقوف على هذه الأبعاد مجتمعة تساعد في فحص مضمون الاتصال في مقابل الأهداف المتوخاة منه، وتساعد أيضا على إنشاء معايير محددة يمكن الاستناد إليها في تحديد الأسلوب اللغوي الناجح في الإعلام وفق الوسيلة المستعملة: صحافة أو إذاعة أو تلفازا، مما يساعد على تحقيق جملة من الأهداف منها"¹:

1. تقييم الأداء اللغوي بناء على معايير قبلية مثل تحقيق نوع من التوازن بين طبيعة الأسلوب اللغوي المتبع والموضوع الذي يستعمل فيه والوسيلة المستخدمة.
2. تقييم الأداء اللغوي بموازنة جزء من سياق المضمون بآخر.
3. تقييم الأداء بموازنة سياق المضمون بمعيار خارجي ليس من المضمون.

ثالثا: مكونات الكفاية التواصلية

من الثابت أن تعليم الفرد الكفاية التواصلية يتم منذ المراحل الأولى من حياته، ويحدث ذلك بطريقة غير مباشرة في أغلب الأحيان إذ يبدأ الإنسان في سن مبكرة بإدراك العلاقة بين الخطاب على تعدد أنواعه من جهة وتعدد الوضعيات التي يجري فيها ذلك الخطاب من جهة أخرى. وبمرور عوامل متعددة منها التعليم والدراسة والتجربة الاجتماعية على تزويد الفرد بمعارف متعددة تحكم له الوقوف على أبعاد العلاقة بين أنواع الخطاب وأوضاعه السياقية، حتى يتمكن في نهاية الأمر من تكوين نظرة شاملة عن الاستعمال اللغوي المناسب لمختلف الوضعيات التواصلية في مجتمعه، ولهذا يمكن القول إن أول مكونات الكفاية التواصلية لدى الفرد والجماعة هي التجربة الحياتية التي تزدها، وترعاها

¹. المرجع السابق، ص 369.

مكونات متعددة أخرى تكوّن مجموعها كفايته اللغوية إيجاباً أو سلباً، ومن أبرز هذه الروافد أو المكونات نذكر ما يلي:

1. الكفاية الثقافية الاجتماعية.

وهذه تمكن صاحبها من تقييم الوضعية التي يتم فيها التواصل تقييماً صحيحاً كي يستطيع أن يلائم بينها وبين خطابه. ولعل أهم شيء في هذه الكفاية هو معرفة المتكلم نفسه، أي بمركزه الاجتماعي، "ومعرفته بمركز الطرف المقابل الذي يخاطبه بما يليق بمقامه"¹. فمدار الأمر كما يقول الجاحظ: "لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالخفيف للخفيف، والسخيف للسخيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح"². ولهذا "يجب إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم"³.

فالوحشي من الكلام يفهمه الوحشي، كما يفهم السوقي وكأنه السوقي، وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، وعليه لا يجوز أن يكلم الخطيب (سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوق)⁴.

"إن معرفة شخصية المتكلم أو السامع، وتكوينهما الثقافي وانتمائهما الاجتماعي أو المهني تؤثر في صميم السلوك اللغوي وتؤكد حتمية العلاقة بين الموقف المعين أو الموضوع واللغة المستعملة من أجل الوصول إلى الأغراض الحقيقية التي يقام على أساسها التواصل، وما يرافق هذا التواصل من ملابسات

¹. المرجع السابق، ص 370.

². الجاحظ، الحيوان، 71/3.

³. الجاحظ، البيان والتبيين، 93/1.

⁴. المرجع نفسه، 144/1.

الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها مما يشيع الكلام بالكثير من المعاني والدلالات¹. وفي هذا الصدد يقرر الجاحظ ضرورة أن يعرف المتكلم أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات. فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات، فإن كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه من عبر عن شيء من صناعة الكلام مجيئا أو سائلا كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحن، وبها أشغف. ولأن كبار المتكلمين ورؤساء المنظرين كانوا فوق أكثر الخطباء، وأبلغ من كثير من البلغاء، وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف، وقدوة لكل تابع.

ويزيد الجاحظ في إيضاح العلاقة بين مستعمل اللغة والمقام الذي يجري فيه استعماله لتلك اللغة آخذا بعين الاعتبار كل العوامل الاجتماعية والثقافية وغيرها مما يحكم العملية التواصلية بقوله: "ليس يشرف أن يكون -اللفظ- من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع أن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال، وكذلك اللفظ العامي والخاص، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مدخلك، واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسعة التي لا تلفظ عند الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام"².

• الوعي بالمستويات اللغوية المتعددة:

¹. نحر هادي، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل والنشر والتوزيع، 1998، ص 168.

². المرجع السابق، 136/1.

"إن ثمة إطار اجتماعي تواصلية تستعمل ضمنه اللغة فتتأثر بمعطياته، وتتكيف وعناصره بنوعيتها: البشري في موقف لغوي ما، والموضوعي الذي يعمل على تحديد نوع الكلمات المستعملة، والعنصر الهدف الذي تحدث من أجله العملية التواصلية"¹. ولهذا كان من الضروري الالتفات إلى بيان أثر النشاط السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الديني أو الاقتصادي، أو غير ذلك من مظاهر الحياة الانسانية على الأسلوب اللغوي المستعمل في كل نشاط من تلك الأنشطة، ويقتضي ذلك ملاحظة الكلمات والتعبير التي يستعملها المتكلم وفق الموضوع الذي يكتب أو يتحدث فيه، وتعدى ذلك إلى ملاحظة ما للمتلقى من دور في تحديد طبيعة النمط اللغوي المستعمل وخصائصه الدلالية والأسلوبية، بما ينسجم وطبيعة الموضوع، ونوع المتلقين، والمقام الذي تجري فيه العملية التواصلية، يتحتم على (المرسل) أو على (مبدع الخطاب) أو (منتجه)، التمكن من اللغة التي يستعملها؛ نظامها الصوتي والصرفي والتركيبية والدلالية لكي يتمكن من إجراء تواصله على وفق الموضوع الذي يريد، وعلى نوع مستقبلتي رسالته أو خطابه.

إن طبيعة الأسلوب اللغوي المستعمل في المرافعة القانونية مثلا من حيث مفرداته، وتراكيبه، ومصطلحاته ونسجه تختلف حتما عن الخطبة الدينية أو الكلمة الموجهة إلى جمع من الفلاحين والعمال لحثهم على الاشتراك في الانتخابات، أو دعوتهم للإضراب عن العمل، أو استنهاض همهم وتحفيزهم على الزيادة في الانتاج. فالإنسان يتواصل مع غيره ضمن مواقف اجتماعية، وأنشطة إنسانية متعددة تحدد شكل الأسلوب اللغوي الذي يعتمد المتكلم، ونوعية الكلام التي يختارها. فالخطاب السياسي بحكم قصده التأثير على المخاطبين لا بد له من إعداد وتصوير في ذهن المرسل قبل التوجه به إلى المستمعين، ومثل ذلك الخطاب الأدبي الذي يقتضي استعمال وسائل لغوية وأسلوبية محددة. أما الخطاب التعليمي فهو متأرجح بين التلقين والتواصل الانساني، إذ يعتمد صاحبه إلى تحقيق التواصل بينه وبين الطلاب بتوفير بعض المعطيات اللغوية والنفسية والقيمية التربوية لتحقيق التفاهم والإقناع، والإدراك الكلي أو الجزئي من لدن المتلقين.

¹ J. R. Firth, Personality and Language, London Oxford, 1950, p 119.

إن عناية المرسل في مواقف معينة بالغة إنما تؤكد ضرورة الوعي بأن لكل موقف لغة، فأنت في المواقف الرسمية تجد لزاماً عليك الحرص على أن تكون دقيقاً في استعمال المفردة والعبارة ملتزماً بقواعد النحو، ويبدو الأمر أكثر خطورة ودقة في استعمالنا للغة في الإبداع الأدبي بأنواعه، في حين تغيب تلك الدقة، ويتراوح الحرص على اللغة السليمة الصحيحة الجارية على نظامها المعهود بين متكلميها المثاليين في المواقف العادية.

ثالثاً: الوعي بالوظيفة التعبيرية للغة:

من جملة الوظائف اللغوية الوظيفة التعبيرية، ويقصد بها "التزويد بمعلومات عن المرسل من حيث مشاعره الخاصة، وعواطفه وميوله، وخبراته السابقة"¹. وهدف هذه الوظيفة إنما يكمن في تحديد جملة العلاقات القائمة بين المرسل والرسالة، وموقفه منها، "إذ أن الرسالة في صدورنا وبثها، إنما تحمل صفة مرسلها، وطابعه فضلاً عن كشفها عن شيء كامن فيه، كحالته العاطفية والانفعالية أثناء الكلام، كالتحمس والاستخفاف والتحفظ والتعالي، وغير ذلك"².

"إننا إذ نتواصل مع أنفسنا إنما نصدر رسالة نحمل فيها أفكارنا تلك التي عادة تكون منوطة بشيء ما (إنه المرجع). إن لنا الحق كل الحق في أن نعبر عن مشاعرنا وأفكارنا تجاهه، كأن نقول مثلاً: جميل أو قبيح، صالح أو طالح، جيد أو سيء"³.

وأخيراً يمكن القول أنه إذا كان للاستعمال أثر بالغ في حياة الكلمة وتعيين دلالتها وتحديد معناها، وهذا ما تكفلت به المعاجم اللغوية التطورية، بل تكفل به ضرب من العلم اللغوي بات مستقلاً بنفسه هو (علم أصول الكلمات)، فإن الوقوف على الشيء من إيحاء الكلمة المعينة في النفي، وواقعها في المخيلة أو الذهن لا تقدمه لنا المعاجم اللغوية، لأن الدلالة المعجمية المجردة ليست هي كل

¹. جريس، نجيب، حسام الدين، كريم زكي، ساسي عياد، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، 1997، ص 32.

². بول فارب، مدخل إلى الألسنية ت عنبرة سلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص 39.

³. المرجع نفسه، ص 40.

دلالة الكلمة. إن وراء الكلمات دلالة نفسية ووجدانية لا يمكن الوقوف على آفاقها، لأن الإحساس بها لا يمكن إلا إذا تمكنا من معرفة دقيقة لوظائف اللغة التعبيرية، والجمالية والاتصالية والتواصلية وحتى وظائفها غير اللغوية.

2. الكفاية اللغوية:

إذا كانت الكفاية التواصلية تتكون من قواعد نحوية اجتماعية لغوية تمكن صاحبها من امتلاك ناصية اللغة ومن استعمالها بحسب المواقف المختلفة، فإن الكفاية اللغوية تشكل جزءاً أساسياً من أوجه الكفاية التواصلية، وتحدد في كونها نظاماً من القواعد اللغوية؛ صوتية، صرفية، نحوية، دلالية. وهي وإن كانت جزءاً من الكفاية التواصلية إلا أنها هي الأساس الذي يبنى عليه التواصل. ولا يمكن تصور كفاية تواصلية ناجحة من غير وعي بالكفاية اللغوية، وفي الوقت نفسه لا يمكن للكفاية اللغوية أن تفعل فعلها في الاتصال والتواصل إلا بمراعاة كفاياته.

إن مراعاة الكفايتين التواصلية واللغوية هو الذي يحقق المستوى المطلوب في التواصل.

وما لا شك فيه أن العصر الذي نعيش فيه الاختراع والابتكار، والإبداع في الأنشطة الإنسانية كافة، ومنها النشاط الإعلامي الذي تعددت وسائل الابتكار فيه، بتعدد آلياته وأجهزته وقنواته. ولأن قنوات الاتصال الإعلامي متعددة فإن كلا منها يحتاج إلى كفاية لغوية خاصة ومحددة؛ فالأسلوب اللغوي الذي يعتمد على الصحفي غير الأسلوب اللغوي الذي يعتمد على العاملون في التلفاز، ومنشئو المقالات الاجتماعية يعتمدون أسلوباً لغوياً قد لا يعتمد على كاتبو الافتتاحيات السياسية أو المقالات الاقتصادية أو التقارير الإخبارية أو النقد الأدبي. وتعتمد الثقافة اللغوية أبعاد الكفاية اللغوية وتشمل الإمام بالمستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية في اللغة التي يكتب فيها ويمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

• المستوى الصوتي

ونعني بها معرفة كيفية نطق الأصوات في حالة تحققها المادي، أي مخارج الأصوات المنطوقة، وبه يقوّم عوج اللسان من عدوى اللحن واللكنة غير العربية باعتبار ذلك لازماً من لوازم الكفاية اللغوية الصوتية، لأن الصوت مادة الألفاظ وأساس الكلام المركب.

وليس من المقبول جهل أو تجاهل طبيعة نطق الكلمات أو ما يسمى بنظرية الحامل أو موجة الأساس التي تحدث خلال النبر مثلاً، أو التنغيم "intonation" عند القراءة أو الإلقاء وما لذلك من وظائف دلالية، أو الوقف "pause". وليس من المقبول أيضاً تجاهل الترقيق أو التفخيم والإدغام والفك والغنة والتنوين والمد وغير ذلك من مسائل الصوت.

• المستوى الصرفي.

"الصرف ميزان البنية اللغوية المفردة في اللغة العربية، والدرس الصرفي حال وسط بين المستويين الصوتي والنحوي، وموضوعه الكلمات العربية المعربة في ذاتها وجوهرها لمعرفة ما فيها من التغيرات العارضة سواء أكان الداعي اللفظ أم المعنى"¹.

وإذا كان علم النحو عبارة عن قواعد يعرف بها نظام تكوين الجملة في اللغة العربية وبيان وظائف الكلمات نحويًا ودلاليًا فيها، فإن موضوع الصرف يتحدد في دراسة ثلاثة أشياء:

¹ محمد طنطاوي، بغية النجباء في تصريف الأسماء، دار الصاوي، 1900، ص 21.

- أ. تحويل بنية الكلمات إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني.
- ب. تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها، ولكن لغرض آخر ينحصر في الزيادة، والحذف والإبدال والقلب والنقل...إلخ.
- ج. بيان أحكام بنية الكلمة وتصريفها إلى أجناس وأنواع بحسب وظائفها؛ كتقسيمها على أجناس الاسم والفعل والأداة، أو من حيث التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، وغير ذلك...

وقد عمدت اللغات إلى جملة من الأساليب والطرائق المختلفة لإثراء معاجمها، ويشكل مبدأ الاشتقاق أبرزها بوصفه يمثل الحركة الحية الدائمة في اللغة التي تلبي أدق مطالب التعبير على مختلف أهدافه، وأساليبه وموضوعاته.

الطرائق الصرف دلالية:

أولاً: الارتسام " memesis "

وهو انعكاس لفعل الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية بما رقد اللغة العربية بمئات المفردات والتعابير التي تحمل المضمون الدلالي الذي أوجده متكلمو اللغة المترجم عنها من نحو: مائدة مستديرة، مؤتمر قمة، جسر جوي، حاملات الطائرات، ناطحة سحاب وغيرها..

ثانياً: الاقتراض " Borrowing " وفيه تحافظ اللغة العربية على المتتاليات الصوتية المقترضة من دون أي تغيير. وأكثر ما اقترضته اللغة العربية في العصر الحديث الألفاظ الدالة على الاتجاهات السياسية أو

الفكرية أو الاختراعات والمواد الكيماوية. وكأمثلة على ذلك نجد: الدبلوماسية، الليبرالية، الديمقراطية، الديناميكية، الدكتاتور والأكسجين وغير ذلك..

ثالثا: التعريب " Arabisation "

"وهو نقل اللفظ من اللغة الأجنبية إلى العربية، وقد سماه "سيبويه" (إعرابا)، فيقال حينئذ معرب ومعرب¹، وفيه تجري اللغة العربية على اللفظ المقترض إجراءات صرفية معينة كي ينسجم اللفظ المقترض مع القوانين والقواعد المعتمدة في النظام اللغوي العربي.

رابعا: التهجين " Transliteration "

وفيه تقوم اللغة العربية باستعمال الجذر العربي الذي يدل على جذر المفردة الأجنبية مزيدا عليه اللاحق أو السابق الأجنبي، وغالبا ما تنتمي هذه السوابق واللواحق إلى المجالات العلمية والتقنية كقولهم: صوتيم مقابل مورفيم، أي بزيادة اللاحقة "eme" على (الصوت).

• المستوى النحوي

يشير مستوى القواعد النحوية أو النحو تقليدا إلى دراسة أحد أقسام اللغة الذي يُعنى بوصف التركيب اللغوي أو البنية اللغوية في لغة من اللغات، والطرائق التي ترتبط بها وحداتها اللغوية، كالكلمات وأشباه الجمل وغيرها مما يسمى (الفئات اللغوية) " grammatical category " لتكون جملا مقبولة في هذه اللغة. ويأخذ النحو في الاعتبار الوظائف والمعاني والدلالات لهذه الجمل، والعلاقات التي تربط مكوناتها.

¹. محمد أمين بن فضل الله المحيي، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، مكتبة التوبة، 1994، 105/1.

من مكونات الجملة بمكونات أخرى في الجملة نفسها، أو ما يسمى الوظيفة النحوية " grammar function".

ويترتب عن ذلك بعض القضايا النحوية التي لا بد من الإشارة إليها، وأبرزها:

أ. فكرة الترتيب " word order".

فطبيعة اللغات الحية أن متكلمها قدرة على التصرف الأفقي في الجملة في بنيتها السطحية. فجملة: وقع زلزال، بتقديم الفعل تختلف عن جملة:

زلزال وقع، بتأخير الفعل لأن كل جملة إنما تخضع من حيث شكلها إلى بعدين:

الأول يمثل بداية الجملة، والثاني يمثل نهايتها؛ والبداية تعني الموضع الذي يتحقق فيه نوع الجملة وتحديدتها بما يؤدي إلى تحكم أحد العناصر فيها، ويحقق لنا تابعة أي تصرف أفقي في نظام الجملة، وما يترتب على ذلك التصرف من دلالة محددة تختلف عن سواها:

ففي جملة (وقع زلزال في الصين) بتقديم الفعل، إنما ننقل خبرا ابتدائيا غير معلوم مسبقا، لأن الفعل هو العنصر اللغوي: أي أن الدلالة الزمنية هي محور التواصل والإخبار بشيء لا يعلم المتلقي عنه شيئا مسبقا.

أما قولنا: (الزلزال وقع في الصين) بتقديم الاسم، فالإخبار هنا ليس ابتدائيا، غير معلوم مسبقا، وإنما يشير إلى أن المتلقي كان يعرف بأن الزلزال قد وقع.

ب. الملاءمة التفسيرية:

وهي ذات بعدين:

الأول: دلالي ويعنى به قدرة قواعد اللغة على تفسير أي غموض توحى به بعض التراكيب التي تحمل أكثر من معنى، كمثـل قولنا: (زيارة الأصدقاء سارة) إذ تعني (زيارتي للأصدقاء سارة) أو (زيارة الأصدقاء لي سارة).

الثاني: وفي ضوءه يمكن الكشف عن كثير من الحقائق اللغوية الأسلوبية التي تخص الكفاية النحوية، ومنها:

- مظاهر الإطناب
- موقع الخطأ في اللغة العربية، إذ أن في اللغة العربية ظاهرة فريدة تمكن من ربط بعض القواعد النحوية بالرسم الكتابي، فتكتشف الخطأ في الكتابة من خلال إدراكك للنحو، كمثـل: (امض، لم يمض، وحذف الياء من الاسم المنقوص في حالتي الرفع والجر).

• المستوى الدلالي:

يمثل علم الدلالة المستوى الرابع في تحليل النظام اللغوي، وهي المستويات التي لا ينفصل بعضها عن بعض. وقد كان لتحليل الدلالي في العصر الحديث الأثر في ظهور نظريات مختلفة في تحديد دلالات الألفاظ والتراكيب، ومنها:

رابعا: نظرية السياق:

من المعلوم ان المرجع يهتم بتحديد العلاقة بين اللغة وعالم الخبرة غير اللغوي، أما المعنى فيتعامل مع العلاقات اللغوية. ويبدو أن النظرية السياقية تولي اهتماما كبيرا بالمرجع.

1. النسبية اللغوية:

يبدو أن هناك مشكلات تعترضنا عند دراسة العلاقة بين اللغة والعال الخارجي. وتنشأ هذه المشكلات من الطريقة التي نتعرف به على العالم. وتعتمد هذه الطريقة على اللغة التي نستخدمها بدرجة ما. ولما كنا نضع مقولات للأشياء التي تبلورها خبراتنا بمساعدة اللغة (والمقصود بذلك أننا نصنف العالم في ضوء خبرتنا من ناحية وفي ضوء لغتنا من ناحية أخرى لذا نجد ان التعرف على العالم الخارجي من ناحية والتعرف على اللغة من ناحية أخرى يصبحان من الأمور المهمة التي يمكن فصلهما، والشيء المهم أن علمنا يتحدد بواسطة لغتنا. لقد افترض "مالينوفسكي" أن لدى الأقوام البدائيين أسماء عن الأشياء التي تظهر أمامهم في عالم لم تميز عناصره بعد. إنهم بفضل ما تجمع لهم من خبرات متداخلة إذا جاز التعبير يستطيعون أن يميزوا لكلمات الأجزاء الموجودة في عالمهم وخاصة تلك التي يتصلون بها. ومن خلال هذه الفرضية يتبين لنا أن العالم لا يتحدد إلا من خلال اللغة التي نتكلم بها، أما اللغة التي يتكلم بها الآخرون فإنها تحدد العالم بطريقة تختلف عن الطريقة التي حددت بها العالم اللغة الأولى، ولكن الباحثين تحفظوا على هذه الطريقة، فهم يؤكدون أن لغة ما لا تختلف اختلافا كليا في تحديد العالم غير اللغوي وفي تصنيفه عن اللغة الأخرى حقيقة أنه إذا لم يكن لدينا نفس الصورة عن العالم كما هي عند المتحدثين بلغات أخرى. ومع ذلك سيكون لدينا صورة قد تتصل إلى حد ما بالخطوط الرئيسية التي رسمها الآخرون، وهذا ما ثبت من حقيقة أننا نستطيع أن ندرس لغات أخرى ونستطيع أيضا أن نترجم من لغة إلى أخرى. وقد يكون الأمر صحيحا أننا لا نستوعب كلية عالم اللغات الأخرى. ولكنه يتميز بوضوح ما نستطيع أن نلتمسه ونحقق تفاهما معقولا ما.

2. صعوبة استبعاد السياق من علم الدلالة:

هناك لغويون يستبعدون السياق من الدراسة في علم الدلالة، والسبب الحقيقي في هذا الاستبعاد هو وجود مصاعب في الربط بين المفهوم وما يشير إليه في العالم الواقعي أو العالم غير اللغوي.

وهناك مشاكل أخرى يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ. أننا نستطيع التعرف على شذوذ الجملة أو غموضها دون الحاجة إلى الرجوع للمرجع بل يمكن أن نكتفي بعلاقات بين التصورات التي تشير إليها الكلمات، لذا يجب أن يعرف أهل اللغة معنى الجملة قبل استخدامها في سياق محدد (قبل ربطها بالمرجع).

ب. وهناك بعض آخر من اللغويين يرون أن ربط المعنى بالمرجع يتطلب معرفة مسبقة بمجموع المعرفة الإنسانية، وهذا أمر مستحيل من ناحية وسيجعل علم الدلالة غير محدد من ناحية أخرى. وهذه في الحقيقة هي المشكلة التي أدركها بعض الباحثين وجعلتهم يأسون من معالجة علم الدلالة بشكل مرض. ولكي نواجه هذه المشكلة لا بد أن نتوصل إلى تحديد المعنى دون الاستعانة بالمرجع كأن نركز على العلاقات المعجمية بين الكلمات مثل علاقة التضاد كما في متزوج / أعزب وقصير / طويل.

3. سياق الحال:

يرتبط مصطلح سياق الحال بباحثين، اولهما الأنثروبولوجي "مالينوفسكي" وثانيهما اللغوي "فيرث". وكلاهما كان مهتما بتحديد المعنى في ضوء السياق الذي تستخدم فيه اللغة ولكن بطرق مختلفة.

ومن المهم هنا ان نؤكد أن "فيرث" يرى في سياق الحالة جزءا من ادوات اللساني أو أنه أحد جوانب الوصف الفني، والنحو تكتيك آخر له مستوى مختلف ولكن له نفس الطبيعة

التجريدية. وكانت اللسانيات بالنسبة له نوعا من تسلسل الأساليب التي تتعاون كلها لتحديد المعنى. والحق أن اللسانيات تحلل المعنى إلى أطراف خاصة من البيانات. وهكذا كان "فيرث" يرى أن كل أنواع الوصف اللساني مثل الفنولوجيا والنحو والسياق تسهم في تحديد بيانات المعنى. إن وصف المعنى في ضوء سياق الحالة هو أحد الطرق التي يعالج بها اللساني اللغة، وأنه لا يختلف أساسا عن الطرق الأخرى التي يؤدي بها اللساني عمله.

4. السياق والثقافة والأسلوب:

بدلا من محاولة تفسير المعنى في ضوء السياق سنحاول حصر البحث في تحديد ملامح السياق التي تبدو مناسبة في اختيارنا اللغوي.

وسنبداً بأشكال شائعة وقد تكون عامة وهي أن اللغات تمتلك الإشارات. هذه الإشارات تحدد الأشياء والأشخاص والأحداث في ضوء علاقة المتكلم بالفضاء والزمان، وهنالك ثلاثة أنواع رئيسة هي:

أ. يجب ان يكون المتكلم قادرا على تحديد المشاركين في الخطاب نفسه والشخص أو الأشخاص الذين يتكلم معهم، والصيغ التي تساعده على بلوغ ذلك هن ضمائر المتكلم والمخاطب، وعلى أية حال فإن اختيار الضمائر لعوامل اجتماعية.

ب. يوجد في اللغة: هنا/ هناك، هذا / ذلك للتمييز بين موقع المتكلم والمخاطب. فقد يكون قريبا منه أو بعيدا عنه. إن العلاقة الفضائية التي توضحها الكلمات السابقة ستختلف حسب اللغة. ففي اللغة الإنجليزية يوجد زوج من الأفعال هو أتى / ذهب. فالفعل جاء أكثر تحديدا من ذهب، ذلك لأنه يوضح الاتجاه نحو المتكلم أو المتلقي، واستخدم أولا للاتجاه البسيط نحو المتكلم أو المستمع كما في (لتأت إلي) و (سأتي إليك) ثم استخدم ثانيا للاتجاه نحو المتكلم أو المتلقي وقت الحدث المناسب سواء في الماضي أو في المستقبل

(وكذلك المضارع). (هو أتى إلي في لندن)، و (هو سيأتي ليراك في باريس عندما تكون هناك).

ت. العلاقات الزمانية لا توضح فقط بالظرف بشكل عام مثل الآن وحينئذ، ولكنها توضح كذلك بظروف أكثر تحديدا مثل أمس وغدا، وعلاوة على ذلك فالعلاقات الزمانية غالبا ما تدمج في نحو الأفعال، ولكن بالرغم من ان بعض اللغات تميز تمييزا واضحا زمن الأفعال في ثلاثة أزمنة هي المضارع والماضي والمستقبل كما في اللاتينية، فمن الجدير بالملاحظة أن التمييز في الإنجليزية بين المضارع والماضي هو أكثر أهمية من التمييز بينهما وبين المستقبل. لأن التمييز بين الماضي والمضارع هو الذي يتم في ضوئه تصريف الفعل مثل (أحبُّ) و (يحبُّ). أما المستقبل فيشار إليه باستخدام صيغ إيضاحية مثل (سوف) كما في (سوف أحب). وحتى الظروف مثل (الآن) و (حينئذ) ليس لها مقابل يشير إلى المستقبل، وعلاوة على ذلك فالزمن مرتبط في اللغة غالبا بالناحية وهي ليست عنصرا إشاريا. والحالة (الصيغة) قد تكون ذاتية أو موضوعية (الذاتي يرتبط بالمتكلم والموضوعي يستقل عن المتكلم).

أما الناحية الأخرى المهمة في السياق فهي تلك التي تهيئها العلاقات الاجتماعية. فغالبا لا يكفي للمتكلم أن يكون قادرا على تحديد الشخص الذي يوجه الكلام بل يجب في كثير من اللغات أن يشير بوضوح إلى العلاقات الاجتماعية بينه وبين الشخص. وفي كل اللغات الأوروبية على وجه الخصوص يمكن أن نميز بين ضمائر الخطاب للشخص المألوف وبين ضمائر الخطاب التي تفيد التأدب وذلك عندما يكون شخصا مفردا. فالصيغة التي تفيد التأدب هي الصيغة النحوية للمخاطب الجمع أو للغائب الجمع.

خامسا: التفاعل:

تلح النظرية التداولية على أهمية المعطيات السياقية، وهي تعد من شروط نجاح اشتغال الأعمال اللغوية، ومن توجيهات ذلك الاشتغال العامة، فالنظرية التداولية تلح إذن على الدور الذي يقوم به المتخاطبون فهم لا يتفاعلون فيما بينهم بواسطة اللغة فحسب، بل إنهم يقبلون ذلك التفاعل ويتعاونون عليه.

وقد اقترح "غرايس" (Herbert .Paul. Grice) وهو يشتغل بجامعة أكسفورد على فلسفة اللغة ضمن اهتمامه بالمضمّر (sous-entendu) في مقال شهير بعنوان "المنطق والمحادثّة"، وتتمثل الفكرة الأساسية في أن المتخاطبين عندما يتحاورون، إنما يقبلون ويتبعون عددا معينا من القواعد الضمنية اللازمة لاشتغال التواصل. والمبدأ الأساسي هو "التعاون".

إن الشركاء في تفاعل لغوي يتقاسمون، في العادة، هدفا مشتركا، إذا انعدم، لن يكون ثمة سبب للتواصل، وقد لا يتم التواصل على الأرجح.

وعن هذا المبدأ تتفرع قواعد نوقش عددها وخصائصها كثيرا، وأُعيدت صياغتها أكثر من مرة على يد "غوفمان" (Erving Goffman)، مثلا، تلك القواعد التي يجمعها "غرايس" في أربع مجموعات مستعملا معايير كانطية:

1. الكم (نقول ما هو ضروري بالضبط ولا نزيد أكثر من الضروري)
2. الكيف (نقول ما ينبغي على أحسن وجه، أي أن نتوخى أساسا النزاهة وعلى أساس المعلومات الكافية).
3. العلاقة أو الإفادة (نقول أشياء مفيدة للتفاعل، أشياء لها علاقة بالمحادثّة).
4. الجهة (نتكلم بوضوح، بالنبرة الملائمة، إلخ).

ويفترض المتخاطبون الاحترام المتبادل لهذه القواعد، بما يسمح للمستقبل بأن ينشئ دلالة. وهذه هي حال الأعمال اللغوية غير المباشرة، كما بين ذلك "سورل" " John Rogers Searle 1932 "، إذ يفترض أن قول المتكلم شيئاً مفيداً، بشكل نزيه، إلخ... يسمح للمخاطب أن يتجاوز المعنى الحرفي ليقوم دلالة غير مباشرة ممكنة. وتحلل مبادئ المحادثة عند "سورل" داخل نظرية الأعمال اللغوية، لا خارجها.

إن الأعمال اللغوية غير المباشرة تدعو إلى سلسلة من التعميمات، من ذلك العمل اللغوي الذي نوجه فيه إلى السامع بطلب غير مباشر لفعل شيء ما، فنسأله إن كان يستطيع القيام بذلك الفعل، ولكن ينبغي لنا أن نفسر هذه التعميمات بنظرية أعمال لغوية تحتوي نظرية المحادثة، كما نفسرها بافتراض أن المتكلم والسامع ذوا معارف عامة عن العالم ولهما كذلك ملكات ذهنية معينة.

1. طقوس التفاعل:

إن الإشكالية التبادلية تُفهم (conceptualise) اللسان واستعماله عبر الأهمية التي تعلقها بالتفاعل بين المتخاطبين في السياق، وذلك بشكل يقطع مع اللسانيات البنيوية، ويوسع المنظورات التي فتحتها لسانيات التلفظ مع "بنفنيست" "Emile Benveniste" ومن سار على خطاه. فلم تعد هناك رسالة، ولا باث فضلاً عن الباث الذي يتوجه برسالة ذات وجهة واحدة إلى المستقبل، بل ثمة متلفظون شركاء (co- énonciateurs) ينشئون معا تفاعلاً لغوياً، أي هم يعيشون نشاطاً ينزع إلى الفعل في الواقع ويفعل خاصة فيهم بشكل متبادل. إن التواصل هو إذن طقس اجتماعي يتأسس على مواضع التعاون.

هذا الطقس هو محل استراتيجيات الأعمال والتفاعلات بالمعنى الإيجابي للفظ "استراتيجياً" (إجراءات منظمة) وبالمعنى السلبي له (التمويه) في الوقت ذاته. وليس المتلفظون الشركاء آلات لا روح فيها

تسعى لبث ملفوظات محايدة و "مثلة" للواقع. إنهم على العكس من ذلك، كائنات بشرية اجتماعية، إنهم أفراد ذوو شخصيات ثرية ومعقدة، يتعاونون ويقف بعضهم حيال بعض، في الوقت نفسه. إن مفهومة الأعمال اللغوية، ولا سيما الأعمال غير المباشرة، تقتضي أن الدلالة تتبع الإجراءات العملية/ التأويلية (شروط النجاح). وإذا فهمنا من ذلك أن كل تلفظ هو حوار في جوهره (حتى الحوار الباطني أو المونولوج)، فإن ذلك لا يعني على الإطلاق، أن التفاعل تناظري أو هو متساو بين الطرفين. ثم إن الأبعاد الاجتماعية لشروط النجاح تبين بوضوح أنه يوجد بين أطراف التفاعل اللغوي في الغالب تفاوت وعلاقات قوة ورهانات رمزية.

وقد قاد هذا المبدأ الأساسي في التفاعل التداولين إلى الاشتغال على بعض العناصر اللسانية، أو بشكل أوسع، على بعض العناصر اللغوية التي تؤثر على اللاتجانس، وعلى التفاعل اللفظي (الأعمال غير المباشرة كالسخرية والاستعارة، الخطاب المنقول، عناصر التهويل، الإجراءات الحجاجية، إلخ...)، وقد احتوى هذا العمل على العناصر اللسانية تحليلا للتفاعل عرف تحديدا باسم التحليل المحادثي، ويعد "إرفنج غوفمان 1922 - 1982" "Erving Goffman" رأس الممارسين له.

و "غوفمان"، عالم اجتماعي كندي إنجليزي اللسان من أصل روسي، خصص أبحاثه للعلاقات اليومية بين الأفراد وتحديدا للمحادثات. إنه يقدم التفاعل بوصفه نظاما يحظى بمواضع وآليات انتظام على قاعدة نظرية "التواصل الجديد" ل "بالو ألتو" (Palo Alto). ويطور مبدأ التعاون الأساسي عند غرايس، الذي يعيد "غوفمان" صياغته ب "إجبارية الالتزام"، وهذا المبدأ يطور نظرية في المحادثة بوصفها مكونة من "طقوس" متنوعة. وما يسترعي الانتباه في ذلك هو أساسا الفكرة الجوهرية القائلة بأن التحوار يفترض دائما ضربا من التبادلية، وهي فكرة تذكرنا بالتحليل الذي قام به الأنثروبولوجي "مارسيل موس" "Marcel Mauss" للهبية.

"إن من يخبر بأمر ينبغي عليه أن يحرص على ألا يعتبره الناس مجنوناً، ومن يسلم عليه أن يأمل في أن يكون تسليمه مرغوباً فيه، ومن يعتذر عليه أن يتوقع قبول اعتذاره، والذي يعترف بحقيقة مشاعره،

يأمل أن يكون محل ثقة، والذي يقدم عرضاً غير مغر، يتوقع ألا يستحسنه الناس، ومن يقول عن نفسه شراً يتوقع أن يقول الناس عنه العكس. وتصبح الوقفة التي تلي محاورة...ممكنة إذن، في جزء منها، لأن المتحاورين قد وصلوا إلى نقطة يرى كل واحد منهم أنها متينة، ولأنهم يتمتعون بقدر محترم من ضبط النفس ومن احترام الآخرين"¹.

2. تفعيل الكفايات: " actualisation des compétences "

من الخصائص المميزة للتفاعل التواصلية هناك تفعيل الكفايات التي تعتبر من العناصر التي تحضر السلوك الحوارية بمستوييه الإرسالي والاستقبالي. وقد خصص لها اللسانيون إطاراً هاماً، خاصة ما تعلق بالكفايات غير اللسانية "les compétences non-linguistiques" التي تضم الخاصيات النفسية والتحليلية النفسية "psychanalytique" التي تقوم بدور أساسي في عمليتي عقد السن وحله، ثم الكفايات الثقافية "culturelles" والموسوعية "encyclopédiques" وهي مجموع المعارف المضمرّة التي يتوفر عليها المشاركون في التفاعل الحوارية، إضافة إلى الكفايات الإيديولوجية "compétences idéologiques" التي تتضمن مجموع الأنظمة التأويلية والتقويمية للعالم المرجعي، هاته الكفايات تدخل في علاقة ضيقة مع الكفاية اللسانية "compétences linguistiques" تلك العلاقات التي تكون مسؤولة على تشعبات اللغات الفردية.

إن هاته الكفايات هي التي تساعد على وصف السلوك الحوارية في حالاته المتنامية أثناء العملية الحوارية. فتفعيلها هو الذي يمكن من فهم العناصر المساهمة فيما يؤول إليه الحوار من تفاهم أو اختلاف بين أطرافه، وهاته الكفايات غير اللسانية أو الموسوعية أو الإيديولوجية تأخذ تظاهرات معينة في الكفاية اللسانية. هاته التظاهرات تعكس اختلاف كفايات أطراف العملية الحوارية من جهة وتعكس تضارب أهدافهم ومقاصدهم من جهة ثانية.

¹. E. Goffman, Façons de parler, éditions de minuit, 1987, p 263.

3. التنوعات الاجتماعية اللسانية والتفاعل:

لقد طور "جون.ج. غمبرز" John Joseph Gumperz " تحليل التفاعلات اللغوية في اتجاه واحد بشكل خاص، و "غمبرز" باحث أمريكي تأثر كثيرا بمدرسة "بالو ألتو" و ب"غوفمان" وبالمنهجية الاثنولوجية (وعبرها بمدرسة شيكاغو)، من جهة، ومن جهة أخرى تأثر باللسانيات الاجتماعية "لابوف" "William Labov"، وبالأنثولوجيا اللسانية "ساير" "Edward Sapir". وشهدت أعمال "غمبرز" المنشورة في الولايات المتحدة منذ سبعينيات القرن العشرين، أصداء واسعة ابتداء من الثمانينيات. والخلاصة التي خرج بها من هذه التيارات العلمية المختلفة تسمى "إثنوغرافيا التواصل" وبشكل أدق هي "لسانيات اجتماعية تفاعلية" أو كما يقول هو "مقاربة تأويلية المحادثة". ويتعلق الأمر بتحليل:

- الطريقة التي يستعمل فيها المتخاطبون تنوعات مختلفة من لسان واحد أو من أسنة متعددة، أثناء التخاطب (مبادئ تبادل السنن والتنوع المشترك الذي يقيمه علم اجتماع اللسان).
 - كيف تسهم هذه الاختيارات في استراتيجيات التفاعل.
 - كيف تنشئ هذه الاختيارات أطرا ثقافية لتأويل الملفوظات والتلفظات.
 - فيما تعد هذه الاختيارات دالة.
 - أي استدلالات تتأسس على المؤشرات، وأي مؤشرات تقع.
 - كيف تشتغل توجيهات التفاعل في الحالة المتواترة للاتصالات بين متصلين ينتمون إلى مجموعات لسانية إثنولوجية ولسانية اجتماعية مختلفة.
- ويقدم "غمبرز" أخيرا تصنيفا محددًا (واختياريا) للوظائف الأساسية للتداول السنني: خطاب منقول، استهداف المخاطب، عبارات تعجب أو عناصر تنبيهية، تكرار (توضيح أو تشديد)،

بناء الجمل، (روابط، أدوات الوصل)، التزام شخصي، جودة المعلومة، توكيد، نمط الخطاب (محاضرة أو مناقشة، مثلا).

وتدور هذه المؤشرات حول ثلاثة وجوه أساسية وهي: النظم (التنظيم، الإيقاع، تداخل أدوار الكلام)، واختيار السنة من بين الممكنات المتاحة ضمن القائمة اللسانية، (وهي ممكنات متغيرة صوتيا وصوتيا وتركيبيا ومعجميا)، واختيار التعبيرات المجازية وأعراف المحادثة (ملفوظات طقوسية، خاصة عند بدء المحادثة وختامها). إنها تثير استدلالات عبر مسار "إنماء" يتصل بوحدات الخطاب، خصوصا عند تواردها عند المؤشرات.

لقد فضل "غمبرز" التفاعلات اللفظية بين الأقوام حيث تكون الآثار التداولية للتنويعات الاجتماعية اللسانية أوضح. ولقد استغل "غوفمان" بعض أعمال "غمبرز" لتحليل بعض ظواهر "الطقوس المحادثية"، وبالتحديد ما يتعلق بالإشارات والأوضاع.

4. خصائص التفاعل التواصلي:

يتكون التفاعل التواصلي من مفهومين: مفهوم التفاعل "interaction" الذي يعني الفعل ورد الفعل، وبذلك يكون معناه في الحوار هو المشاركة في الفعل ورد الفعل حول مضامين معينة. ومفهوم التواصل الذي يعني الحالة التي يصل إليها الحوار بين طرفين على الأقل. وإضافة المفهومين إلى بعضهما البعض يعطيها حلة جديدة ليدلا على كل العناصر التي تفيد المشاركة الحوارية في إطار تفاعلي تساهم فيه كل مكونات الحوار اللسانية والخارج لسانية. وبالتالي يكون التفاعل التواصلي عبارة عن تبادل الأخذ والعطاء بين ممثلي الخطاب في سياق حوار يحمه التعاون وينبني على الملاءمة، أما خصائصه فنجدها في ميكانيزمات الحوار التي نجدها في مكونات التواصل من خلال معانيه الأولى كما نجده في المفاهيم التداولية.

أولا: خصائص التفاعل التواصلي من خلال المقاربة التواصلية:

1. المشاركة أول ميكانيزمات الحوار:

يعتقد "باتسون" "Bateson" "أن ميكانيزمات الحوار تحتضن الخصائص الأولى للتفاعل التواصلي وأول هاته الميكانيزمات نجد المشاركة التي تعتبر مكونا من مكونات مفهوم التواصل"¹. فالمشاركة هي الخاصة الأولى من خصائص التفاعل التواصلي وبها تنطلق ميكانيزمات الحوار، والمشاركة التي تفعل إرادة القول لدى أطراف الحوار هي المؤطرة لعناصر التفاعل بين ممثلي الخطاب، ولولاها لما انتظم أي تواصل فعال بين عناصر التواصل. وهكذا تضاف إلى الخاصة الأولى للتفاعل التواصلي معاني جديدة تدعم وحدة الشعور والتشارك في الرأي، وهي معان تبين ما تؤول إليه المشاركة أثناء التفاعل التواصلي.

2. خاصية الإجماع أو التنازع:

إن التشارك في الرأي هو نتيجة مباشرة لخاصية التفاعل، وهو إحدى الحالات التي يريد أن يصلها الحوار، وقد وصفها "هابيرماس" "Habermas" "بأن السلوك التواصلي يخضع لدعاوى قبلية كلية بغية خلق الظروف المواتية للوصول إلى الإجماع عبر صيرورة تبادل الحجج"². إلا أن هذا الإجماع ليس هو الحالة الوحيدة للسلوك التواصلي، بل هناك حالات التنازع التي مردها إلى أن طرفي الحوار يتمتعان بنفس الحق في إبداء الرأي والرأي المضاد بمرجعية حجاجية متناقضة.

سادسا: تداولية التواصل الإنساني:

لقد سبق أن أكدنا بأن كل مقطع تواصلي وكل تبادل للرسائل قد تجعل الفرد في وضعية عبثية لا تطاق، ويمكنه بالتالي أن يستنتج بأنه لم يهتم ببعض المؤشرات الأساسية المتعلقة بهذه الوضعية، أو

¹ Gregory Bateson, la nouvelle communication, édition Seuil, 1981, p 13.

² حدود التواصل : الإجماع والتنازع بين هابرماس وليوتار / مانفريد فرانك، ترجمة وتقديم وتعليق عز العرب الحكيم بناني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص6.

التي يقدمها له محيطه الخارجي. وبما أن الوضعية تبدو منطقية ومنسجمة بديها بالنسبة للآخرين، فإنه سيكون مطالباً بإيجاد حجج إضافية تدعم افتراضه الأخير. ولن تكون إمكانية إخفاء الآخرين عمداً لهذه المؤشرات الأساسية، تنوعاً لنفس التيمة.

ويفضل العالم السياسي "بززينسكي" "Zbigniew Brzezinski"، مدير مؤسسة الأبحاث حول الشيوعية بجامعة كولومبيا، تعبير "المدينة الكونية". فالفكرة توحى بالرجوع إلى الجماعة وإلى الحميمة المرتبطة بالقرية، تبدو غير ملائمة للمحيط الدولي الجديد. لأن الحلقات المترابطة لشبكات هذا المجتمع الذي يدعوه بالمجتمع "التقني الإلكتروني" الناتج عن تداخل الحاسوب، التلفزة، ووسائل الاتصال عن بعد، تقوم بتحويل العالم إلى عقدة (nœud) من العلاقات العصبية والمضطربة والمتوترة والمترابطة فيما بينها¹. وبالنسبة إليه فإن أول "مجتمع كوني" موجود وتمثله الولايات المتحدة الأمريكية. فهذه الأخيرة كداعية "الثورة التقنو-إلكترونية"، تتواصل أكثر من أي مجتمع آخر، ما دامت 56% من مجموع الاتصالات العالمية تنطلق منها. فهي الوحيدة التي يمكنها اقتراح "نموذج كوني للحدث" وخطاطات للسلوك وقيم كونية، من خلال إنتاجات صناعاتها الثقافية وأيضاً من خلال تقنياتها ومناهجها وأساليبها الجديدة في التنظيم.

من جهة أخرى، فإن الاقتصادي الأمريكي "فريتز ماشلوب" "Fritz Machlup" الاختصاصي في دراسة ميزان الأداءات، عمل منذ 1962 على تقدير أهمية الأنشطة الإعلامية بالنسبة للاقتصاد الأمريكي، وهي الأنشطة المتضمنة في ما سماه بصناعة المعرفة "Knowledge industry".

وقد ظهرت فكرة إخضاع المجتمع لسلطة الإعلام في مرحلة السبعينيات مع "سيمون نورا" "Simon Nora" و "ألان ميلك" "Alain Minc". وقد استخدمنا لفظة "تيليماتيك" "télématique" التي تعني التداخل المتزايد بين الحواسيب ووسائل الاتصال عن بعد. ويعرفها قاموس "لاروس" "Larousse" بأنها مجموع التقنيات والخدمات التي تجمع الاتصالات بالحواسيب². ويقترح الباحثان

¹ Z. Brzezinski, Le grand échiquier, L'Amérique et le reste du monde, Pluriel, 2011, p 129.

² <http://www.larousse.fr/encyclopedie>.

المراهنة على التكنولوجيات الجديدة للإعلام والتواصل، للخروج من الأزمة الاقتصادية والسياسية التي نُعتت بـ"أزمة الحضارة"، بل يتصوران شبكة "تيليماتيكية" "télématique" ويُقصد بها "نظام كامل للتواصل يضم، بالإضافة إلى البنية التحتية والاتصالات، مجمل الخدمات والتطبيقات التي تناسبها لتمكن المستخدمين من تبادل المعلومات عن طريق الوسائط الإلكترونية بين، وداخل الإدارات العامة، وكذا بين الشركات العامة والمواطنين"¹. "وبفضل النمط الكوني الجديد لتنظيم المجتمع سيكون عصب التنظيمات والمجتمع برمته مطالباً بإعادة خلق ساحة عمومية إعلامية موسعة، كي تشمل كل أبعاد الوطن الحديث ولكي تسمح بانطلاق وازدهار المجتمع المدني"².

لكن الانتباه إلى أن الخطر آت من الخارج. لذلك، فإن عدم السماح للشركات الأمريكية بتنظيم بنوك المعطيات التي هي بمثابة "ذاكرة جماعية، هو عبارة عن واجب تقتضيه السيادة (impératif de souveraineté)، هكذا، ستحدث بالتدرج مجموعة من الانزلاقات. فالتواصل الذي كانت دلالاته مقترنة أساساً بالوسائط، اكتسى مع مرور الزمن، معنى شمولياً تتقاطع في إطاره تكنولوجيات متعددة هدفها هيكلية "المجتمع الجديد".

1. خاصية الاستعمال التداولي للغة:

إن الاستعمال التداولي للغة هو استعمال حوارى من حيث المبدأ، لأن التداولية إذا كانت هي العلم الكلي للاستعمال كما يؤكد "شارل موريس" " Charles Morris 1938"، فإن استعمال اللغة عموماً يطرح شيئين مهمين:

أ. الاتصال المضمّر مع الآخر في مقام تواصلى محدد.

ب. مرجعية الاستعمال ذاته.

¹ http://www.marche-public.fr/Marches-publics/Télématique/réseau_télématique_definition.htm

² Alain Minc et Nora Simon, Rapport sur l'informatisation de la société, le seuil, 1978, p 32.

وإذا كان الاستعمال يطرح مبدئياً الاتصال المضمّر مع الآخر، فإن الاستعمال التداولي الحواري يطرح اتصالاً ظاهرياً مع الآخر في سياق ومقام تواصلين محددين. لذا فخاصية الاستعمال التداولي الحواري هي الخاصية التداولية الأولى للتفاعل التواصلي المتعلق بالمتحاورين ومع الاستعمال التداولي الحواري تطرح التضمينات الحوارية "implications conversationnelles" التي تطابق كل ما تعلق بنسق التلميح "insinuation" أو الإيحاء "suggestion".

ومع مرجعية الاستعمال أصبح الاستعمال هو مرجع العلامات ومعه المستعملون هم المحددون لهاته المرجعية خلافاً للتركيب "syntaxe" أو الدلالة "sémantique" اللذين يقصيان الاستعمال من مرجعيتها.

وإذا كانت التداولية بذلك قد استحضرت الإنسان في اللغة فإنها استحضرت معه قيمة التفاعل وكيفت معه المعتقدات لكي يصير الاستعمال التداولي استعمالاً حجاجياً واستدلالياً من حيث اضطلاعاً بالدورة الحوارية كما يقتضيها التفاعل التواصلي بين أطراف الحوار.

فقيمة التفاعل التي تعتبر أساساً حوارياً هي التي تتضمن الفعل بين المستعملين بما يحقق القيمة الاستعملية للعلامات بين أفراد المجتمع، والقيمة التفاعلية تعني انصهار الجميع في تحقيق مرجعية العلامات: وهي مرجعية تداولية يحددها الاستعمال التواصلي بين المجتمع.

2. خاصية التعددية السياقية:

إن مرجعية الاستعمال تستحضر مفهوماً تداولياً مؤطراً للاستعمال اللغوي بين أفراد المجتمع وهو مفهوم السياق "contexte" الذي يعطي الإطار الذي تشتغل فيه العلامات ويساعد في تحديد الوحدات الحوارية الكبرى.

فهناك السياق المرجعي الذي تحدد من خلاله العلامات قضايا الواقع حتى في جوانبها الإدراكية، إلا أن الواقع بالمعنى التداولي ليس معطى نهائياً وقبلها بل يقبل التأويل إلى ما لا نهاية، يقول "مانفريد فرانك" "Manfred Frank": " ليس الواقع مسألة شاهد مطلق بل هو مسألة مستقبل"¹.

وبعد السياق المرجعي هناك السياق المقامي الذي يحدد البواعث الاجتماعية المؤطرة للاستعمال الحوارية، وهو سياق خارج لساني "contexte extralinguistique" تساهم فيه أطراف الحوار مساهمة توازي المناسبات الاجتماعية والثقافية والسياسية للقول الحوارية. هذا السياق يبين من جهة ثانية تفسيرات للمضامين الحوارية الغامضة التي ما كان يمكن تفسيرها لولا الرجوع إلى هذا السياق.

وللسياق المقامي تأثير كبير في التبادل الحجاجي حينما يهدف هذا الأخير إلى التأثير على المعتقدات والسلوكيات معاً، ويظهر هذا في حالة التنازع الذي يهدف "في صورته الحربية إلى إفحام الخصم والقضاء عليه بشتى الطرق"².

وإذا كانت التداولية الكلية تعني وجود بنيات تبلغ منتهى العموم والإحاطة أو وجود شروط كلية موضوعية أمام التواصل ما دام التواصل هو هدف الحوار، فإن موضوع التداوليات الكلية يبقى تعداد الشروط الضمنية التي على أطراف الحوار أن يقرروا بها قبل الدخول في التعاون التواصلية وأثناء مجرياته. ويمكن تلخيص الشروط الأساسية للحوار في كون المساهمة في التواصل بالطريقة المطلوبة للهدف المعروف للتواصل وفي اللحظات المناسبة. وهذا يلخص المبادئ الأساسية للحوار التي يفصلها "غرايس" إلى مبادئ إخبارية خالصة: الإخلاص "sincérité"، الملاءمة "pertinence"، والصيغ "modalités".

ومبدأ الإخلاص يضم مستويين:

¹. مانفريد فرانك، حدود التواصل، ت عز العرب لحكيم بناني، ط1، دار الشرق، الدار البيضاء، 2003، ص53.

². المرجع نفسه، ص 8.

- الكمية "quantité": إعطاء كل الخبر القيمة الضرورية وليس أكثر.
- الكيفية "qualité": لا نقول إلا الصدق.

بينما نجد مبدأ الملاءمة في مستوى العلاقة: أي أن تكون المساهمة الحوارية ملائمة، وثيقة الصلة بالموضوع.

ثم هناك السياق التفاعلي "contexte interactionnel" الذي يسجل العلاقة التي تجمع أطراف الحوار أثناء تفعيل التبادل، وهي تبين استجابة ممثلي الخطاب لمقتضيات الحوار من مشاركة وإشراك في الرأي وتبادل المواقع الحوارية والمساهمة في إيصال الحوار إلى آفاق معرفية وثقافية مقبولة من كل أطرافه. ومن خاصياته مساهمته في تطوير المضامين الحوارية من جهة وتفسيره لبعض الآفاق الإشكالية التي يصل إليها الحوار، لأن تفاعل المشاركين يساهم في مد الحوار بمضامين متجددة ما كان ليصلها الحوار لولا تفاعل أطرافه. كما أن هذا السياق يساهم في توضيح بعض الدلالات الغامضة التي يصل إليها الحوار، لأن الإفراط في تفاعل أطراف الحوار يمكن أن يصل بهم إلى آفاق إشكالية يصعب على المتتبع أن يفهمها، إلا أن سياقها التفاعلي يكون كافياً لتفسير ما وصل إليه الحوار من مضامين غامضة.

والسياق التفاعلي يصف مستويات متكاملة من العناصر المساهمة في إجراء الحوار من بينها تفاعل أطراف الحوار، ذلك أن المكانة الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية تتدخل في فاعلية التبادل الحجاجي ومقبولية الحجة أو رفضها، كما تتدخل في إعطاء المكانة للمضامين الحوارية المتبادلة.

3. خاصية التضمين "implicature":

التضمين من الآليات التداولية المساهمة في التفاعل الحوارية، وخاصيته إما أن يكون معجمياً مستقراً بواسطة وحدة معجمية خاصة، أو حوارياً متعلقاً بنسق التلميح أو الإيحاء. والفرق بين التلميح

والاقتضاء "préposition" كون العلاقة التضمينية بين ملفوظين تعني أنه من المتناقض تأكيد الأول وإنكار الثاني، بينما العلاقة الاقتضائية بين ملفوظين تعني أن صدق الأخير شرط لصدق الأول.

أما دورها التفاعلي فيمكن في إقناع المحاور بأقل تكلفة لسانية، أي أن المتكلم يوجز المستوى اللساني ويقول الشيء دون أن يقوله على حد تعبير "أوزفالد" "Oswald Ducrot"¹. إلا أن التضمين الحواري تكمن قيمته في علاقته المرجعية بوقائع الحال من جهة ووصوله إلى المحاور من جهة ثانية، وهذا يتطلب شيئين: أولاً الامتثال للمبادئ الأساسية للحوار من طرف المتكلم وذلك كي يرتبط التضمين بمرجعية صادقة ويكون واقع الحال الذي يخلقه ليس مغلوفاً، وثانياً امتثال المحاور للمضمون الذي آل إليه التضمين الحواري بسلوك موازي من طرف المحاور.

4. مبدأ الاختلاف:

إن المقاربة التداولية قبل أن تقف على الاستعمال الحواري والتعدد السياقي والتضمين لا بد وأن تتبع كل العناصر المسؤولة عن التفاعل التواصلي داخل الحوار. وأول هاته العناصر مبدأ الاختلاف إذ يعتبر أول مبدأ تداولي حوارياً، فإذا كان هذا المبدأ مسؤولاً عن الابتكار فهو أقدر على خلق الإبداع. وهو حقيقة أنطولوجية مسؤولة عن خلق الإنسان للحوار بالنسبة لـ "برنار بوتير" "Bernard Pottier" إذ يقول: "كل إنسان وحيد في خصوصيته، يملك لغة فردية تميزه عن الذي بجانبه الأكثر قرباً"². هاته الحقيقة تؤكد التعددية السننية بين الأفراد مما ينجم عنه تعددية في شكل العلاقات الحوارية بينهم، فهناك التساوي وهو علاقة مرآوية، وهناك الاختلاف وهو العلاقة التي تعكس حقيقة اللغات الفردية. وخلاصة القول أن الاختلاف يبتدئ من اختلاف اللغة الفردية عن لغة الآخر، وهو وجه تداولي للتعدد السنني في التواصل.

¹ Dire et ne pas dire, Oswald Ducrot, Hermann, 1980, .
² Bernard Pottier, Théorie et analyse en linguistique, Hachette éducation, 1992, p9.

5. خاصية مفهومة الإنسان للعالم:

وهي الخاصية التداولية الثانية الملازمة للاستعمال الحوارية، ذلك أن المفهومة "conceptualisation" تشكل المضمون الحوارية الأول لذلك الاستعمال: "من ضمن ما يدركه الإنسان يحتفظ بعدد من العناصر التي يفهمها إلى غايات تعبيرية لسانية. رؤية العالم هي تحويله إلى مصادرات من الابتدال الملاحظ (الذوات "entités" الكائنات والأشياء) وإلى إبداعات تفسيرية "créations interprétatives" "جد قوية (السلوكات، نحو الأفعال والأفكار)"¹.

إن مفهومة العالم تعني إدخاله إلى عالم التعبير اللساني وبالتالي تحويله إلى إبداعات تفسيرية أي مادة حوارية بين الناس. والمفهومة تتضمن المبدأ التداولي الثالث الذي يتضمن عنصرين قصديين: الأنا "intentionnalité du je"، ثم المتلفظ "sujet de l'énonciation"، وهما العنصران المنفذان للمفهومة والمجسدان للاختلاف. وقصدية الأنا هي المسؤولة الأولى عن اختلاف اللغات الفردية، حين يريد أن يعبر فإنه يتكلم من أجل كل البواعث خاصة الباعث الحوارية.

سابعاً: التواصل في الحياة اليومية:

"لقد اكتسبت السوسولوجيا التأويلية مشروعيتها بالولايات المتحدة الأمريكية وانتصرت على مقاومات النزعة الوظيفية "fonctionnalisme" التي بدأت بوادر أزمتهما تظهر عند أواخر الستينيات

¹. المرجع السابق، ص 10.

من القرن الماضي. ففي سنة 1972، عبر "لازار سفيلد" "P.F.Lazarsfeld" صراحة عن تخوفاته بهذا الخصوص¹.

وقد تطورت هذه التيارات بالخصوص، في البلدان الأنجلوساكسونية والبلدان الناطقة بالألمانية. ولم يبدأ اختراقها لفرنسا إلا في نهاية الستينات، أي عندما عرفت النزعة البنيوية بداية نهايتها. "إن وصول هذه التيارات إلى فرنسا واستثمارها من طرف علوم التواصل، تزامن مع بروز إشكالية استعمال أجهزة التواصل. وقد اهتمت الدراسات الأولى من هذا النوع، بالتفاعل الحاصل عبر المكالمات الهاتفية ولقاء العمل عن طريق الندوات المصورة والتفاعل التليفزيوني المرئي"².

وأما المقام فإنه لا يؤثر فقط في المضمون المفترض للفعل، بل هذا الأخير يساهم أيضا في البلورة التدريجية لمعنى المقام والوضعية ذاتها. وبالتالي، لم تعد الواقعة الاجتماعية معطاة، بل هي نتاج نشاط الفاعلين الذين يعطون معنى لممارستهم اليومية. ثم إن المحادثة كمجال مفضل للتبادلات الرمزية، تعالج كفعل، ليس بغرض دراسة اللسان، ولكن كممارسة لغوية تسمح بفهم كيف يشيد المتكلمون عمليات هذا الشكل التخاطبي المهيمن على التفاعل الاجتماعي، والكشف عن الإجراءات والمنتظرات التي ينتج عبرها هذا التفاعل ويتم فهمه.

أما بالنسبة للمدرسة التفاعلية، فإن مسالك الانحراف والوضيعات المحدودة "للذات" المهتدة، تشكل مجالا مفضلا للبحث. فحوادث السلوك البشري تكشف عن أمة المحيط الاجتماعي وعن القواعد المكونة "لطقوس التفاعل" "rites d'interaction". وقد اعتمد الكندي "إرفين كوفمان" "Goffman" على هذه الأخيرة كمجال دائم لأبحاثه. "وقد ساير التقليد النظري والمنهجي لمدرسة شيكاغو

¹ . Marsal. J, la crisis de la sociologia norteamericana, peninsula, Barcelone, 1977, p25.

² De Formel .M, L'interaction communicationnelle , Réseaux, 1988, p156.

ولأبحاث "بالو ألتو"، ولم يتوان عن الجمع بين النزعة التفاعلية الرمزية وبين مقاربات أخرى لإبراز بلاغية الحياة اليومية، حيث أكد على ضرورة أن تكون إشاراتنا معبرة كما في المسرح¹.

1. التفاعلية التواصلية عند "هابرماس".

لقد بلور "هابرماس" "Habermas" سنة 1981، سوسيولوجيا "الفاعلية التواصلية" "agir communicationnel" انطلاقاً من اشتغاله على المساهمات "البارسونية" "persons". فالفعل والتفاعل لم يعودا مجرد منتجين لتأثيرات، بل إن تحليلهما يتطلب النظر إليهما في ارتباطهما بالتبادلات الرمزية وبالمقامات اللغوية. ولا يمكن للمواقف والآراء المرافقة للفعل أن تعبر وحدها عن الواقع. وفي اعتقاده، يتعين على السوسيولوجيا النقدية أن تدرس شبكات التفاعل داخل مجتمع قائم على العلاقات التواصلية أي على "وحدة الذوات المتعارضة في إطار التواصل"، ومقابل "الفاعلية الاستراتيجية، بمعنى العقل والفعل ذوي الأهداف النفعية والأداتية التي يحتمل أن تهيمن على العالم الاجتماعي المعيش" والتي تشكل وسائط الاتصال الجماهيرية عدتها.

ورغم ذلك، يمكننا أن نتساءل عما إذا لم تكن العلاقات التواصلية التي جعل منها هذا الفيلسوف الألماني أساس ما هو اجتماعي، منسوخة من تصور حول الحوار الذي يتعين أن يقوم بين الفلاسفة.

2. المستهلك والمستعمل.

¹ Goffman.E, interaction ritual, essays on face to face behavior, Double way, New york, 1967, p54.

لا أحد يشك في أهمية تحليل القراءات والاستعلامات المختلفة، لكن يجب أن نوضح بأن هذا المسعى الجديد، يعبر عن نفسه داخل مقام خاص يمكنه أن يكرس الخلط. فالتلقي والفرد المستهلك يشغلان حيزا مركزيا ضمن التصور الليبرالي الجديد للمجتمع. ولا يتعلق الأمر بأي مستهلك، بل بالمستهلك المتحكم في اختياراته داخل سوق تعتبر حرة. وهنا تبرز الانحرافات الشعبوية الجديدة "Néo-populistes) لبعض نظريات التلقي. هكذا فإن بعض الدراسات المقارنة حول التأويلات المتميزة التي ينجزها المستهلكون انطلاقا من ثقافتهم الخاصة، تساعد على نحو مسألة سلطة التواصل التي شغلت بال الأجيال السابقة. وهكذا، ينبري الاهتمام المخصوص بتيمة التلقي، في اللحظة التي توجد فيها هيمنة المنتجين الأمريكيين، في صلب النقاشات حول التبادل الحر والتداول الحر لسبل الانتاجات السمعية البصرية، وهي النقاشات الجارية داخل المحافل الدولية.

وبشكل عام، "إن إعطاء الأهمية لقدرة المتلقين على المقاومة، يمكن أن يساهم أيضا في إخفاء حاجيات معرفة المستهلك التي تواكب إعادة انتشار النظام الاجتماعي المنتج"¹.

إن المستهلك، كأرض مجهولة سيصبح بالفعل موضوع وذات البحث، كما يشهد على ذلك تنامي تقنيات قياس الأهداف وأساليب الحياة التي يتم تدقيقها تدريجيا، بفضل التكنولوجيا المعلوماتية للإنتاج وتخزين المعطيات حول الفرد والجماعات. فالعملية المعرفية تجاه الفرد، تسعى في نفس الوقت، إلى تفكيك حركاته كمستهلك وسبر أغوار "sonder" حاجياته ورغباته. "وستمكن معرفة هذه الحركات والرغبات من إخبار وتغذية دائرة البرمجة والانتاج والاستهلاك، المتغيرة باستمرار، لكن الهادفة إلى إدماج وظيفي ووجداني للمستهلك داخل العدة القائمة. وهو ما يبدو أن الباحثين يجهلون، وهم الذين ابتهجوا لاختيار مسلمات سوسيولوجيا السلطة وإعادة الانتاج الاجتماعي"².

وعلى عكس العالم الأنجلو-ساكسوني، فإن الباحث في فرنسا قد فضل التشديد على آليات جمعه أجهزة الاتصال. فقد اهتم ببناء سوسيولوجيا سياسية خاصة باستعمال تكنولوجيا الأخبار والتواصل

¹ Mattelart. M , le carnaval des images, INA, la documentation française, Paris, 1987, p 123.

² Fiske. J, Television culture, Methuen, Londres, 1987, p 98.

الجديدة. وأكد الباحثون بهذا الصدد، على أهمية الوساطة "médiation" والتفاعل في البناء الجماعي للموضوع التقني، وبينوا كيف أن تكون الاستعمال الاجتماعي لهذه التقنيات، يستند على عمليات تقنية يلتقي فيها التجديد التكنولوجي بالتجديد الاجتماعي. وقد سبق لـ "ميشال دو سيرطو" M. De Certeau 1926-1986 "أن فتح المجال ضمن مؤلفه "Arts de faire l'invention au quotidien" الصادر سنة (1980)، أما إشكالية الاستعمالات وطرق عمل المستعملين، مؤكدا على قدرة هؤلاء على تحويل وتجنب عقلانية العدد "dispositifs" الموضوعية من طرف نظام الدولة والسوق. فمقابل تحليلات "ميشال فوكو" "M. Foucault" حول "شبكات التكنولوجيا الملاحظة والنظامية"، سيعتبر "دو سيرطو" بأنه من الأساسي الكشف عن "الشبكات المضادة للنظام". إن أعمال "دو سيرطو" التي يستشهد بها في كل بقاع العالم بشكل تنافسي "à l'envi"، بخصوص الأبحاث حول التلقي والوساطة، تستخدم أحيانا لتدعيم الفكرة التي مفادها أن السلطة التي تم تحويل اتجاهها من طرف إجراءات الاستهلاك المتعددة، لم تعد موجودة.

والحال، أن تحليلات "ميشال دو سيرطو"، تظل مبنية على القناعة التامة بأن آليات الإخضاع لا زالت قائمة. وهو يسعى جاهدا إلى توضيح "تكتيكات" و "عمليات" المستعملين، مؤكدا على أن علاقات القوة هي المحددة للشبكات التي تندرج فيها هذه الأخيرة، وبالتالي فهي تحدد الظروف التي يمكنها أن تستفيد منها.

3. التواصل الجديد:

"التواصل الجديد" هو عنوان مصنف أساسي حرره عدد من الباحثين التقوا حول "ب. فاتسلافيك" "paul watzlawick" في رحاب مدرسة "بالو ألتو" "Palo Alto". و "الو ألتو" هي ضاحية من ضواحي سان فرانسيسكو، أسس فيها سنة 1952 "ج. باتزن" Gregory Bateson فريق بحث في موضوع "مفارقات التجريد في التواصل". ويتصل فريق البحث

بمستشفى يعمل فيه "باتزن". وقد اتخذ فريق البحث هذا نظرية "رسل" "Russel" التداولية نقطة انطلاق كما اتخذ "التمشي النسقي" إطارا مفهوما مشتركا. وقد أنتجت المدرسة بذلك نظرية نسقية في التواصل، تصدر عنها منهجية التبديل المطبقة في شكل علاج لأمراض نفسية عائلية. وقد اكتشف "باتزن" مؤسس هذا الفريق، وهو عالم أنثروبولوجي إنجليزي "1904-1980"، المقاربة النسقية لدى خبراء "السييارنطيقا" "cybernétique"، وتعني دراسة أنساق التحكم والتواصل ولا سيما الأنظمة الاصطناعية من معلوماتية وغيرها... سنة 1942.

وبتطبيقه هذه المنهجية على العلوم الاجتماعية، يكون قد طور نظرية للتواصل قاده نحو علم نفس المجموعة.

وتقترح المقاربة النسقية نظرة تأليفية للظواهر المعقدة كالتواصل البشري. فبإمكانها تفكيك تلك الظواهر بشكل تحليلي إلى مكونات جزئية تدرس خاصياتها المميزة (كما تفعل اللسانيات البنيوية مع اللسان) وتواجه كلية الظاهرة في حيويتها. وهدف هذه المقاربة هو دراسة كلية العلاقات الدالة التي تقوم بين عناصر متفاعلة، هذا المجموع يشكل "نسقا".

ومن خصائص النسق الأساسية هي التالية:

1. بنية تتركب من حد يميز النسق عن محيطه ومن عناصر متصلة فيما بينها بشبكة تواصل، بحيث يؤدي تعديل عنصر منها إلى تعديل سائر العناصر؛
 2. اشتغال تضمنه تنقلات العناصر ومن ثمة تبادل المعلومات التي تسمح للنسق بأن يبقى أثناء التعديل، أي أن يحافظ على كليته وأن يتكيف مع محيطه في الوقت ذاته.
 3. مداخل تسمح للمحيط بأن يفعل في النسق ومخارج تسمح للنسق بأن يفعل في المحيط.
- فالعلاقات البشرية هي إذن نسق يشمل الأفراد متفاعلين عبر تصرفاتهم (والأعمال اللغوية هي تصرفات ضمن تصرفات أخرى). ومحيط النسق هو سياق التفاعل (اللفظي أو غير اللفظي). هكذا تعرّف مدرسة "بالو ألتو" بعض المبادئ المميزة "للسق المفتوح" (على محيطه) الذي تشكله التفاعلات البشرية.

4. التواصل في عصر المعلوماتية:

إن لفظة "تواصل" في معناها الشامل، تتميز بتعدد دلالاتها بحسب اختلاف العصور. ففي المجتمعات الشفاهية، ساد معنى الاشتراك والمشاركة، وكان هدف التواصل الأساسي هو الحفاظ على وحدة الجماعة. لكن حاجيات العقلية الفردية والبنية الاجتماعية التجزئية اقتضت التقسيم والتبادل. وهو المعنى الذي ساد في المرحلة الكتابية. فعبر المخطوط، اخترق التواصل الزمان والمكان وقسم العالم إلى كفاءات ومهن تجارية من كل نوع. أما في الحقبة الجماهيرية، فهناك معنى ثالث، هو البث والنقل المرتبط بوسائط تحمل نفس الاسم وتستجيب لمتطلبات متميزة وغير معروفة.

وفي 1950، سيضاف إلى معاني التواصل هاته، معنى جديد يتمثل، "في كل علاقة ديناميكية، تتدخل في وظيفة معينة". وهنا سيكف التواصل عن كونه تقاربا بين ذوات، ليصبح ترابطا متبادلا بين مفاهيم آلية. ففي هذه المرحلة، غدا الإنسان المتكلم مرسلا والسامع متلقيا، كما أن المضمون لم يعد يكتسي واقعيته إلا من بنيته، وهذه جميعها عناصر دالة على تغير هو في طور التحقق. فاللغة الجديدة للعلم التقني، توجه بذلك مسار المراحل الأولى لإمكانية السيطرة على اليومي.

وهكذا سيضاف إلى الاشتراك والتقسام والبث، معنى رابع للتواصل، وهو الترابط المتبادل أي الاستبدال ("commutation"). وكما يقول "إدمون كوشو" "Edmond Couchot": "إن الملفوظ لا ينبثق من متكلم آخر بل من الآلة، أو بالأحرى من تهجين هذا بتلك. فالأساسي ضمن هذه الثقافة المتولدة، ليس هو جمع ذاتين من خلال التواصل وليس هو الاشتراك في شيء محدد والتعبير عنه، بل هو الاستبدال"¹. وسيؤدي هذا الأمر مباشرة إلى التساؤل حول العقلية في مجال الصياغة المعلوماتية.

¹. E. Couchot, A la recherche du temps réel, In Travers, Paris, 1985, p 41-45.

أ. الظاهرة المعلوماتية:

إن التكنولوجيات الجديدة المسماة تكنولوجيا الإعلام، منتشرة بشكل واسع حالياً. فهي توجد في أماكن العمل وضمن الآلات/الأدوات، وسلاسل التركيب، وفي مكاتب الدراسات والتدبير والمختبرات ومراكز البحث والمصالح البنكية والتجارية؛ بحيث كل المهن تعتبر معنية بها، بصفة أو بأخرى. ونحن نرى هذه التقنيات في مجالات لم نكن نتوقعها، مثل المجال الفني، وفي الإبداع الموسيقي والرسم والهندسة المعمارية وفي دراسة الكتب المقدسة، وحتى في أوقات الفراغ واللقاءات الجماعية وفضاءات التبادل، فإن التكنولوجيات الجديدة تتدخل بهذه الطريقة أو تلك. ومنذ (1973) اعتبر خبراء المنظمة العالمية للتجارة بأن تطور الأنظمة المعلوماتية والاتصال عن بعد، هو بمثابة ثورة صناعية جديدة. وقبل ذلك بسنة، أعلنت مؤسسة (Japan computer usage development Institute) بأن ميلاد "مجتمع الإعلام" سيكون سنة (2000). ومنذ ذلك الحين، تحدث العديد من رجال العلم والفكر بنوع من الحسرة أو الغبطة عن تحول حضاري حقيقي. فهل فرضت لفظة "تكنولوجيات" نفسها كترجمة للفظة الإنجليزية "Technology"؟ فمن جهة هناك التقنية "techné" التي تفيد الأدوات المادية، وهناك اللغة "logos" التي تعني الرموز أو الأدوات المعنوية. وبذلك تبدو التكنولوجيات الجديدة كوسائل آلية جديدة للتواصل.

ب. تقنية جديدة:

تتموقع الأدوات الجديدة للإعلام في نقطة التقاء ثلاثة تيارات، تساهم على الرغم من انفصالها وتميزها، في التجديد التكنولوجي المشترك. فهناك المعلوماتية التي تفيد مجموع التقنيات المستخدمة للمعالجة الآلية للأخبار، وهناك وسائل الاتصال عن بعد، وهي مجموع التقنيات التي يفيد تعريفها

التدقيق، كل بث أو إرسال أو تلقي العلامات والإشارات، سواء كانت مكتوبة أو كانت عبارة عن صور أو أصوات أو تبث على شكل معلومات من طبيعة أخرى، عن طريق الأسلاك أو الأسلاك الكهربائية أو عن طريق الوسائل البحرية أو بواسطة أنظمة أخرى. وهناك مجال يحدد عموماً من خلال لفظة الوسائل السمعية البصرية. ويتضمن هذا المجال وسائط الاتصال الإلكترونية، حيث يشغل البث الإذاعي والتلفزيوني مكانة أساسية.

والجديد هو أن هذه المجالات الثلاثة، أخذت على مر السنين تتقارب وتشارك في اكتشاف الصناعات الدقيقة مثل: تكنولوجيا الجسيمات وامتداد شبكات التواصل والتكنولوجيا الرقمية.

ثم إن التطورات التقنية المقترنة بتعدد الشبكات وخصوصاً الخيط البصري أو الألياف البصرية، ساهمت من جهتها في تدقيق إنجازات الشبكات، إذ أن هذه الألياف ضاعفت إلى ألف مرة انتقال الكوابل العادية. كما يعتبر تبني الرموز الرقمي عنصراً بالغ الأهمية أيضاً.

وامتداداً لهذه النوعية الأداتية، فإن جديد التكنولوجيات سيتجلى في سلسلة من الوظائف المميزة، المرتبطة بالمنطق المتبع، وخصوصاً بالأشكال الأصلية للتواصل والتصور.

إن التقاء المعلوماتية بوسائط الاتصال عن بعد وبالوسائل السمعية البصرية، قد أدى إلى إعادة هيكلة مهمة لوسائط الاتصال الجماهيرية. وكيفما كانت الاستعمالات والاستعدادات، فإن الإمكانية التقنية لعمل شيء مغاير، والتحرر من الإكراهات التقنية، يظل أمراً وارداً لتبرير تمرکز أجهزة وسائط الاتصال الجماهيرية ولو جزئياً. لكن، بإمكان المركب المعلوماتي والاتصالي عن بعد والسمعي البصري، أن يتخذ لنفسه مسافة إزاء التسخير الآلي والاستعمالات الكلاسيكية. فالاتصال عن بعد وتعدد وسائط الاتصال، يمكنهما الإعلان عن وسائط اتصال من طبيعة أخرى. هكذا، سينبني الفضاء السبرنتيقي كفضاء افتراضي، حيث تتحرك المعلومات الإلكترونية على مسار داخل خطوط هي الطرق السيارة للمعلومات.

ج. الكلام السيرنثيقي:

إن المعلوماتية باقتراحها لمسار مرموز بغرض الحصول على نتيجة، تفرض نوعا من المنطق، يستند على قواعد منهجية صارمة، لا تأخذ بعين الاعتبار أية ظرفية. ويجدد "الألغوريتم" هذا المسعى باعتباره تحديدا لمتواليه من العمليات، يتعين إنجازها بشكل منظم، من أجل أن تحل بشكل سليم وبدون استثناءات. وتلعب الآلة الذكية دور هيكله التفاعل، وتعوض الفاعل الإنساني في تحديد الإطار التواصلي.

ففي الذكاء الاصطناعي لا تشتغل الحواسيب على الأرقام بل على المقتضيات المنطقية. وينفصل هذا النوع من الذكاء تماما عن النموذج الإنساني، المؤسس على الفكر النقدي وعلى وضوح المعارف المدججة داخل مجموع معقلن. وإذا كانت السيرنثيكا مرتبطة فعلا بنقل وتبادل المعلومات، فإنها تقوم أيضا بتحويل هذه المعلومات إلى برامج ومنح الآلة سلطة استخدام ومراقبة العمليات والتحكم فيها (تخزين المعلومات). ولو كانت هذه الوقائع والاعتبارات خاصة بالتبادلات بين الآلات أو بالعلاقات القائمة بينها وبين الإنسان، لما اكتسبت عملية إخضاع اللغة للسيرنثيكا أهمية تذكر. لكن هذه الاستعمالات المخصصة تمتد سريعا لتشمل وقائع أوسع. هكذا تبرز نظرية التنظيم التواصلي كنموذج، ليس فقط للآلات الاصطناعية، بل ستشمل كل نوع من أنواع التنظيم. فالحاسوب لم يعد يخفي طموحه في اقتراح لغة كونية. وبواسطته يمكن للتواصل الإنساني أن يتم وفق الوظائف المعلوماتية للآلة الاصطناعية. ولا يتحدد الاختلاف الحقيقي مع الحوار الإنساني، في التمييز الحاصل بين ما هو حتمي وما هو خاضع للصدفة "aléatoire"، بل إن هذا الاختلاف يكمن في واقع كون النموذج المعلوماتي للحوار، مجهل معنى حقل رجع الصدى الجدلي بين قطبين، فهو يشتغل في حقل ما هو وظيفي ولا يبحث عن المعنى. "ذلك أن الآلة التي تدرّب على الحوار بواسطة برنامج جيد، لا تهيء

للمرء بتاتا الدخول في صراع المعنى القائم بين العلاقات الإنسانية التي تسعى، عند محاولتها تجاوز التفاهات إلى نزع الاعتراف بالغيرية والتقدم نحو المعرفة الجدلية بأسرار الحياة"¹.

وبالنسبة للفيلسوف "جيلبر هرطوا" (Gilbert Hottois)، فإن عملية الإخضاع للمعلوماتية تكمن في "المبادرة النسقية لإدراج ما هو رمزي داخل التقنية، بواسطة إعادة الصياغة والتخزين الانتقائي للمعرفة الإنسانية، داخل أبنك المعطيات وعبر قناة الإلزام التدريجي للغة، كي تأخذ بعلم التراكيب الإجرائي، للغات التقنية"².

في الحوار بين الإنسان والآلة، يقوم كل من الحاسوب ومستعمله، بدور المتحكم تارة وبدور المنفذ تارة أخرى. هكذا عندما ترسل الآلة أسئلتها فإنها تدعو الإنسان إلى التنفيذ، عبر الإجابة بشكل سليم على الطلب المصاغ وفق الشكل المطلوب. وعندما يصبح الإنسان هو المرسل فإنه يصدر أوامره إلى الآلة التي تكون بدورها، مطالبة بالجابوب. هناك إذن تواصل إيجابي، ومن خلال هذا التبادل، لا يعتبر أي واحد من المتشاركين هو الفاعل كذات في التواصل. وتبدو المسألة واضحة عندما نقابل هذا الوضع بالتواصل الرمزي الذي يستدعي الحضور التواصلي للمشاركين.

سابعاً: سوسولوجيا التواصل وتكنولوجيا الإعلام:

يتكون المجتمع من أفراد يتواصلون فيما بينهم ويتبادلون الأخبار. وقد تشكلت سوسولوجيا التواصل والإعلام لدراسة هذه التبدلات. فهي تبين عبر وصف مضامينها، علاقات السلطة التي تنشأ حول المعلومات وتسمى إلى قياس تأثير الدعامات التقنية (راديو، سينما، تلفزة، وسائط اتصال جديدة) على سلوكيات المواطنين أو المستهلكين. وبذلك انبثقت بشكل أساسي سوسولوجيا وسائط الاتصال الجماهيرية.

¹. D. Peccoud, la télématique ou l'homme éclaté, in projet, n° 153, mars 1981, p 281.

². G. Hottois, le signe et la technique, Aubier-Montaigne, Paris, 1984, p 56.

وقد أدى تطور التكنولوجيات إلى ظهور مادة فرعية جديدة، تمتد من دراسة الابتكارات إلى التفكير في مجتمع الإعلام. ونظرا لكون تكنولوجيا الإعلام قد تمومت بقوة داخل فضاء إنتاج الخيرات والخدمات، فإن سوسيولوجيا الإعلام حددت بشكل أفضل، مبادئ أخرى مستمدة من سوسيولوجيا التنظيمات وسوسيولوجيا المقابلة. وهذه الحقول الثلاثة الفرعية، تتقاسم نفس الميراث الوضعاني وإن كانت تسعى إلى الانفلات منه. ففي القرن 19، كان تقدم المعارف والتقنيات يعتبر عاملا من عوامل التقدم الاجتماعي. وإذا ما كانت وسائل الاتصال الجماهيرية قد شكلت بسرعة أحد المواضيع الأساسية للسوسيولوجيا الأمريكية، فإن ذلك راجع إلى كون التكنولوجيات التي ظهرت وتطورت في النصف الأول من القرن العشرين، قد اعتبرت مساهمة في نشر المعرفة في كل أنحاء المعمورة ومساعدة على مشاركة الأفراد في القرارات التي تهمهم. ولربما كانت المقابلة هي الأكثر تحفظا بهذا الخصوص.

واليوم فإن الخطاب حول ضرورة التطور الآلي أصبح سائدا، باسم التنافسية وبقاء المقاولات. فالخطاب المهيمن في نهاية القرن العشرين، أكد أن التقنيات الصناعية أو الحضرية الجديدة، بإمكانها أن تحدد بنيات الحياة وأن تشيد مجتمع الإعلام.

1. التواصل ووسائل الاتصال.

من اجل وضع أسس سوسيولوجيا الإعلام ووسائل الاتصال الجماهيرية، تم اللجوء إلى نظرية "كلود شانون" "Claude Shannon" التي يمكن تلخيصها في أن هناك مرسلا أو مصدرا (E) يرسل معلومة (I) إلى متلقي أو مرسل إليه (R). وبشكل عام، فإن التواصل يفترض أيضا وجود اتفاق بين ذاتين، مثلا يتعين وجود نفس اللغة، عندما يكون هناك حوار بين فرنسيين أو عربيين. وعندما يكون هناك تواصل عن بعد، يجب فضلا عن ذلك، وضع دعامة تقنية للتواصل: فالرسالة تمر داخل أنبوب صوتي أو خيط بصري و موجة هرتزية إلخ...

وكلما أصبح التواصل أكثر تعقيدا، كلما تعددت مصادر "الضجيج" الذي قد يشوش على الرسالة: من التشويشات الإلكترونية التي يمكن أن تزعج المكالمات الهاتفية، إلى الأخطاء الإنسانية التي ترجع إلى اختلاف السنن أو تباين تأويله في البداية والنهاية. فهناك أشكال عديدة من سوء الفهم الثقافي التي تتعارض الشعوب بشأها.

إن نظرية الإعلام المحددة بهذا الشكل، ستمهد لقيام سوسيولوجيا التكنولوجيا المسماة جديدة، ما دامت تكنولوجيا الإعلام والاتصال تتمثل بالضبط في تحويل الواقع برمته إلى معلومات مشفرة وفق اتفاق كوني، من أجل إخضاع هذه المعطيات لعمليات متنوعة نذكر منها: العمليات المنطقية الرياضية مثل المعلوماتية التي تسمى "data processing" أي معالجة المعطيات وعمليات الانتقال عبر الزمان والمكان، أو الاتصال عن بعد وتخزين المعطيات إلخ...

وتوفر هذه النظرية وسيلة قياس المدد المعلوماتي. وهو ما استهوى العديد من السوسيولوجيين المهتمين بتكميم ما يحدث في مجال وسائط الاتصال الجماهيرية، وكل ما ينتج عن استخدام الآلات السمعية البصرية. وعندما فتح سوق استهلاك الخيرات أبوابه، سعى المشرفون على التسويق إلى استعمال وسائط الاتصال الجماهيرية التي ازدهرت في فترة ما بين الحربين العالميتين على نطاق واسع، من أجل دفع زبائن محتملين إلى مزيد من الاستهلاك.

"وإذا كان السوسيولوجيون الأمريكيون قد درسوا بكثرة، ثقافة الجماهير المتأثرة بوسائط الاتصال الجماهيرية، فإن السوسيولوجيا الفرنسية قد تبنت موقفا أكثر نقديا بخصوص هذا المفهوم"¹، بحيث حاولت إبراز الدلالات الضمنية للصور والرموز المستعملة من طرف وسائط الاتصال.

وقد كان لـ "جورج فريدمان" (Georges Friedmann) الذي يعتبر مصدر الأبحاث الفرنسية حول الاتصال الجماهيري، فكرة أوسع: حيث "سعى عبر سوسيولوجيا التواصل إلى إيجاد قيم ومقتضيات الثقافة والروح"¹.

¹. Morin Edgar, L'esprit du temps, Armand Colin, 2008, p 149.

واليوم فإن مدبري وسائط الاتصال المتنافسين في مجال الإشهار المريح، يشجعون السوسيوولوجيا الوصفية المختصة في الإعلام والاتصال الجماهيري وبالجمهور وبالمتلقي. فثمن مكان أو زمان البث، يرتبط بعدد القراء أو المستمعين وبخصائصهم السوسيو-اقتصادية، وأيضا بجودة استماعهم.

2. مجتمع الإعلام:

أثناء بحثه عن خصائص المجتمع ما بعد الصناعي الذي أعلن عنه، تحدث "دانييل بيل" " Daniel Belle " عن مجتمع الإعلام للتأكيد على هذا الأخير كسلطة وكأساس لقيام الوظائف المهنية في المستقبل. وفي معنى قريب تحدث مجموع من الباحثين " Plassard "، " Mercier "، " Scradigli " عن المجتمع الرقمي "société digitale" لإبراز التأثيرات الممكنة للتكنولوجيا الجديدة المركزة على المعالجة الرقمية للواقع الاجتماعي. ومن الصعب الإحاطة بدقة بتأثيرات الصياغة المعلوماتية. "صحيح أن العالم الاقتصادي قد عرف هزات عديدة، لكننا لا نلاحظ حاليا أي تغير جذري لنمط الحياة خارج العمل، بل إننا نعاين مجددا اللامساواة والمشاكل الاجتماعية عموما"². ويعتبر الفارق كبيرا بين هذه الملاحظات وتأكيدات الدول أو القطاعات الصناعية. فلتطوير استراتيجياتهم، يلجأ هؤلاء الفاعلون إلى المخيال الجماعي، بالتأكيد على أن كل تكنولوجيا جديدة، ستكون أكثر إبداعية ومساواة، وأنها ستسمح للعالم الثالث بالحق بالبلدان الغنية، وستقيم التواصل بين الأفراد وستحل الأزمات الاقتصادية. ومع ذلك فإن المعلوماتية المقترنة بوسائط الاتصال عن بعد، تبدو اليوم من بين

¹ . Friedman Georges, Introduction aux aspects sociologiques de la radio-télévision, CERT, n° 319555, p 17.

² . Freeman Christopher, Mendras Henri, le paradigme informatique, technologies et évolutions sociales, Descartes, Paris, 1995, p162.

الابتكارات الأساسية للقرن العشرين، وهو ما يتطلب من السوسيولوجيا التدخل في النقاش المتعلق بالآليات التاليتين:

● الشبكات الكبرى وتنوع الثقافات:

"الحياة الاقتصادية والاجتماعية والصحة والتعليم إلخ... تركز أكثر فأكثر على شبكات تقنية واسعة جدا"¹. فبعد الكهرباء ووسائل النقل البري والجوي أصبحت الشبكات العالمية لأبنك المعلومات والطرق السيارة للمعطيات "مثل شبكة الأنترنت" تفرض نموذجها العقلاني على نطاق كوني.

"وبالإضافة إلى الأسئلة الكلاسيكية مثل: هل تساهم الشبكات في ظهور أشكال جديدة للاجتماع وللتجمعات الاجتماعية؟ وهل سينتج عنها هيمنة لمرسلي المعلومات؟ ستطرح أسئلة جديدة حول التنظيم الاجتماعي والسياسي لهذه الأنساق الكبرى وحول خضوع المواطنين لها"².

"لقد ساهم إدراج المعلوماتية الدقيقة في تجديد المظاهر الخاصة بكل منطقة، حيث دعم التضامن بين الأجيال والتعاون بين المقاولات الصغيرة والمتوسطة، مما سهل امتلاك التقنية من طرف الأوساط المحدودة"³.

● الحياة الانسانية داخل محيط الآلات "الذكية":

لقد أدت الجهود الهائلة التي بذلها الاختصاصيون في الذكاء الاصطناعي، إلى طرح أسئلة حول طبيعة الذكاء الإنساني وهل يمكن محاكاته؟ وحول المهام التي يمكن نقلها إلى الآلات،

¹ Hugues. T, et Mayntz. R, The development of large technical systems, Campus verlag, Frankfurt, 1989, p 86.
² Gras Alain, Grandeur et dépendance, sociologie des macro-systèmes techniques, P.U.F ; Paris, 1993, p45.
³ Scradigli Victor, L'Europe de la diversité, la dynamique des identités régionales, CNRS éditions, Paris, 1993, p 239.

وأيضاً حول ما يتبقى للإنسان أما محيط مكون من كائنات آلية وكائن إنساني. وقد اصطدمت الأبحاث حول أنظمة الاختصاص مع وجود دعامة ثقافية شاسعة، يصعب التعبير عنها بشكل شمولي، وهنا، يتم اكتشاف أهمية المعارف الضمنية للعامل ودوافعه الشخصية وامتعته والاجتماع داخل مجموعة العمل والمظاهر غير النظامية للتنظيم الاجتماعي. ما الذي سيفعله الإنسان؟ وكيف سيكون داخل مجتمع تقني، حيث تعوض الآلة عمل الإنسان في أغلب مهام الانتاج وأيضاً في التصور والترقب والتبادلات الاجتماعية؟ سيقوم البعض بنقد جذري لهذا التضخم التكنولوجي وللأخطار الناجمة عنه، سواء على مستوى الطبيعة أو على مستوى الثقافة اليومية، بل إن البعض يدعو إلى التخلي عن حلم الرفاهية اللامحدودة ويدعو إلى بلورة أخلاقية التقنية.

3. إخضاع الإنتاج والخدمات للمعلوماتية:

تمتد جذور المجتمع المعلوماتي داخل المقابلة المعلوماتية التي يمكن تعريفها كمقابلة يكون فيها التواصل بين الخدمات والأشخاص قويا جدا وخاضعا للمعلوماتية. وتكون الآلات نفسها مزودة بالإلكترونيات الدقيقة ويحدث الاتصال فيما بينها بشكل دائم وفي زمن واقعي.

● دواعي إخضاع المقابلة للمعلوماتية:

منذ سنة 1978، حاولت الدولة الفرنسية تطوير استراتيجية إخضاع المعلومات للمعلوماتية، وبالخصوص إخضاع النظام الإنتاجي لها، لمواجهة تحدي المنافسة العالمية في مجال الإلكترونيك المعلوماتي ووسائل الاتصال عن بعد.

وقد تسارعت وتيرة إخضاع المقاولات الفرنسية للمعلوماتية، منذ بداية الثمانينات، لمواجهة تصدير الصناعات المرتكزة على اليد العاملة نحو بلدان العالم الثالث وللمنافسة المتزايدة لبعض البلدان شبه المصنعة. وتتطلب مرونة أنظمة الانتاج وتديريها، تكثيفا للمد المعلوماتي الذي لا

يحصل إلا بعد المعلوماتية ذاتها. وفي نفس الوقت، فإن متطلبات المرونة تقرب بين مختلف وظائف المقابلة. وهذا هو المفهوم المركزي الثالث للمعلوماتية، مفهوم إدماج الوظائف. لقد أصبح التفكير في هذه المرحلة مهتما بالتقدم التقني وتحديدًا في التكنولوجيا كمنتوج اجتماعي، أي كبلورة لعلاقة اجتماعية. وبشكل عام، فإن الآلات بما فيها الأدوات والمعامل وأيضا الحواسيب والشبكات المعلوماتية، تبدو كمنتوجات اجتماعية موسومة بنوعية العلاقات الاجتماعية التي توحد مبتكريها ومستعمليها.

الفصل الثالث

التداولية

الفصل الثالث: التداولية

المبحث الأول: التداولية تعريفها وأهميتها

مقدمة:

لقد تطورت الدراسات اللسانية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بشكل ملحوظ، وقدمت أبحاثاً رائدة للغة في جميع مستوياتها. والملاحظ أن هذا التطور لم يواكبه انشغال معمق ببعض إشكالات الاستعمال اللغوي، من قبيل أفعال الكلام والإحالة، والافتراض المسبق والأقوال المضمرة... ومن ثم ظلت النماذج والنظريات اللسانية المختلفة تتحاشى هذه الإشكاليات بذريعة أنها عvisية عن البحث، فحقها أن يطويها النسيان. بيد أن التحولات المعرفية التي انفجرت مع خمسينيات القرن العشرين، أظهرت أنه من المتعذر الاستمرار في تجاهل قضايا الاستعمال اللغوي، فجاءت أبحاث "أوستين" "J. L. Austin 1911-1960" وتلميذه "سورل" "John Rogers Searle 1932" لتعلن عهداً جديداً في الدراسات اللسانية، ولتؤرخ لثورة منهجية على النماذج اللسانية البنيوية، هي ثورة التداوليات.

ومن جهة أخرى نجد أن تيارات أخرى، فلسفية ونفسية واتصالية قد اخترقت الساحة اللغوية منذ بضع سنوات، ونتج عن ذلك تقسيم البحث اللغوي في اللسانيات الغربية إلى نموذجين لسانيين متنافسين: المنحى الشكلي الصوري وعلى رأسه البنيوية، والمنحى الوظيفي وتترجمه التداولية، وإن كان هذا الأخير قد ظهر بشيء من التأخر عن الأول. وقد أثرت التداولية إلى حد بعيد في الاتجاه الوظيفي وجعلت منه رائداً بما بثت فيه من الرؤى والمفاهيم الجديدة.

لقد تحولت اللسانيات مع البنيويين إلى علم صوري مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة، يؤمن بكيانية العبارة اللغوية، وبإقصائها لأحوال التخاطب أو الطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، ومن ذلك استبعادها الدلالة التي هي جوهر اللغة الإنسانية ومناطق التواصل اللغوي والاجتماعي. ولم

تسد هذه الثغرة إلا جزئياً في أعمال بعض التوجهات اللسانية الوظيفية، ثم سدت كلياً، بعد ظهور التداولية والتيارات اللسانية الوظيفية المنبثقة عنها أو المتأثرة بها.

وقد حظي الدرس التداولي الحديث باهتمام كبير، وغداً مجالاً خصباً لإثارة قضايا محورية مرتبطة بالتواصل اللساني. ويعزى هذا الالتباس المصاحب للفظ التداولية، وهو التباس راجع إلى تعدد مباحثها، وتباين روافدها، واختلاف وجهات النظر حول وضعها الاعتباري، كما يعزى إلى التقاطع الذي يتيح الدرس التداولي بين حقول معرفية متنوعة، فلسفية ولسانية ونفسية واجتماعية وأنتروبولوجية... على نحو جعل التداولية ملتقى عدة تخصصات. وكان من حسنات هذا التقاطع إعادة النظر في جملة من القضايا ذات الصلة باستعمال اللغة ومقتضيات التواصل من قبيل الإحالة والحجاج ومقاصد المتخاطبين والاستلزمات الحوارية الناشئة أثناء التفاعل الإنساني...

وإذا كانت التداولية قد استأثرت باهتمام الدارسين، وأضحت حدثاً معرفياً مهماً خلال النصف الثاني من القرن العشرين، تعقد لأجله الندوات، وتدبج حوله الدراسات والبحوث والمقالات والمجلات... فإن ذلك لم يبدد كلياً الإشكالات الكثيرة الملازمة لهذا الحقل المعرفي. لذلك سوف نسعى من خلال هذه الدراسة لبلوغ ثلاثة أهداف: الهدف الأول يتلخص في رفع الالتباس عن التداولية، من خلال التعريف بها وبيان أهميتها وسياق ظهورها، والثاني مداره حول التعمق في دراسة تقاطع التداولية مع غيرها من الحقول المعرفية، خاصة الفلسفة التحليلية والذكاء الاصطناعي ونظريات التواصل والسيمياء... أما الهدف الأخير فمحوره التعرف على مباحث التداولية، ومجالات انشغالها بدءاً بالإشارات وصولاً إلى ما حققته من انفتاح على مبحثي الحجاج والعلوم المعرفية.

أولاً: التداولية، تعريفها وأهميتها

1. تصورات خاطئة عن التداولية:

بالنظر إلى ما شاع من تصورات خاطئة عن هذا المنهج الجديد نوضح أن التداولية ليست كما يعتقدده الكثير مما يلي:

- ليست سلة مهملات للسانيات، بحيث تعتبر كل ظاهرة عجزت اللسانيات عن حلها مجالاً للبحث التداولي، وهذا يقتضي أن الظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهمة ولا متروكة بالضرورة. ومن ثم فهي تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي، وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات. وهذه القضايا ليست من اهتمامات اللسانيات الصريحة، بل هي تشبه أن تكون مرحلة وسيطة بين المعارف اللغوية والمعارف الموسوعية. والتداولية تستمد من رافدين:

- الرافد المعرفي (كما تقدمه بعض المباحث في علم النفس المعرفي): الاستدلالات والاعتقادات والنوايا...

- الرافد التواصلية: أغراض المتكلمين واهتماماتهم، ورغباتهم...

- وليست مكوناً من مكونات اللسانيات البنيوية، لأن التداولية ليست هي المرحلة الأخيرة للتحليل اللساني.

فما هي أبرز الأنشطة التداولية؟

يمكن أن نجمل الجواب فيما يلي:

- دراسة استعمال اللغة عوضاً عن دراسة اللغة. فاللسانيات، كما هو معلوم، تدرس اللغة، أي دراسة المستويات الصوتية والتركيبية وربما الدلالية، فقد تحولت مع البنيويين إلى علم تجريدي مغلق ذي إجراءات داخلية خالصة، يؤمن بكيانية البنية اللغوية في مستواها الصوري المجرد، في

حين أن دراسة استعمال اللغة لا تنحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيق، وإنما تتجاوزها إلى أحوال الاستعمال في الطبقات المقامية المختلفة بحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.

- دراسة الآليات المعرفية (المركزية) التي هي أصل معالجة الملفوظات وفهمها، فالتداولية تقيم روابط قوية بين اللغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي.
- دراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي، فتقيم من ثم، روابط بين علمي اللغة والتواصل.

2. تعريف التداولية

أ. الدلالة اللغوية:

التداولية أو التداوليات أو البراغماتية أو الوظيفية أو السياقية. دوال متواترة في اللغة العربية في مقابل المصطلح "pragmatique" المشتقة من كلمة "pragmaticus" اليونانية، المشتقة من "pragma" وتعني الحركة أو الفعل "action" بيد أن مصطلح التداولية يظل الأكثر استعمالاً وشيوعاً بين الباحثين¹.

ويقترن مصطلح التداولية "pragmatique" في اللغة الفرنسية بمعنيين اثنين، هما: "محسوس" و"ملائم للحقيقة"، أما في اللغة الإنجليزية، وهي اللغة التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية، فإن كلمة "pragmatics" تعني "ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية"². فلا غرابة ألا ندرك، كما ينبغي، وحدة التداولية ولا مناهجها ولا أهدافها. وبالإضافة إلى ذلك فإن التداولية تتموقع في الحقل الفلسفي، وهو حقل معرفي فسيح عادة.

¹. الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية؛ مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17، جانفي 2006، ص9.

². التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ت صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، 2007، ص17.

ويرد هذا المصطلح في معجمي محمد علي الخولي 1982 وعزت عياد 1984. يجعله الأول مرادفاً للسميائيات (علم الرموز) ويعرفه بأنه (دراسة الرموز اللغوية والرموز غير اللغوية). والحقيقة أن هذا التعريف يصدر عن ابستمولوجية "شارل موريس" "Charles Morris 1938" التي تقرن التداوليات بالسميائيات، وهو متقادم لكونه يفصل المبحث التداولي عن مجالي علم التركيب والدلالات.

ويدور المبحث الأول (علم التراكيب) حول العلاقات الصورية التي تنظم الدلائل بعضها ببعض.

أما الثاني (الدلالات) فيتمحور حول علاقة الدلائل بالأشياء التي تعود إليها. فضلاً عن ذلك، فهو لا يتضمن أي إشارة إلى مفهوم (الاستعمال)، خلافاً لما يذهب إليه "شارل موريس" نفسه، إذ يعرف التداوليات بأنها "دراسة علاقة الدلائل بمستعملها".¹

ويتبين، بمراجعة سنة صدور معجم محمد علي الخولي 1982، أنه لم يساير ما جد في مجال التداوليات، فهو لا يتضمن، مثلاً الشبكة الاصطلاحية لنظرية الأفعال اللغوية، كما لا يستوفي، أحياناً، مستلزمات التعريف، فيغدو هذا الأخير دائرياً، يسند للتداوليات ما أسند للسميائيات.

أما تعريف "عزت عياد" 1984 فيقدم مدخلاً يتطابق حرفياً مع المدخل الوارد في أحد المعاجم العامة الفرنسية "Grand Robert".

كما ترجمه عبد القادر الفاسي الفهري في بحثه "المصطلح اللساني"، بالذرائعية أو الذريعات. إلا أننا نجد من لا يقبل بهذه الترجمة كالـدكتور قاسم المقداد، إذ يعتبر أنه لا يجوز ترجمة "pragmatics" بالذرائعية، وإلا اعتقدها القارئ مقابلة للمدرسة الفلسفية المعروفة باسم "pragmatisme"، غير أنه لم يطرح مصطلحاً عربياً لهذا المفهوم.²

ويرجع البعض تعريف التداولية أو التداوليات إلى واضعها "بيرس" "Charles Sanders Peirce 1839-1914" و"وليام جيمس" "William James 1842-1910"، غير أنه يغيب المظهر اللساني

¹ Charles Morris, Fondements de la théorie des signes, Langages, vol 35, Larousse, Paris, 1974.

² هريبرت بركلي، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة قاسم المقداد، ومنشورات وزارة الثقافة، 1990، 108.

التداولي، ويكتفي بتقديم معنى فلسفي للمفهوم، الأمر الذي يخالف منطلقات المعجم باعتباره معجماً للمصطلحات اللغوية)، ولم يشر أيضاً إلى الدلالة الفلسفية بخلاف معجم "Grand Robert"، الذي حرص على الإشارة إلى ذلك.

وبعودتنا إلى مصطلح "التداولية" نجد أنه "مصطلح مركب من وحدتين إحداهما معجمية "تداول" والأخرى صرفية "ية" دالة على مصدر صناعي. والبال واللام والواو في اللغة أصلان أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى آخر. والآخر يدل على ضعف واسترخاء".¹ ، والدولة انقلاب الزمان من حال البؤس والضر إلى حال الغبطة والسرور، والدولة العقبة في المال. والدولة في الحرب أن تدار إحدى الفئتين على الأخرى، يقال "كانت لنا عليهم الدولة"²، وقد أداله، ومنه قول الحجاج "إن الأرض ستدار منا كما أدلنا منها" "قيل معناه ستأكل منا كما أكلناها. وتداولوه: أخذوه بالدول. وقد تداولته الأيدي: أخذته هذه مرة وتلك مرة أخرى، وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾³. أي نديرها، من دال أي دار، وقالوا دوايك أي مداولة على الأمر.

هذه المعاني والدلالات نصادفها أيضاً في معاجم أخرى منها ما ورد في تاج العروس: "والدولة في الحرب: أن تدار إحدى الفئتين على الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة. قال الفراء: "إنما الدولة للجيشين، يهزم هذا هذا، ثم يهزم الهازم، فنقول: قد رجعت الدولة على هؤلاء، كأنها المرة. قال: والدولة بالضم في الملك والسنن التي تغير وتبدل عن الدهر، فتلك الدولة. (أو هما سواء) بمعنى واحد،

¹. ابن فارس أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ج 1، 1979، ص 314.

². ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ص 327.

³. القرآن الكريم، آل عمران، الآية 140.

يضمن ويفتحان. وقال أبو عبيد: "الدولة، بالضم، اسم الشيء الذي يتداول به بعينه، وبالفتح: الفعل."¹

ومن هذا المنطلق نستشف أن المعاجم القديمة تتواطأ بصفة عامة على ربط الدلالة اللغوية للمدخل المعجم (د.و.ل) بمعنى التحول والتبدل والتغير من حال إلى حال. أما البعض فيعمد إلى التمييز بين داليتين بناء على الحركة الملازمة للدال. فالفتحة تدل على الحرب، أما الضمة فتدل على السنن التي تتغير وتتبدل، في حين يتساوى الضم والفتح عند البعض الآخر.

فإذا حاولنا رصد دلالة المدخل المعجمي (د.و.ل) في المعاجم العربية الحديثة، اتضح لنا تقاطعها مع نظيراتها القديمة، في الدلالة على تبدل الأحوال وتغيرها، إلا أنها تنفرد ببعض الدلالات المستحدثة، وهو ما نكتشفه مع المعاني التالية: "أدال الشيء جعله متداولاً، وداول كذا بينهم جعله متداولاً، والمداول في القضاء إحالة الرأي في القضية قبل الحكم فيها وداول كذا بينهم: جعله متداولاً تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء."² فمن خلال هذا التحديد يتضح أن المدخل المعجمي (د.و.ل) أضحى يرتبط بالتداول أي التبادل المعجم، كما يتصل بالتحاور، ومنه المداول، وتعني تقليب القضية لمعرفة وجوهها المختلفة قبل البت في الأمر؛ وهذا الفعل يقتضي الاستشارة وتبادل الآراء والأخذ بوجهات النظر المختلفة.

ب. الدلالة الاصطلاحية:

رغم تواتر استعمال لفظ "التداول" قديماً وحديثاً إلا أن الدلالة الاصطلاحية تأخرت في المعاجم اللسانية الغربية إلى بداية القرن العشرين، حين أشار "شارل موريس" إلى أن دراسة "السيمبوزيس" أو

¹. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق أحمد فراغ، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإرشاد الكويتي، ج 28، 1965، ص 507.

². إبراهيم أنيس وعطية الصوالحي وعبد الحليم منتصر ومحمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، م1، دار الفكر، ط2، د ت، ص 304.

سيرورة التدليل " sémiosis " لها ثلاثة مستويات هي: التركيب والدلالة والتداولية. وأوضح أن هذه الأخيرة تبحث في العلاقة بين العلامات ومؤولياتها.

ومع ذلك، فإننا إذا نظرنا في الروابط الموجودة بين "النفعية" "pragmatisme"، و"التداولية" "pragmatics"، نجد أن النفعية نظرية فلسفية عامة للعقلانية بوصفها متصلة بمصالح الإنسان الأساسية. ولقد تطورت في الولايات المتحدة الأمريكية، في منتصف القرن العشرين، حول "شارل بيرس" الذي قام بدور أساسي في النشأة المفهومية للمقاربة التداولية.

وتعنى التداولية بالشروط والقواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصة به. أي العلاقة بين النص والسياق¹. وهو أيضا رأي الدكتور سعيد علوش في تقديمه لكتاب "المقاربة التداولية" لصاحبه "فرانسواز أرمينكو" " إذ يقول: "ظهر كتاب "فرانسواز أرمينكو" عن التداولية "pragmatique" سنة 1955، وهو حدث هام، يفتح العديد من الآفاق المنهجية"².

وتعتبر التداولية آخر ما أنجبت اللسانيات، وهي تسعى إلى الإحاطة بالدلالة الكامنة في النص وفي منتجه ومتلقيه، وفي عناصر السياق المختلفة المحيطة بعملية إنجاز وأدائه. والتداولية اللسانية من أهم المفاهيم الحديثة التي شددت انتباه الدارسين والباحثين لا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة، مما يستدعي ضرورة الوقوف على هذا المفهوم، بخصوص نشأته وعلاقته بالعلوم والمعارف المختلفة. وقبل ذلك يجب الإشارة إلى أن "أوستين" وتلميذه "سورل" قد وضعوا النواة الأولى للتداولية، في حقل فلسفة اللغة العادية (ordinaire)، وكان الأول أستاذا للفلسفة بجامعة "أوكسفورد"، أما الثاني فدرس بجامعة "بركلي" بكاليفورنيا. ويقر الجميع بأن "أوستين" كان أول من بعث نظرية الأفعال اللغوية، ومعلوم أيضا أن الفلسفة كانت تهتم بالمسائل اللغوية منذ القدم. وباعتبار أن الفلاسفة كانوا يفكرون في العلاقات القائمة بين اللغة والمنطق (وخاصة المنطق الحجاجي) من جهة، وآثار الخطاب في السامع، ومن جهة أخرى فإنه يمكن اعتبار البلاغيين القدامى أيضا بأنهم كانوا تداوليين.

¹. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1992، ص 20.

². فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ت سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د.ت)، ص 3.

وقد طور الفلاسفة منذ أفلاطون وأرسطو منوالا كلاسيكيا للبلاغة، يقوم على معرفة الانفعالات والطبائع. "فكان "أرسطو" "Aristote" يميز بين الخطاب الجدلي الذي يتوجه إلى إنسان مجرد، يختزل في وضعية ذات، تشترك مع المتكلم في سننه اللساني، والقول الخطبي (discours rhétorique) الذي يتوجه إلى إنسان واقعي يتمتع بملكة الحكم، وذوي انفعالات وعادات ثقافية"1 . وقد اعتمد "أوستين" و"سورل" كثيرا على الأعمال اللغوية الأساسية التي قام بها أرسطو، وإن تصنيف أنواع الخطاب الذي وضعه "موريس" "Morris"، أحد مؤسسي التداولية، والمرجع الأساسي لدى التداوليين، سيكون إضافة متميزة لتصنيف "أرسطو".

إلا أن المرحلة الحاسمة في تطور التداولية تزامنت مع أبحاث "أوستين" "Austin" و"غرايس" "Paul Grice 1913-1988" في إطار فلسفة اللغة، لتنتج بعد ذلك على روافد معرفية متعددة جعلتها ملتقى عدة تخصصات.

وتضافرت جهود المنظرين لرفع الالتباس عن التداولية. فذكرت "آن ربول" "Anne Reboul" "و"جاك موشلار" "Jacques Moeschler" أنها "يمكن أن تعرف بصفة عامة على أنها دراسة استعمال اللغة، في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاصات اللسانيات. وعندما نتحدث عن استعمال اللغة، فإن هذا الاستعمال ليس محايدا. فالإشارات على سبيل الذكر لا يمكن أن تؤول إلا داخل سياقها التلفظي، كما أن الكلمات تدل في مناسبات كثيرة على معان تفوق ما نوي التعبير عنه". وقد أوضحنا العلاقة بين دراسة النسق ودراسة استعمال النسق.

والتداولية تعني أيضا "دراسة استعمال اللغة في الخطاب، ودراسة الإشارات النوعية التي تثبت وظيفتها في اللغة". ولا تختلف هذه الأقوال عما ذكره "فان دايك" "Van Dijk" "حين أوضح أن "البناء النظري للعبارات على المستويين الصوري والدلالي ينبغي أن يكمل ويتمم بالمستوى الثالث، أعني بمستوى فعل الكلام. وذلك أن كل عبارة متلفظ بها ينبغي ألا توصف فقط من وجهة تركيبها

1. فيليب بلانشيه، المرجع السابق، ص 21.

الداخلي والمعنى المحدد لها، بل ينبغي أن ينظر إليها كذلك من جهة الفعل التام الإنجاز المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة. ووصف هذا المستوى هو الذي يهيئ شروطاً حاسمة لغاية إنشاء وتركيب جزء من ضروب التواضع والاتفاق، مما يجعل العبارات مقبولة، وهذا يعني أن يصير تركيبها مناسباً لمقتضى الحال بالنظر إلى السياق التواصلي¹.

وقد ساعدت الاهتمامات العملية في تحويل الانتباه إلى تفسير المحادثات الحاصلة فعلاً وهكذا ظهرت المبادئ التداولية مثل مبدأ التعاون ومبدأ التأدب، وهكذا تم تعريف التداولية على أنها فهم اللغة الطبيعية. لقد كانت الفلسفة البراغماتية هي المسير الحقيقي لمبحث التداولية حتى اكتسب استقلالية بوصفه ميداناً فرعياً من اللسانيات.

وتعد التداولية مبحثاً من مباحث الدراسات اللسانية التي تطورت إبان سبعينات القرن العشرين. وهذا المبحث يدرس كيفية فهم الناس وإنتاجهم لفعل تواصلي أو فعل كلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد. وتميز التداولية بين معنيين في كل ملفوظ أو فعل تواصلي لفظي. الأول هو القصد الإخباري أو معنى الجملة، والثاني القصد التواصلي أو معنى المتكلم. إن القدرة على فهم وإنتاج فعل تواصلي يطلق عليها "الكفاءة التداولية" والتي تتضمن معرفة المرء بالمسافة الاجتماعية والمرتبة الاجتماعية بين المشاركين في الموقف، وكذلك المعرفة الثقافية والمعرفة اللغوية الظاهرة والضمنية، ومن بين مظاهر اللغة التي تدرسها التداولية المشيرات، والتي تشير إلى المعنى السياقي للضمائر ومفردات المكان والزمان، والفرضيات المسبقة التي تشير إلى المعنى المنطقي لجملة ما أو تلك المعاني المقترنة منطقياً بالجملة؛ أفعال الكلام والأفعال الانجازية أي نظرية أفعال الكلام التي تنص على أن الحدث الكلامي يتضمن ثلاث أنواع من الأفعال: فعل لفظ، فعل إنجاز، وفعل تأثير.

وقد عدد "جورج يول" "Georges Yule" جملة من التعريفات للتداولية، حاول من خلالها رسم حدودها وامتدادها. إذ ذكر أن "التداولية تعني بدراسة المعنى كما يعبر عنه المتكلم (أو الكاتب)

¹. فان دايبك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 200، ص

ويؤوله المستمع (أو القارئ)، وبالتبعية فإنها تهتم أكثر بتحليل ما يرميه إليه المتخاطبون من ملفوظاتهم، أكثر مما تُعنى بما يُحتمل أن تعبر عنه الكلمات أو الجمل نفسها. وعليه فإن التداولية دراسة لمقاصد المتكلم.

ويقتضي هذا الصنف من الدراسة بالضرورة إلى تأويل ما يقصده المتكلمون ضمن سياق محدد، والتأثير الذي يمارسه هذا السياق على ما يقال. لذلك فهي تأخذ بعين الاعتبار كيف ينظم المتكلمون خطابهم، وما يرمون إليه، وانسجام ذلك مع ما يتحدثون عنه، ومكانه وزمانه، وفي أي ظروف. ومن ثم فإن التداولية هي دراسة المقاصد السياقية.

كما تقتضي هذه المقاربة أيضا التعمق في الكيفية التي بمقدور المستمعين أن ينجزوا بها الاستدلالات حول ما قيل، من أجل الوصول لتأويل مقاصد المتكلم. لهذا يمكننا القول إن التداولية هي البحث عن المقاصد الخفية. وعليه فالتداولية هي دراسة ما يعبر عنه أكثر مما ترتبط بما يقال.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو كيف نحدد ما ينبغي التصريح به وما ينبغي إضماره؟ الجواب عن هذا السؤال يرتبط بمفهوم المسافة، والقرب، هل هي فيزيائية، أم اجتماعية، أم مفهومية، أم اتفافية. وعلى افتراض مدى قرب المستمع، يحدد المتكلم ما يجب قوله. ومن ثم فإن التداولية هي دراسة دلالة تعالق الوجوديين المتكلم والمستمع¹.

وفضلاً عن ذلك يقوم "التداوليون" بدراسة السبب في نجاح المشتركين في الموقف الكلامي. والفكرة الأساسية هي أن المتحدثين يتبعون مبادئ محددة في مشاركتهم وذلك من أجل استمرار المحادثة. وأحد أهم هذه المبادئ هو "مبدأ التشارك" الذي يفترض أن المتحدثين يتعاونون وذلك من خلال مساهمتهم في الحدث الكلامي المتواصل. والمبدأ الثاني هو "التأدب" والمراد به أن يتصرف المتحدثون باحترام مع بعضهم بعضاً. وتجب الإشارة إلى أنه ثمة اهتمام متزايد في طريقة إتباع الناس في لغات مختلفة لمبدأ تداولي محدد.

¹ Georges Yule, Pragmatics, oxford university press, New York, 1996, p 3.

وفي سياق متصل أحصى "فيليب بلانشيه" "Philippe Blanchet" عدة تعريفات للتداولية، فذكر أن "التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية (...)"، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثية والبشرية.¹

وقد رُصد للتداولية تعريف آخر، وهو "أنها تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في الوسيئات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي" وهو تعريف أتى به "أ. م. ديلر" "Diller, A.M" و "ف. ريكناتي" "Recanati, F". كما تُحدد التداولية بكونها "دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية، في نفس الوقت" وتُعرّف أيضا "بأنها الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل"².

والخيط الناظم بين هذه التعريفات هو اتفاقها على أن التداولية تتوخى تعميق الفهم ببعض الظواهر الخطابية المتولدة عن التواصل، من قبيل الحجاج والاستلزام الحوارية والاقترضاء، وهي ظواهر تفرض نفسها وتطفو على السطح أثناء التخاطب البشري.

وعلاوة على ذلك يلاحظ أن التعريفات السالفة تسلم بأن التداولية تهتم بسياق انتاج الخطاب، على اعتبار أن استعمال النسق يفرض النظر في الظروف المصاحبة له، من قبيل مقاصد المتخاطبين، ومسافة القرب والبعد الفاصلة بينهما، سواء أكانت فيزيائية أم اجتماعية...

وبصرف النظر عن هذه الحدود، فإن الحقيقة التي لا مرأى من الإقرار بها أن التداولية أضحت ملتقى لعدة تخصصات؛ لسانية وفلسفية وأنتروبولوجية ونفسية... وبالتالي "لم تعد علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة،

¹. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى كوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنضرة والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1،

2007، ص 19.

². المرجع نفسه، ص 20.

ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال؛ ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره¹.

وبقدر ما أفادت التداولية من هذا الانفتاح المعرفي والمرونة النظرية والمنهجية، بقدر ما أثارت الأسئلة حول وضعها الاعتباري، مما دفع "بلانشيه" للحفاظ على وجود تداولية بصيغة المفرد، مفضلاً اعتبارها تداوليات بصيغة الجمع، رغم الدلالة القدحية لهذا التعدد². وقد أكد "فان دايك" هذه الحقيقة، حين اعترف قائلاً: "وبينما كانت أغراض التراكيب النحوية والسيمانطيقية ومكانتهما من علم النحو أغراضاً واضحة شيئاً ما، فإن مهام التداولية وإسهامها في النظرية اللسانية لا تزال محل خلاف على الإطلاق"³.

وإذا كان هذا الاعتراف يشخص واقع التداولية، فإننا في الآن نفسه لا نعدم انشغال أعلامها ببعض المباحث المهمة من قبيل:

- الإشارات وما يتصل بها من ضمائر وظروف الزمان والمكان.
- أفعال الكلام.
- الاقتضاء والاستلزام الحوارية.
- الملاءمة.
- الحجاج.

¹. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ص 16.

². فيليب بلانشيه، مرجع سابق، ص 19.

³. فان دايك، مرجع سابق، ص 255.

3. ظهور التداولية وتطورها:

قطعت التداولية في تاريخها الممتد من خمسينات القرن العشرين إلى حدود الآن أشواطاً مهمة، ومرت بعدة تحولات. "فبعدها كانت تُنعت قبل عقود بسلة المهملات، أضحت حقلاً معرفياً خصباً ومتحدداً، لا حدود تحده، ولا حواجز تمنعه من اقتحام حقول أخرى".¹ وقد أوجزت "آن ريبول" Anne Reboul "تاريخ التداولية في ثلاث محطات.2. فبدايات التداولية تعود إلى 1938 حين تحدث "شارل موريس" عن السيمزويس في أبعادها الثلاثة؛ البعد التركيبي والبعد السيميائي الدلالي، وأخيراً البعد التداولي.

إلا أن التداولية في هذه الحقبة ظلت حبيسة الإشارات، أي لائحة محدودة من المصطلحات كالضمائر وظروف الزمان والمكان. وقد استقر في ذهن "موريس" "أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي الزمان والمكان (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئياً خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل".³ كما أن تعريف "موريس" للتداولية ظل واسعاً وفضفاضاً يتعدى حدود ما هو لساني إلى ما هو سيميائي، بل ويتعدى المجال الإنساني إلى الحيواني والآلي.⁴

أما مرحلة الخمسينيات فكانت خاصة مع سلسلة من المحاضرات التي ألقاها "أوستين" سنة 1955 بجامعة "هارفارد" حول فلسفة "ويليام جيمس" حيث بلور في هذه المرحلة مبحثاً تناقلته الدراسات التداولية اللاحقة، خاصة "سورل"، مداره حول أفعال الكلام، أبان "أوستين" من خلاله أن عدداً هائلاً من الجمل الخبرية التي نستعمل الغاية منها ليس وصف العالم وإنما تغييره، أي أنها جمل عملية.

¹. فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى كوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنضرة والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص 23.

². Anne Reboul et Jacques Moeschler, La pragmatique aujourd'hui, édition seuil, Paris, 1998, p 66.

³. آن ريبول وجاك موشليير، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد شيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 29.

⁴. Françoise Armengaud, la pragmatique, Que sais-je, 1985, p 5.

مثال ذلك عندما يتلفظ الحاجب في المحكمة بجملة "فُتحت الجلسة"، فإن هذا القول يترتب عنه فتح الجلسة فعليا، ولا تختلف هذه الجملة عن "وهبتك مالي" أو "زوجتك ابنتي". وعلاوة على محاضرات "أوستين" كانت جهود "بول غرايس" هي الأخرى مؤثرة وحاسمة، حيث بلور مقالته "logic and conversation" ما يعرف بنظرية المحادثة، أوضح من خلالها أن تأويل ملفوظ ما يعتمد على عاملين: معنى الجملة المتلفظ بها من جهة، وسياق التلفظ (سواء أكان لسانيا أو خارج لسانيا "extralinguistique") من جهة أخرى. وإلى هذين العاملين أضاف "غرايس" ما سماه مبدأ التعاون.

وإذا كانت التداولية في البداية مجرد مشروع، ثم اكتسبت في مرحلة ثانية بعض الأهمية مع أبحاث "أوستين" و "غرايس"، وغدت اتجاهها قائم الذات، فإن المرحلة المهمة في تاريخ التداولية تزامنت مع انفتاحها على العلوم المعرفية، والأبحاث المتعلقة بالذكاء الاصطناعي؛ وهي أبحاث غيرت الوجه العام للتداولية، وأعلنت ميلاد ما يعرف بالتداولية المعرفية "pragmatique cognitive" مع نظرية الملاءمة "théorie de pertinence" ل "سبيربر" "Dan Sperber" و"ولسن" "Deirdre Wilson". أما "ديكرو" "Oswald Ducrot" فأضفى على التداولية بعدا دلاليا، حينما حاول التأسيس لتداولية مندمجة في الدلالة ضمن ما يعرف بنظرية الحجاج في اللغة. إلا أن الصعوبات التي واجهتها نظريته دفعته إلى تبني أطروحة الباحثة "ماريون كاريل" "Marion Carel" المعروفة بنظرية "المجموعات الدلالية" "les blocs sémantiques"، وهي نظرية تفتتح على النظرية العامة لتعدد الأصوات.

من هذا المنطلق لم يعد مرجع التداولية، في ما تعتقد "آن ريبول"، لائحة محدودة من المفاهيم، وإنما تعدت مجال الكلمة إلى الجملة أو بالأحرى الملفوظ. كما تخطت مرحلة المشروع لتتحول إلى اتجاه له انشغالاته الخاصة. بيد أن ذلك لم يحل دون الاستمرار في تحاشي التداولية، بالنظر لما تطرحه من غموض والتباس متصلين بحدودها ومفاهيمها، وصلاتها بحقول معرفية أخرى.

4. مفاهيم التداولية ومبادئها:

إن أقرب حقل معرفي إلى "التداولية pragmatique" هو اللسانيات، وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلية الجديد باللسانيات وبغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى إما لأنها قريبة منه أو لأنه يشترك معها في بعض الأسس العلمية، نظرية كانت أو إجرائية، وذلك قبل وضع تعريف للتداولية أو تحديد مفهومها. ومن ثم نرى أنه من اللائق التساؤل عن المعيار الذي يصلح أن يكون ضابطاً في تحديد "مفهوم التداولية". فعلى أي معيار نحدد هذا المفهوم؟ هل نحدده بناء على معيار البنية اللغوية؟ إن هذا الصنيع يجعلها مساوية لللسانيات البنيوية وبالتالي فلا يكون أي فرق بينهما، وليس هذا ما تقدمه البحوث التداولية. أم هل نحدده على معيار الاستعمال اللغوي وحده؟ لأن تحديده على الضابط فيه إقرار بأن لا صلة تذكر بينه وبين البنية اللغوية، وهو ما يخالف أيضاً النتائج التي انتهت إليها آخر الأبحاث والدراسات التداولية. هل نحدده بناء على تعالق البنية اللغوية بمجال الاستعمال؟ إن هذا الصنيع يبدو مبرراً ولكنه -إذا ذكر إجمالاً دون تفصيل- قد يغفل بعض الصلات الرابطة بين العلوم المتشابهة والمتكاملة مفاهيمياً، خاصة مجالات: الفلسفة والتداوليات اللغوية وعلم النفس المعرفي وعلوم الاتصال.

وعليه فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يفرض الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الانتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال.... وبالتالي فالتداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منها الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلاً في نظرية الملاءمة "Théorie de pertinence"، ومنها علوم التواصل، ومنها اللسانيات وعلوم الطبيعة.

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية، وتساؤلهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الانسانية للتواصل اللغوي، وتصير التداولية، من ثم، جدية بأن تعرّف بأنها: "علم استعمال اللغة"، وبناء على ذلك يرى البعض : بأنها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية.

ويأتي هذا التعريف في مقابل اللسانيات البنوية التي تدرس اللغة بوصفها بنية مجردة، أو نسقا مجردا تحكمه قوانينه الداخلية الخاصة، وهي روابط تجريدية خالصة، وفي مقابل اللسانيات التوليدية التحويلية التي تدرس اللغة بوصفها كفاءة عقلية تؤدي على طريق الإنجاز الكلامي، أما التداولية فتدرس اللغة بوصفها علما تخاطبيا تواصليا يعنى بالأبعاد الخطابية الاستعملية للغة.

ويرى البعض أن التداولية تعني دراسة استعمال اللغة في سياق معين، وهذا المفهوم إنما بدأ مع العراب "بول غرايس" من خلال المحاضرات التي ألقاها في جامعة "هارفارد" في 1967 وكانت بعنوان (William James Lectures)، والتي جمعت ونشرت في 1989 نقطة الانطلاق لدراسة التداولية. وقد ذهب "غرايس" إلى أن الكثير من الألفاظ لن تجد تفسيرها في المنهج الدلالي، ولكن في منهج تحادتي أو تداولي. ويرى "غرايس" أن ما يميز التفسير التداولي هو طبيعته الاستدلالية: ينبري السامع بالتوصل إلى استدلالات عن المعنى الذي قصده المتكلم اعتمادا على شيئين: الأول ما قاله المتكلم، والثاني الافتراضات المسبقة أو السياقية والمبادئ التواصلية العامة التي يحرص المتكلم عادة على اتباعها أثناء المحادثة، وبهذا يصل السامع إلى "تضمينات" ما قاله المتكلم.

والحقيقة أن استخدام كلمة البراغماتية في معناها الحديث يعود إلى الفيلسوف "تشارلز موريس" 1938 الذي انشغل بعد "لوك" "John Locke 1632-1704" و"بيرس" بتحديد الشكل العام لعلم الرموز "semiotics". والبراغماتية بالنسبة "لتشارلز موريس" تعني كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللغة وخصائصها، أي الحوافز النفسية للمتكلمين وكذا النماذج الاجتماعية وموضوع الخطاب وغير ذلك،

في مقابل المظهر التركيبي الذي يعنى بالعلاقات التركيبية الشكلية، والمظهر الدلالي الذي يعنى بالعلاقات القائمة بين مدلول الوحدات اللغوية والواقع¹.

فقد صنف ثلاثة فروع أساسية في هذا العلم، وهي: علم النحو " syntax " وعرفه بأنه: "دراسة علاقة الرموز الشكلية بعضها ببعض"، وعلم الدلالة " semantics " بأنه: "دراسة علاقة الرموز بالأشياء التي تدل عليها"، والبراغماتية " pragmatics " بأنها: "دراسة علاقة الرموز بترجمتها الشفوية"². واعتبر أن كلمات التعجب مثل (oh)، أو (come here)، أو (good morning) تصدر عن مستخدم اللغة في ظروف خاصة ومحددة. هذه أمور مازالت تطرح حتى اليوم في مجال البراغماتية اللغوية. ويُشهد لـ "موريس" بأنه وسع البراغماتية وفقا لعلم الرموز السلوكي، واعتبر أن البراغماتية تتعامل مع المجالات الحيوية للرموز، أي مع الظواهر النفسية والاجتماعية والبيولوجية التي يتضمنها إصدار الرموز، وبالتالي فإنه وسعها إلى مجال أوسع يشمل ما يعرف الآن بعلم اللغة النفسي والاجتماعي إلى جانب مجالات أخرى... والملاحظ أنه نأى بها على أن تكون براغماتية لسانية محضة.

ويرى عالم المنطق "كارناب" " carnap 1891-1970 " أننا إن استبعدنا مستخدم اللغة واقتصرنا على تحليل التعابير ومعانيها، نكون حينئذ ضمن مجال الدلالة، وأما إذا ابتعدنا عن المعنى وحللنا العلاقات بين التعابير، فنحن في مجال النحو. ويضيف "بأن البراغماتية هي قاعدة كل اللسانيات... إذ يتأسس النحو الوصفي والدلالة على معارف براغماتية"³.

والملاحظ أن علماء البراغماتية يواجهون تحديا كبيرا؛ إذ عليهم أن يظهروا أن هناك ارتباطا لهذا المصطلح باللغويات؛ فمنهم من يرى أنها دراسة المبادئ التي تفسر سبب اعتبار مجموعة معينة من

¹. الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية؛ مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17، يناير 2006، ص9.

². Stephen C. Levinson, Pragmatics, Cambridge university press, 1983, p1.

³. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ت سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د.ت).

الجمل الشاذة، ومنهم من يرى أن البراغماتية "دراسة اللغة من جانب وظيفي، أي أنها تحاول تفسير مظاهر التركيب اللغوي بالإشارة إلى مؤثرات وأسباب غير لغوية"¹.

أ. أهمية التداولية:

أشرنا في ما سلف إلى أن التداولية أضحت حدثا لسانيا ومعرفيا خلال العقود الأخيرة، بعدما كانت إلى عقود قريبة تنعت بسلة مهملات اللسانيات، حيث ترمى كل القضايا اللسانية المربكة. وأصل هذه الصفة القدحية راجع إلى أنها تثير موضوعا شائكا لا سبيل إلى ضبطه وحصره، مداره حول أمزجة مستخدم الرمز واستعمالاتهم غير المتناهية للغة.²

غير أن هذا القدر لم يكن عائقا لتتبوأ التداولية مكانة متميزة. ومن الدلائل المؤشرة على ذلك تزايد عدد الدراسات والبحوث والندوات... التي اتخذت التداولية موضوعا لها. ويمكن تفسير ذلك من زوايا مختلفة، منها على سبيل الذكر تطور الدراسات النحوية والصوتية والمعجمية ابتداء من محاضرات "دي سوسير" "Ferdinand De Saussure 1857-1913"، وهو تطور أفضى إلى تعميق المعرفة بجملة من القضايا اللسانية التي تخص اللغة في مستوياتها المختلفة. غير أن الباحثين اللسانيين انتبهوا إلى أن ح بعض القضايا غير متوقف على دراسة اللغة باعتبارها نسقا فقط، وإنما هناك حاجة ماسة للاهتمام بقضايا أخرى لها صلة باستعمال النسق. وفي هذا الإطار اقترح "كاتز" "Jerrold J. Katz 1857-1913" و"فودر" "Jerome Alan Fodor 1935-2017" و"كاتز" و"بوسطال" "Paul Martin 1936" - ضمن ما يعرف بالدلالة التأويلية- نموذجا لسانيا توليديا يعطي للدلالة دورا نسقيا في تحليل اللغة.³ والتنصيب على دور الدلالة في تحليل التراكيب اللغوية اعتراف صريح بعجز

¹ Stephen C. Levinson, Pragmatics, Cambridge university press, 1983, p8.

² Leech Geoffrey, Principles of Pragmatics, Longman, USA, 1983, p 15.

³ عبد المجيد جحفة، مدخل على الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص60.

الأنحاء ذات المنزح التركيبي عن توليد الجمل، و فقط الجمل النحوية ذات المقبولية المثالية. ومن ثم الحاجة إلى إضافة مستويات أخرى للتحليل، كالمستوى الدلالي والمستوى التداولي.

كما تعززت مكانة التداولية بعدما انتهى مسعى التوليدية إلى أفق مسدود¹. فالناظر في برامج النحو التوليدي التحويلي المختلفة - بدءا من كتاب البنى التركيبية (1957)، مرورا بالنظرية المعيار (1965)، وبالنظرية المعيار الموسع، ثم نظرية الربط العملي، وصولا إلى البرنامج الأدنى- يلاحظ أن سقف التوقعات التي علقت على النحو التوليدي التحويلي في إيجاد آلة قادرة على توليد عدد غير متناه من الجمل اعتمادا على عدد متناه من القواعد كان عاليا. وبالفعل، أحدث "شومسكي" " Noam Chomsky 1928" ثورة في دراسة التراكيب، ومارس تأثيرا ثوريا في مجالين آخرين هما الفلسفة وعلم النفس، لكن ذلك لا يُخفي المأزق الذي آل إليه النحو التوليدي. إذ تبين أن المعرفة التي يمتلكها شخص ما عن معنى الجملة تستند في جزء كبير منها إلى معرفته بالطريقة التي تستعمل بها هذه الجمل لإطلاق الأحكام وطرح الأسئلة، وإلقاء الأوامر، وإجراء التحقيقات، ونثر الوعود، والتنبيه... وكذلك إلى معرفته بالطريقة التي يفهم بها هو نفسه الآخرين، حينما يستعملون الجمل لغايات مماثلة². وبالتالي فإن الملكة التي يحتاجها متكلم اللغة ليست تركيبية نحوية فقط، بل إنها ملكة موسوعية مركبة، تتشكل من مختلف المعارف اللغوية والثقافية...

ومما زاد التداولية أهمية وثراء انفتاحها على روافد معرفية مختلفة، فلسفية ولسانية وأثنوبولوجية ونفسية... ساهمت في إغناء هذا الحقل بجملة من المفاهيم والفرضيات. فتحوّلت التداولية بذلك إلى ملتقى العلوم والاختصاصات. ولئن كان لهذا التنوع أهميته وقيّمته، إلا أنه أضحى مثار قلق وحيرة، يدفعان الدارسين إلى التساؤل:

- هل التداولية اتجاه أم نظرية أم فلسفة أم كل هذا في وقت واحد؟

¹ Kleiber Georges, les différentes conceptions de la pragmatique, In l'information grammaticale, année 2000, vol 12, n° 12, p 3.

² Searl, J, Chomsky et la révolution linguistique, In la recherche, n° 32, V4, mars 1973, p 239.

- أهي اتجاه فلسفي أم لساني؟ أم هما معا؟
- أهي تداولية بصيغة المفرد أم تداولية بصيغة الجمع؟
- ما هي حدودها؟ وما هي فرضياتها؟

ب. روافد التداولية:

إن البحث في تاريخ المعرفة هو بحث في الصلات الممكنة أو الموجودة بين الحقول المعرفية. وقد أبان تاريخ العلم أن الأفكار والمعارف لا تولد من فراغ، بل هي سلسلة من التراكمات والمراجعات والتصويبات والامتدادات والتأثيرات... ويبدو ذلك جليا عندما نُعمل النظر في الأصول المرجعية للتداولية. فهي ملتقى جملة من الاختصاصات المعرفية كالفلسفة والسيمانيات والرياضيات والبحوث النفسية والاجتماعية والذهنية، وهي اختصاصات بقدر ما تؤسس لفروضها ومفاهيمها الخاصة، بقدر ما كانت رافدا خصبا للتداولية.

ومعنى ذلك أن اقتحام مجال التداولية يستدعي منا إعادة النظر في اعتقاد ترسخ لدى عموم الباحثين، مفاده أن "شارل موريس" كان أول من اهتم بالتداولية، عندما صرح منذ 1938 أنها تدل على "ذلك الفرع من السيميائيات الذي يُعنى بدراسة العلاقة بين العلامات ومستعملها". ولئن كان هذا القول صحيحا، فإنه لا يظهر لنا الحقيقة كاملة، كما أن التسليم به سيكون سببا في تجاهل جملة من الجهود الرائدة والمتقدمة على محاولة "شارل موريس"، منها على سبيل الذكر جهود "بيرس" الذي راح ضحية السلطة الرمزية لخطاب من يصفون أنفسهم بالنقاد من جهة، والتأويلات الخاطئة لبعض أفكاره من جهة أخرى.¹

¹ . Rethoré Joelle, la pragmatique linguistique, de peircea études littéraires, Vol 21, n° 3, 1989, p 49.

• الفلسفة التحليلية:

إن المتصفح للدراسات المؤرخة للعلم الحديث تستوقفه حقيقة ساطعة، تكشف طبيعة الطفرات المعرفية المهمة التي مر بها. فقد أبان "نيكولا كوبرنيك" "Nicolas Copernic 1473-1543" و"إسحاق نيوتن" "Isaac Newton 1642-1727" وغيرهما عن حقائق جديدة لم يكن بالإمكان قبولها أو التسليم بها خلال القرون السابقة. غير أن التحول الجذري في تاريخ العلم تزامن مع القرن العشرين. إذ أحرزت الرياضيات تقدما علميا كبيرا، بتطويرها للرفض الاستنباطي، وكذلك كان الحال مع الفيزياء؛ حينما عمق الإنسان معرفته مع الذرة واستطاع تفتيتها، واستغلال جزئياتها لإنتاج الطاقة. وفي سياق متصل استطاع "ألبرت أنشتين" "Albert Einstein 1879-1955" صياغة "النظرية النسبية العامة والخاصة" لحل جملة من القضايا العالقة في الهندسة الأقليدية، ولتفسير مجموعة من الظواهر، كحركة الموجودات في الكون وسرعة الضوء...مؤكدًا الحاجة إلى بعد رابع لتفسير الظواهر الفيزيائية بإضافة الزمان إلى الطول والعرض والارتفاع.

وفي مجال اللسانيات مثل صدور كتاب "دروس في اللسانيات العامة" حدثا معرفيا مهما، غير بشكل كبير ملامح البحث اللساني، حيث نص "دي سوسير" على ضرورة تحديد موضوع اللسانيات، وحصره في دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، كما دعا إلى تعديل منهجية الدراسة باعتماد مقارنة تزامنية تقطع مع المنظور التاريخي الذي تسيد مجال اللغة لقرون عديدة سواء مع نحاة "بورل رويال" "Grammaire de Port Royal" أو مع لسانيي القرن 18.

أما الفلسفة فلم تكن هي الأخرى بمنأى عن هذه الثورات العلمية، وظهر مصطلح معبر عن هذا المنزع الجديد هو "فلسفة العلم"1 الذي يجسر لعلاقة وثيقة بين العلم والفلسفة. فقد انتبه كثير من الرياضيين والمناطقية والفيزيائيين إلى أن حل جملة من القضايا الفلسفية العالقة من قبيل قضية المعنى والدلالة، وقضية اللغة وقدرتها على التعبير عن الفكر، وقضية علاقة اللغة بالعالم...يمكن أن يتحقق

1. يعني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة ع 264، الكويت، 2000، ص 72.

بإعادة النظر في منطق التفكير الفلسفي بذاته. لهذا اتخذ البحث في القضايا الفلسفية بعدا تجريبيا جديدا، يتعد عن منطق التأمل الفلسفي المجرد الذي ساد منذ قرون قديمة، وأصبح "الطابع العام للفلسفة المعاصرة هو الطابع التحليلي الواقعي، المتناسق مع روح العصر العلمية والرياضية، والذي يساير المكتشفات العلمية والتطورات الرياضية، من منطلق أن الفلسفة تعبير عن العصر الذي تنشأ فيه، كما أنها تعميق نظري للأحداث الخاصة به"¹. والصورة الصارخة لهذا المنزع الجديد تتمظهر مع الفلسفة التحليلية.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم التحليل شاع في حقل الفلسفة على نطاق واسع. ويمكن تلخيص اتجاهات هذا التحليل في ثلاثة، وهي:

- تحليل المفهوم أو الفكرة عن طريق تطبيقاتها الجزئية لمعرفة المبدأ الكامن وراءها كما هو واضح في المنهج الديالكتيكي عند "سقراط" وفي محاورات "أفلاطون" وأخلاق "أرسطو".
- تحليل المعرفة الإنسانية وردها إلى مجموعة من البسائط والعناصر الولية، وكذلك تحليل الوجود كما هو عند "ديكارت" و "لوك".
- تحليل الإطارات التي تصف فيها المعرفة الإنسانية (أي اللغة)، كما هو الحال عند فلاسفة كمبردج "ورسل" و "جماعة كارناب".

"إلا أن كلمة تحليل، وإن تكن قد فاتتها هذه الدقة في تحديد المعنى، فهي ليست خالية من كل تحديد من حيث انطباقها على عدة معان، إن تكن مختلفة فيما بينها بعض الاختلاف، فهي كذلك متشابهة تشابها يبرر جمعها تحت هذا الإسم"² وقد انفردت الفلسفة التحليلية بهذه الصفة، وأصبح التحليل عنوانا دالا عليها، لاستخدامها إياه بوصفه منهجا مقصودا لذاته، وليس مجرد غاية كما هو الحال في الفلسفات الأخرى.

¹. سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط 1، 1973، ص 73.

². عزمي إسلام، لودفينج فيتجنشتاين، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، ص 61.

ويمكن أن نعزو هذا الاهتمام بالتحليل إلى ما لاحظته الفلاسفة الإنجليز المحدثين من كون جملة من القضايا الفلسفية زائفة وغير صائبة. والسبب راجع إلى أن الفلاسفة لم يتحشموا عن تبسيط أسئلتهم، وتدقيقها قبل الشروع في الإجابة عنها. لذلك وجب الإقرار من منظور الفلاسفة التحليليين بأن الفلسفة لم تعد مهتمة أساساً باكتشاف الحقائق، وإنما تحليل الموجود منها، وتمييز الزائف من الصحيح. والسبيل إلى ذلك هو تحليل العبارات اللغوية والألفاظ المستعملة.

- مميزات الفلسفة التحليلية:

لئن كانت دلالة مفهوم التحليل متعددة، فإن اتجاهات الفلسفة التحليلية هي الأخرى متنوعة. ويذكر في هذا الصدد "محمد مهران رشوان" أنه لو شئنا أن نميز هذه الحركة الفلسفية على أنها "فلسفة التحليل" لما قدم لنا هذا الوصف الكثير عن طبيعتها، لأن لفظ "التحليل" عندهم يستخدم بكثرة، وبطرق مختلفة في مناسبات كثيرة على وجه يصبح معه هذا اللفظ في الغالب بلا معنى¹. غير أن ذلك لا يحول دون استنباط جملة من المميزات التي تؤلف الفلاسفة التحليليين، ومن هذه المميزات:2

- التركيز على اللغة: باعتبارها هدفاً من أهداف التحليل الفلسفي، وليست مجرد أداة.
- تفتيت القضايا إذ يفضلون أن يكونوا على معرفة تامة بالمسائل الصغيرة.
- الخاصية المعرفية: والمقصود منها الاتجاه نحو الكشف عن العالم الخارجي، وذلك عن طريق فحصه، لأجل اكتساب المعرفة.
- البين ذاتية: فهي تستخدم نوعاً من التعليل له معناه المشترك بين الذوات بالنظر إلى اللغة التي يتحقق فيها.

¹. محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 2، 1984، ص 153.

². نفسه، ص 154.

ومع هذا كله فإن اشتراك الفلاسفة التحليلين في المميزات السابقة لا يرادف تطابق أبحاثهم، ولا مجالات اهتمامهم.

ثانيا: علاقة اللسانيات بالتداولية

يرصد "محمد علي الخولي" الجوانب التي يقتضيها مصطلح اللسانيات، فيحصرها في الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمفرداتية والدلالية والنفسية والاجتماعية والمعجمية، وتدخل كلها فيما اصطلح عليه بعلم اللغة النظري، كما يتصل بعلم اللغة التطبيقي (ومن فروعها صناعة المعاجم وعلم اللغة الآلي وعلم اللغة النفسي وعلم اللغة الاجتماعي وتعليم اللغات والتقابل اللغوي وتحليل الأخطاء)، إلا أن هذا التعريف يخلو من أية إشارة إلى التداوليات اللسانية.

ويشير "عزت عياد" للمصطلح المذكور فيعرفه بأنه علم اللغويات ويضيف بأنه تبادل البحث العلمي للغة كظاهرة بشرية وكذلك اللغات المتعددة. وقد يكون البحث وصفيا للغويات أو تاريخيا أو تطور هذه اللغة عبر أزمنة مختلفة. كما أن هناك علم اللغة المقارن الذي يقوم على المقارنة بين عدة لغات مختلفة أو لغتين مختلفتين فقط من حيث بناؤها وتطورها.

1. السيميائيات والذرائعية " pragmatisme " ¹

يقترن الحديث عن السيميائيات بعلمين بارزين تركا بصمة واضحة في التاريخ الفكري الحديث، هما عالم اللغة السويسري "فرديناند دي سوسير" "Ferdinand De Saussure" (1857 - 1913)،

¹. هناك خلط بين اتجاهين متباينين هما التداولية " والذرائعية " ". فالاتجاه الأول مداره حول تحليل اللغة باعتبارها فعلا وقصدية وسياقا كلاميا، اما الاتجاه الثاني فعباره عن اتجاه فلسفي، انتشر في امريكا يسلم بأن المعيار الوحيد للحقيقة هو فعاليتها ومنفعتها.

والفيلسوف الأمريكي "شارل سندر بيرس" "Charles Sanders Peirce" (1839 - 1914). ورغم انشغالهما معا بموضوع العلامة، إلا أن تصور كل منهما مبين لتصور الآخر.

2. السيميائيات والتداولية:

لقد بشر "دي سوسير" بعلم أطلق عليه السيميولوجيا قائلا: "ونستطيع إذن أن نتصور علما يدرس حياة الرموز والدلالات المتداولة في الوسط المجتمعي. وهذا العلم يشكل جزءا من علم النفس المجتمعي، وما دام هذا العلم لم يوجد بعد فلا نستطيع أن نتنبأ بمصيره، غير أننا نصحح بأن له الحق في الوجود وقد تحدد موضوعه بصفة قبلية. وليس علم اللسان إلا جزءا من هذا العلم العام". ولئن كان العالم السويسري "دي سوسير" قد أقر بأحقية هذا العلم في الوجود، وجعله سبيلا لدراسة العلامة اللسانية، على أساس أن اللسان واقعة اجتماعية توجد بمعزل عن الفرد، فإن "بيرس" جعل السيميائيات علما شاملا موضوعه التجربة الإنسانية بصرف النظر عن كونها لسانية أم حركية أم لونية... وفي ذلك يقول: "لم يكن في وسعي أن أدرس أي شيء، سواء تعلق الأمر بالرياضيات أو الأخلاق أو الميتافيزيقا أو علم البصريات أو الكيمياء... إلا من زاوية سيميائية"¹ وقد كرس "بيرس" مجمل جهوده المعرفية لتشييد مفاهيم هذا العلم الجديد، وبيان مواضيعه وحدوده مستندا لمبادئ المنطق الذي يعتبر اسما آخر للسيميائيات؛ فإذا كانت غاية السيميائيات هي ضبط قواعد اشتغال العلامات، فإن أهداف المنطق تنحصر في ضبط قواعد التفكير البشري، وجعل أفكارنا واضحة²، إذ لا يمكن أن نحكم على وضوح الفكرة إلا بواسطة الفعل المغاير الذي تنتجه: إن نفس الفكرة، مهما كانت تظهر واضحة، هي فكرة غامضة إذا نتج عنها إعلان مغايران.

¹. سعيد بن كراد، السيميائيات النشأة والموضوع، عالم الفكر، م 35، ع 3، يناير مارس 2003، ص 30

². Charles. S. Peirce, how to make our ideas clear, In Polpular Sciences Monthly 12, jan 1878, p 302.

والناظر في المشروع الفكري والفلسفي الذي انخرط فيه "بيرس" يلاحظ أن السيميائيات أضحت بالنسبة له علما ضاربا بجذوره في طبيعة الإدراك الإنساني. وهو إدراك يتحدد من خلال مقولات "فانيروسكوبية" "catégories phaneroscopiques"، تمثلها ثلاث مستويات أساسية تحدد كيفية إدراك الذات لنفسها وللعالم والوجود. فإدراك الذات للعالم الخارجي يبدأ في عالم احتمالي مفصول عن أي سياق زماني ومكاني مجرد عن القصدية المحسوسة، يطلق عليه "بيرس" المقولة الأولى التي تتألف من كل الأحاسيس والمشاعر والنوعيات بعيدا عن تحققها. ثم ينتقل إدراك الذات للعالم الخارجي إلى مستوى ثان تبرز فيه الأشياء على هيئة متجسدة، أي أنها تدخل مرحلة التحقق الفعلي والوجود المادي في عالم الموجودات والتعيين مجسدا في (الها والآن)، وهذه هي المقولة الثانية. غير أنه تعيين هش وعرضي، لا يستقر على حال، لذلك لا بد من تصور مقولة ثالثة تبرر الرابط بين المقولة الأولى والثانية، وتمنحه بعدا قانونيا، إنها مقولة الرمزي ومقولة المفاهيم والوجود الاستقبالي. والإمساك بالبعد الرمزي للتجربة الإنسانية هو الكفيل بإنتاج المعرفة وتداولها واستهلاكها وإعادة إنتاجها.¹

هذا التصور الثلاثي للوجود والإدراك الإنساني انعكس على تمثل "بيرس" للعلامة التي اتخذت عنده طابعا ثلاثيا يتألف من ممثل يحيل على موضوع عبر مؤول؛ وهذه العناصر الثلاثة هي ما يطلق عليه "بيرس" "السيموز" "sémiosis" أو سيرورة التدليل²، أي النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها. والمراد بالممثل "représentamen" شيء ما يمثل ما بالنسبة لشخص بمظهر ما أو بإمكانية ما". ويعني ذلك أن الممثل يظهر بوصفه أداة أولى للتمثيل، تنتقل من خلاله إلى شيء آخر، سواء أكان هذا الشيء لغة أم لونا أم حركة... خلافا للتصور السوسيري للعلامة ذي الطابع اللساني الصرف. أما الموضوع "objet" فالمقصود به ما يحيل عليه الممثل، ويميز فيه "بيرس" بين نوعين: موضوع مباشر وهو المعرفة المباشرة المرتبطة بالعلامة، والمعطى الأولي البارز فيها، وموضوع غير مباشر

¹. سعيد بن كراد، المقال السابق، ص 31.

². جيرار دولودال بالتعاون مع جويل ريتوري، السيميائيات أو نظرية العلامات، ترجمة عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار، ط1، 2004، ص36.

وهو حصيلة لسيرورة سيميائية يطلق عليها "بيرس" "التجربة الضمنية"، ويتسم هذا الموضوع بالديناميكية، فهو متجدد، ويتعلق بما ينضاف إلى العلامة من إichاءات ودلالات ناتجة عن التجارب الضمنية التي تتسم بالتحدد والتغير والاختلاف، تبعا لما تحمله الذات المدركة أو الذوات تجاه الموضوع، في حين أن المؤول "interprétant" هو عنصر التوسط الإلزامي الذي يمنح العلامة وجودها وصحتها، إنه القانون الذي ينظم إحالة الممثل على الموضوع، وهو كذلك تكثيف للممارسات الإنسانية في أشكال إنسانية يتم تحيينها من خلال فعل العلامة، لذلك فهو مختلف عن الذي يقوم بالتأويل¹.

ولتبسيط دلالات المفاهيم السابقة يمكننا الوقوف عند كلمة "حمامة" التي تتألف من:

ممثل وهو عبارة عن متوالية صوتية مكونة من الصوامت التالية ح/م/ة نستعين بها من أجل استحضر صورة ذهنية غير ماثلة.

موضوع للتمثيل، بصرف النظر عن كونه واقعيًا (حمامة) أو متخيلا أو قابلا للتخيل (الغليان).

العالم الذهني الذي يربط رمزيا بين الموضوع وأداة التمثيل، ويسوغ العلاقة بينهما. وهو تسويغ ذو طابع اصطلاحي مبني على التواضع والاتفاق.

واعتمادا على ما سبق، يتضح أن البحث في العلامة اتخذ عند "بيرس" منحى أنطولوجيا وجوديا، مداره حول ماهية العلامة ووجودها وعلاقتها بالموجودات الأخرى، مستفيدا من الإرث "الكانطي" والفلسفة الظاهرية، وهو ما عبر عنه "جيرار دولودال" "Deledalle Gérard" قائلا: "إن ظاهرية "بيرس" لها ظاهرية كانط "Emmanuel Kant" وليس كظاهرة هوسرل "Edmund Husserl". ولكي يعطيها "بيرس" تمييزا عن ظاهرية "كانط" و"هيجل" "George Wilhelm Friedrich Hegel" فقد أعطاها اسم "الفانيروسكوب"، وفهمها وعرفها في حدود واقعيته دون استتباع سيكولوجي². غير أن

¹. سعيد بن كراد، مقال سابق، ص 36.

². جيرار دولودال، المرجع السابق، ص 24.

هذا القول لا يعبر عن مشروع "بيرس" في شموليته، على اعتبار أن البعد الأنطولوجي لا يمكن فصله عن بعد آخر ذي طبيعة تداولية يهتم بفاعلية العلامة ووظيفتها في الحياة البشرية¹. ويظهر هذا المنحى التداولي جليا عندما نتأمل سيرورة التدليل.

فالعلامة كيفما كان نوعها لا معنى لها في ذاتها، بل إن معناها يتحدد من خلال استعمالها ضمن سياق معين. فعندما نتحدث عن الميزان باعتباره رمزا محيلا على العدالة، فإن هذه الإحالة تظل مشروطة بالمواضعات الاجتماعية والأنساق الثقافية المهيمنة. بيد أن ذلك لا يرادف وجود قانون ثابت يجعل الميزان يشير في كل زمان ومكان إلى العدالة، لأن هذه الرابطة من الممكن أن تنحل في ظل مواضعات اجتماعية أخرى. ولتوضيح ذلك يكفي أن ننظر في رمزية الألوان كيف تختلف من مجتمع لآخر. ففي بعض الثقافات يعبر الناس عن حزنهم بارتداء اللون الأسود، بينما يرتدي آخرون الأبيض في ثقافات مختلفة. لذلك يؤكد "دولودال" أن فلسفة "بيرس" تختلف عن الثانوية والواحدية على أساس أن الفكر ليس ملكة عارفة خارج الشيء المراد معرفته، بل سيرورة في الأشياء، واستمرار مبدع معها. من هنا الطابع الجدلي والسياقي لهذه الفلسفة².

كما تتخذ السيرورة الدلالية بعدا تداوليا من خلال ربط التأويل بسياق الكلام. فعندما يتلفظ شخص ما بجملة من قبيل: "الجو غائم" فإن دلالات هذه الجملة تختلف باختلاف المؤولين. فهي تعني بالنسبة للمؤول المباشر المعنى المصرح به، وتكون غاية المتكلم في هذه الحالة إفادة المخاطب حكما تتضمنه الجملة، مما يجعلها ذات طابع إخباري. أما بالنسبة للمؤول الدينامي فسيتأثر باهتمامه لفظ "غائم"، ويتساءل في نفسه ما الذي جعل المتكلم يتلفظ بهذه الجملة؟ أيتوخى الإخبار أم أن له مقاصد أخرى؟ ربما يتوخى المتكلم الدعوة إلى المكوث في المنزل أو ربما الدعوة إلى حمل المظلة... بينما يشغل المؤول النهائي معارفه وخبراته المتعددة، ويسعى للربط بين الملفوظ وسياق التلفظ من أجل

¹. سيزا قاسم، السيميوطيقا حول بعض المفاهيم والأبعاد، مدخل إلى السيميوطيقا، مقالات ودراسات، إشراف سيزا قاسم ونصر

حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية، القاهرة، 1986، ص 16.

². جيرار دولودال، مرجع سابق، ص 21.

تحديد مقصد المتكلم، وبالتالي الخروج من دائرة التعميم إلى دائرة التحديد، حتى لا ينتهي التأويل إلى متاهة تأويلية.¹

أما التحلي الآخر للمنحى التداولي في سيميائيات "بيرس" فسنستشفه من خلال الإشارة إلى أن كل موضوع أو مفهوم لا دلالة له إلا في إطار ما يترتب عنها في آثار أو أفعال. في هذا الصدد نشير إلى أن "بيرس" كتب مقاليتين هامتين هما "تثبيت الاعتقاد" "The fixation of belief 1877"، و"منطق العلم: كيف نجعل أفكارنا واضحة" "1878 How to Make Our Ideas Clear"، أكد من خلالهما أن غاية الفكر هي إبداع عادات فعلية، وهذه العادات مقرونة بسؤالين هما: متى يتم الفعل؟ وكيف يتم الفعل؟ أما بالنسبة للسؤال الأول يكون الفعل مقرونا بالإدراك الإنساني، وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة.

3. الذرائعية والتداولية:

لقد عمق "بيرس" تصوره للعلاقة بين الموضوعات وآثارها من خلال بحثه "الذرائعية" "pragmatisme"، حيث نص على أن مفهوما ما يصبح ذا معنى إذا ترتبت عنه نتائج عملية. وعلى هذا الأساس يتحدد موضوع التداولية بالنسبة لـ "بيرس" في معرفة ما يبغى فعله، وكيف ننجز الفعل "what to do and how to". إنها يجب أن تسمح بإمكان قيام فعل معين في المستقبل، وتكوين استعداد للتصرف على هذا النحو نفسه في جميع الظروف المماثلة.²

من هذا المنظور يتضح جليا أن الذرائعية في تناولها لقضايا الفكر تتقاطع مع انشغالات التداولية. فالأفكار لا معنى لها إلا ضمن تجربة واقعية. وبالمثل فإن الكلام لا معنى له إلا ضمن سياق كلامي محدد، مشروط بجملته من الظروف.

¹. سعيد بن كراد، مقال سابق، ص 42.

². برتراند رسل، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، ع 365، يوليو 2009، ص 205

ولئن ظل الاعتقاد راسخا بأن وظيفة اللغة هي التواصل والإخبار والتعبير عما يجول في خاطرنا، فإن هذه الحقيقة سرعان ما انكشف زيفها لما اتضح أننا نوظف اللغة من أجل التأثير في الآخرين. وعليه فإننا عددا هائلا من الجمل المتداولة في أحاديثنا اليومية لا نتوخى منها وصف الواقع بل تغييره. مما يضفي على اللغة بعدا عمليا صرفا، وهو ما جسده "أوستين" في كتابه ذي العنوان الدال "Quand dire c'est faire" وللنظر في جملة من صنف "الجو حار" فهي تحليل في معناها القضوي إلى وصف واقعة، وبالتالي فإن المتكلم ظاهريا يخبر عن الجو بكونه حارا. لكن هذه الجملة في سياقات محددة قد تتضمن دعوة مبطنة لفتح النافذة، أو إشعال المكيف... كذلك الحال عندما نسمع في المحكمة جملة من جنس "فُتحت الجلسة" فهو قول يترتب عنه فعل، ما دامت الجلسة تفتح مباشرة بعد النطق بتلك الجملة. وهذا الطابع العملي للعبارة اللغوية هو ما جاءت الفلسفة الذرائعية لتوضيحه على اعتبار أن الوقائع تقاس بفائدتها العملية.

وإلى جانب ما أشرنا إليه يمكن أن نتبين - بوضوح - الطابع التجريبي العملي الذي وسم الفلسفة الذرائعية في تعاملها مع القضايا والموضوعات. فلا حديث عن الجوهر والعقل كما فعلت الفلسفة المثالية، وإنما عن المنفعة والعمل. وعلى النهج نفسه انصرفت التداولية إلى تحليل العبارات اللغوية، ومعرفة متضمنات القول، والاقضاء... من خلال وقائع لغوية ملموسة، نعاينها بشكل مستمر في خطاباتنا اليومية. ومن ثم تجاوزت التداولية السمة التجريدية التي انطبعت بها الجمل في النحو التوليدي التحويلي، لأن المهم بالنسبة للتداوليين ليس كيف نتج عددا لا متناهيا من العبارات اللغوية اعتمادا على عدد متناه من القواعد، وإنما ماذا نفعل حين نتكلم؟ ماذا نقول؟ لمن نقول؟ لماذا؟ في أي سياق؟ كيف نتجنب ما لا نريد قوله؟ هل من الجائز أن نكتفي بالمعنى الحرفي لجملة القول؟ وغيرها من الأسئلة.

المبحث الثاني: مباحث التداولية:

تطورت الدراسات اللسانية خلال القرن العشرين بشكل ملحوظ، وقدمت أبحاثاً رائدة للغة في مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية. والملاحظ أن هذا التطور لم يواكبه انشغال متعمق ببعض إشكاليات الاستعمال اللغوي، من قبيل أفعال الكلام والإحالة، والافتراض المسبق والأقوال المضمرّة، وبالتبعية ظلت النماذج والنظريات اللسانية المختلفة تتحاشى هذه الإشكاليات بذريعة أنها عvisية عن البحث، فحقها أن يطويها النسيان. بيد أن التحولات المعرفية التي ظهرت مع خمسينيات القرن العشرين، أظهرت أنه من المتعذر الاستمرار في تجاهل قضايا الاستعمال اللغوي، فجاءت محاضرات "أوستين" وأبحاث تلميذه "سول" لتعلن عهداً جديداً في الدراسات اللسانية، ولتؤرخ لثورة منهجية على النماذج اللسانية البنيوية، هي ثورة التداولية. وجدير بنا التوقف عند بعض ملامح هذه الثورة في بداياتها مع "بنفنيست" "Emile Benveniste" من خلال مبحث الإشارات، فنظرية أفعال الكلام مع "أوستين" و "سول".

أولاً: الإشارات:

ليست الإشارات مبحثاً مستحدثاً ولا مستجداً على حقل الدراسات اللغوية. إذ تناوله النحاة في مصنفات كثيرة، وانشغلوا بالتقعيد له، وبيان خصائصه الصرفية والتركيبية والدلالية، كما تناولها الفلاسفة في مؤلفاتهم، في علاقتها مع قضية الدلالة وإحالتها المرجعية، وانشغل بها اللسانيون أيضاً، محاولين كشف لأبعادها المختلفة. ورغم الأهمية النظرية التي تكتسبها الإشارات في النسيج اللغوي، إلا أنها لم تحظ بالعناية المطلوبة، مما يجعلنا أبعد عن فهم حدودها، كما نفتقد النمذجة الملائمة للتعبير الإشارية.¹

¹ Levinson Stephen, The handbook of pragmatics, edited by Laurence Horn and Gregory Ward, Blackwell publishing, 2004, p 97.

لأجل ذلك تضافرت الجهود اللسانية الرامية لتعميق الفهم بالقضايا التداولية التي يثيرها مبحث الإشارات، علما أن البداية الأولى للتداولية اللسانية ارتبطت بهذا المبحث. فقد أشار "شارل موريس" إلى أن البعد الثالث في دراسة "السيموزيس" يبحث العلاقة بين العلامات ومؤوليتها. وقد اتضح له في تلك الأثناء أن مجال التداولية لا يعدو العناية بضمائر الكلام، وظروف الزمان والمكان، ومختلف التعبيرات التي تستقي مرجعيتها من مقامات التواصل. وإذا كانت دراسة "موريس" لم تتوسع في تحليل المباحث، إلا أنها حازت سبق من جهة، ومهدت الطريق للدراسات اللسانية اللاحقة التي اهتمت بقضايا التلفظ والملفوظ من جهة أخرى.

1. الإشارات تعريفها وخصائصها:

تقترن الإشارات بفعل الإشارة إلى موضوع ما، وتنطبق على زمرة من الوحدات التركيبية والعوامل الدلالية غير المنفصلة عن سياقات إنتاج الملفوظ. ويفهم من ذلك أن الإشارات عبارة عن علامات محيلة غير منفصلة عن فعل التلفظ، وهو فعل يقتضي متلفظا يتوجه بخطابه إلى مخاطب، ضمن إطار زماني ومكاني محدد. لذلك لا يمكن إسناد دلالة ما إلى ملفوظ معين دون الوقوف عند الإشارات من جهة، وعند سياق إنتاج الملفوظ من جهة أخرى. فضمير المتكلم "أنا" يظل مجردا، مبهما، ما لم تقترن إ حالته بسياق معلوم لدى المتخاطبين، وكذلك الحال مع "الآن" و "هنا" وغيرهما. على هذا الأساس يمكن أن نستنتج أن للإشارات طابعا اصطلاحيا تواضعا، شأنها في ذلك شأن علامات اللسان الأخرى¹.

علاوة على ذلك تتصف الإشارات بصفة أخرى، تتمثل في كونها عاجزة عن الدلالة إلا إذا كانت على صلة بموضوع تمثله، سواء أكان هذا الموضوع واقعا أم خياليا. ومن ثم فإنها تضارع ما يسميه "بيرس" ب "المؤشر" "index". والمؤشر هو الحركة التي تدل بواسطتها على شيء (موضوع) ما: وفي

¹. جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص 27.

غياب الشيء، فإن المؤشر لا يشرك معه شيئا أبدا، أي أنه لا يدل على أي شيء، والحركة لا تصبح تحديدا إلا إذا كانت على علاقة حقيقية بالموضوع (الشيء). وقد قسمها الدارسون إلى ثلاث طبقات:

أ. الإشارات الشخصية: وقد تطرق النحاة القدامى لهذا الموضوع، من خلال باب الضمائر. وقد كشفوا أنها تقترب بالإشارة أي بالإحالة، وهي إحالة تربط السابق باللاحق، ولا تكون إلا إلى معروف ومذكور سلفا، لأن الإضمار يظل مقرونا بعلم المخاطب والمتكلم على حد سواء¹.

ب. الإشارات الزمانية: لقد شغل الزمن حيزا مهما في دراسة الإشارات، سواء تعلق الأمر بزمن الفعل أو بظروف الزمان. وهو ما نلمسه بعمق في كتاب "بنفنيست" "مسائل اللسانيات العامة"، وتخصيصا في مبحث "علاقات الزمان في الفعل الفرنسي" "les relations de temps dans le verbe français" إذ اتضح أن دلالة الزمن لا تتحدد بزمن الفعل أو الظرف في حد ذاته، وإنما بزمن التلفظ². معنى ذلك أننا عندما نعلم لظرف زمن مثل "أمس"، فإن دلالاته تتحدد بالزمن الذي أنتج فيه الملفوظ، أي أنه يدل على اليوم الذي سبق يوم إنتاج الملفوظ، وبالمثل فإن "غدا" تدل على اليوم الذي يلي زمن الحديث. ومن هذا المنظور يتضح أن الزمن بقدر ما يمثل عنصرا ملازما لكل لغة وحدث لغوي، بقدر ما تتصل دلالاته بالخطاب والاستعمال.

¹. السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص 116.

². Benveniste Emile, Problèmes de linguistique générale, T 1, Editions Gallimard, 1996, p 289.

ج. الإشارات المكانية: وينسحب ما قيل عن الإشارات الزمانية على نظيرتها المكانية. إذ أنها لا تحمل دلالتها في ذاتها، بل إن معناها يتحدد بسياق اللفظ. فإذا قلت "أنا جالس قرب المنزل" يظهر أن ظرف المكان "قرب المنزل" لا قيمة له إلا في علاقته بمكان التلفظ. وكذلك إذا غير المتكلم مكانه، وابتعد عن مكان جلوسه السابق، سيصبح ظرف المكان مجرداً من معناه. لذلك، فإن تحديد المرجعية المكانية تفرض على المخاطب مراعاة سياق إنتاج الخطاب.

2. نظرية أفعال الكلام: "Speech Acts theory"

أ. أوستن ونظرية أفعال الكلام:

ليس مبحث أفعال الكلام نظرية لسانية محضة، بقدر ما هو مقارنة فلسفية لبعض القضايا التي تثيرها اللغة الإنسانية. ويعود الفضل في تعميق الفهم بالأفعال الكلامية إلى الفيلسوف الإنجليزي "أوستن" "J.L.Austin" في كتابه "How to do things with words"، وهو عبارة عن 12 محاضرة ألقاها سنة 1955 بجامعة "هارفارد" حول فلسفة "ويليام جيمس" "The William James Lectures"، توخى منها وضع بعض أسس الفلسفة الإنجليزية موضع السؤال والتشكيك، خاصة ما يتعلق بوظيفة اللغة.

إذ سلم الفلاسفة والمناطقة لأمد طويل بأننا نستعمل اللغة لوصف الواقع، لذلك تظل الجمل خاضعة لمعيار الصدق والكذب، فتكون الجمل صادقة إذا طابقت الواقع، وكاذبة إذا خالفته.

ولا يختلف البلاغيون عما قدمه الفلاسفة. ففي مبحث الخبر والإنشاء لدى البلاغيين العرب مثلاً نلاحظ أن الخبر عندهم كلام يحتمل الصدق أو الكذب، ويصح أن يقال لصاحبه صادق أو كاذب¹.

¹. السكاكي، مفتاح العلوم، مصدر سابق، ص 164.

غير أن الواقع يظهر أن عددا كبيرا من الجمل لا تخضع لمعيار الصدق ولا الكذب، كما لا تتوخى وصف العالم، بقدر ما تطمح لتغييره. وقد أطلق "أوستين" على هذه الظاهرة "الإيهام الوصفي"، ويمكن أن تمثل عليه بالجمليتين التاليتين:

"أسمي هذه السفينة الملكة إليزابيث" "I name this ship the Queen elizabeth"

"أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي" "I do take this woman to be my lawful wedded wife"

فجمل من هذا النوع، لا تخضع لمعيار الصدق أو الكذب، كما لا تصف حقيقة ما، وإنما تنجز فعلا، هو فعل التسمية، وفعل قبول الزواج على الولاء. بناء على هذه الملاحظة ميز "أوستين" بين نوعين من الملفوظات:

- الملفوظات التقريرية الوصفية "constative sentences / descriptive" وتظل خاضعة لمعيار الصدق والكذب.
- الملفوظات الإنجازية "performative sentences" التي قيدها بمجموعة من الشروط.

ثانيا: تداوليات التأويل:

"يقع التأويل في جذر المعرفة الإنسانية سواء كانت علمية أو عامية، إنه يرتبط بعمليات الإدراك والفهم، أي أنه مرتبط بعلاقة الذات بموضوع المعرفة"¹ ولما كان عالم الإنسان كونا من العلامات والرموز، فإنه لن يصبح موضوعا للمعرفة والإدراك، إلا إذا أصبح موضوعا وآلية للتواصل بين أفراد المجتمع البشرية لأن المفاهيم المشكلة للمعرفة والإدراك تجد تحققها الفعلي والملموس في العنصر اللغوي، وكما يقول "غادامير" Hans-Georg Gadamer 1900-2002 "تعتبر بحق ذلك الوسط الكلي

¹. عبد السلام حيمر، حول مفهوم التأويل، مجلة الملتقى، ع65، 2003، ص33.

الذي تجري فيه عملية الفهم والإدراك، والتأويل هو نمط اشتغال تلك العملية¹. وعليه كان التأويل إذن، "نتاجا للثقافة وآلية لإنتاجها في الآن نفسه. إنه يمثل الترجمة الرمزية للوجود الواقعي من جهة، ومن جهة ثانية يمثل الانتقال من الوجود الرمزي للموضوعات المستقلة عن الذات، إلى وجود تعيد فيه الذات بناء الموضوعات المستقلة، على نحو تصبح معه هذه الموضوعات دالة وذات معنى"².

إن التأويل ممارسة يتوقف عليها بناء المعرفة الإنسانية؛ إذ لا تخلو منه أي ثقافة ولا ينفلت من أسرته أي تفكير؛ ذلك أن بناء المعرفة وإنتاج الثقافة وممارسة التفكير، كلها تقوم على التواصل، تواصل الذات مع الآخر، وتواصلها مع العالم بأشياءه ووقائعه. ولما كان التواصل يطرد على طريقة التجاوز في التدليل والاستدلال، فقد لزم التأويل كآلية لإقامة هذا التواصل، وبالتالي لبناء المعرفة.

وهكذا "فإن التأويل ليس ظاهرة مستحدثة في تاريخ المعرفة الإنسانية، إنما هو يمتد إلى زمن "أرسطو" القائل بأن في كل كلام تأويلا، ذلك أن اللغة تمثل تحريفا للأشياء والوقائع"³.

1. موضوع التأويل:

"إن الأصل في الحاجة إلى تأويل هو نفسه مبرر إجراء التأويل، وهذا يعزى إلى مقولتين أساسيتين: أولهما غرابة المعنى عن القيم السائدة، وثانيهما بث قيم جديدة بتأويل جديد، في محاولة لإرجاع الغرابة إلى الملاءمة"⁴. إنه مهما تعددت الخطابات وتنوعت أصنافها، فإنها لا بد أن ترجع إلى القسمة الثنائية المعروفة التي تجعل الكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز، فإن جاء الخطاب على الحقيقة، فإنه لا تقوم الحاجة معه إلى التأويل، لما فيه من وضوح الدلالة على المقصود منه. وإن كان في الخطاب من

¹. سيدي عمر عبود، التلقي والتأويل، مجلة علامات، العدد 10، 1998، ص 9.

². عبد السلام حيمر، المرجع نفسه، ص 33.

³. محمد بن عياد، التلقي والتأويل، مجلة علامات، العدد 10، 1980، ص 9.

⁴. محمد مفتاح، التلقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، 1994، ص 218.

المجاز ما ينم عما فيه من التجاوز في التدليل، فإنه يلزم عما فيه من ذلك لإخضاعه للتأويل حتى تتلاءم دلالاته مع المعقولة المطلوبة في التواصل.

أ. الخطابات المباشرة:

"إن الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده...، وضرب أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده"¹. ومدارات الخطابات المباشرة على الضرب الأول. ويمكن أن نلاحظ أن الخطابات المباشرة لا تمثل دخلا للتأويل.

الدرجة الصفر للمعنى: هناك من يذهب إلى إمكانية وجود تحديد خاص بالمعنى في هذا المستوى، باعتباره الدرجة الصفر في العلاقة مع السياقات الاصطناعية. "إن الدرجة الصفر يجب أن تكون مطابقة للدلالة في السياقات التقنية والعلمية"². "حيث تقتصر اللغة العلمية على مجرد الوظيفة التمثيلية الصرف"³. كأن تدل (1) دوما على نفس ما تدل عليه تقنيا. (2=1+1).

أما إذا قلنا: "عيونها مضيئة". فإذا افترضنا للعبارة سياقاً تقنياً، فربما يظهر ما فيها من عبثية في المعنى، لأننا طلبنا من كهربائي أو مهندس معماري، مثلاً، أن يحدد لنا الدلالة التقنية هنا، فإنه سيحدد معنى المفردة (مضيئة) على النحو التالي: "إن الشيء المضيء هو الذي ينبعث منه الضوء، وإن الفضاء المضيء هو الفضاء الذي يغمره الضوء. وهكذا لم يكن من باب الصدفة أن نجد في المعاجم هذا النوع من المداخل الأولية قبل ما تحتمله المفردات من مداخل مواكبة ذات دلالات ثانوية. ويمكن أن نمثل لذلك بالمفردة (أول) وطريقة ورودها في لسان العرب:

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، حققه وشرحه عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، 1985، ص 202.

² U. Eco, les limites de l'interprétation, trd par M. Bozaher, éd Bernard Grasset, Paris, 1972, p 153.

³ J. Molino, La connotation, (R.I.L.G) V7, éd (P.U.F), 1971, p 17.

"(أول): الأول الرجوع، آل الشيء يؤول أولا ومآلا: رجع، وأول إليه الشيء: رجعه، ألت من الشيء: ارتددت، وفي الحديث الشريف: "من صام الدهر فلا صام ولا آل": أي ولا رجع إلى خير... وأول الكلام وتأوله: دبّره وقدره، وأوله وتأوله: فسّره"¹.

فبالنسبة إلى المعنى في الدرجة الصفر، فإنه يتمثل في كل معنى مرتبط مباشرة بمكونات الجملة، ويمثل الحاصل الدائم والمباشر لتألف العناصر الجملة، وقد تكون هذه العناصر عبارة عن كلمات أو أجزاء كلمات كوحداث صرفية سابقة أو لاحقة، أو تكون وحدات تصويتية كتغنيم الاستفهام وتغنيم النداء وغيره. إن القول بأن الدلالة في هذا المستوى ترتبط ارتباطا مباشرا بالعناصر المكونة للجملة، يجعلنا نستحضر العلاقة القارة والثابتة الموجودة بين الكلمات والتمثلات الذهنية التي تقابلها بموجب التعاقدات المؤسسة للغة والمعروفة لدى مستعملي هذه اللغة، هذه العلاقة التي تؤطر المعارف المتعارف عليها تظل مودعة في الذاكرة المعجمية الجماعية ويتم استدعاؤها في أية لحظة.

وهنا يمكن أن نلاحظ كيف ينسحب مفهوم المعنى في الدرجة الصفر على ما انسحب عليه مفهوم المعنى المعجمي. وإلى هذه الحدود لا يمكن أن نتحدث عن الخطاب ولا عن قيام التأويل أو عدمه، لأن المعنى في هذه الحدود يكون في السياق الصفر، إن صح هذا، أو خارج السياق، وهو بالتالي خارج الاستعمال أو قبله، ولا حديث عن التأويل أو عدمه إلا بعد الاستعمال.

ب. الاستعمال على حد الحقيقة:

"الحقيقة في المفرد: كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح وقوعا لا يستند فيه إلى غيره...، وأما الجمل، فكل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها ما هو عليه في العقل وواقع موقعه، فهي

¹. ابن منظور، لسان العرب دار صادر، بيروت، مادة اول، الجزء 11.

حقيقة...¹ ولعل هذا ينسحب على ما انسحب عليه الضرب الأول من ثنائية (المعنى / معنى المعنى) عند عبد القاهر الجرجاني: تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر². إن ما جاء من التعابير على حد الحقيقة يؤخذ على ما هو عليه مباشرة، ولا يحتاج معه إلى أي جهد تداولي. وقد صنفت لمعاني هذه التعابير مصطلحات متعددة قد تتحد بهذا الاعتبار وإن اختلفت جهات وضعها والأخذ بها. ومن هذه المصطلحات نجد: المعنى الأول (le sens premier)، المعنى الصرف (le sens propre)، المعنى الظاهر (le sens explicite)، المعنى المباشر (le sens direct)، المعنى التقريبي (le sens dénoté)، المعنى الحرفي (le sens littéral).

2. التأويل الدلالي التداولي للملفوظات:

أ. طبيعة معنى الملفوظ:

حري بنا أن نعيد ما يتعارف عليه الداليون والتداوليون وهو أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، والتواصل الذي نعنيه هنا هو التواصل القصدى أو التقاصدي؛ أي الذي يتحقق فيه القصد من الجهتين "جهة المتكلم وجهة المخاطب"، فعائد الكلام لا يسمى متكلماً إلا إذا كان قاصداً التوجه بكلامه إلى المخاطب، ومتلقي الكلام لا يسمى مخاطباً إلا إذا كان قاصداً التوجه بسمعه إلى المتكلم، إذ السامع الذي يقع الكلام في سمعه لا يسمى مخاطباً.

¹. فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دراسة وتحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985، ص 173.

². عبد القاهر الجرجاني، المرجع نفسه، ص 203.

هذه هي السمة الأولى من السمات المحددة لطبيعة معنى الملفوظات وهي سمة التواصلية، إلا أن هذه التواصلية إذا كانت تعني من جانب المتكلم أن يكون للكلام معنى، فهي تعني من جانب المخاطب أن يكون لهذا الكلام قيمة أو قيم متعددة.

وكما هو معلوم أيضا فإن معنى الملفوظ لا يؤخذ مباشرة من المعاني المعجمية للمفردات التي تدخل في بنائه مضافا إليها المعنى التركيبي النحوي، بل إن معنى الملفوظ ذو طبيعة افتراضية (hypothétique) تكهنية، تفسيرية (explicative) بنائية (constructive)، لأن كل ما تستطيع معاني المفردات والنمط التركيبي النحوي أن تضعه بين يدي المتلقي وكذا الباحث هو دلالة الجملة بالمواصفات التي سبق ذكرها. وهذه الدلالة هي بمثابة مجموعة من التعليمات التي تساعد الباحث أو المخاطب على التكهن بمعنى ما لحالة تلفظية من الحالات التي توظف تلك الجملة، يقول "ديكرو" (Ducrot): "إن إعطاء معنى لملفوظ ما، يعني القيام بمحاولة تفسيرية، وهذه تعني البحث عن أسباب إنتاج ذلك الملفوظ... وكما نرى فإن تأويل الملفوظ له طابع افتراضي بالضرورة، إنه يعبر عن سلسلة من الاختيارات التي يقوم بها المؤول"¹.

وعن الطبيعة البنائية لهذا المعنى يقول أيضا: " يجب النظر إلى معنى الملفوظ على أنه عملية بناء يقوم بها الدلالي بهدف فهم الآثار الواقعية للملفوظ داخل مقامه"²

وإذا كان الملفوظ ذا طبيعة افتراضية فذلك لأن المعنى -على عكس دلالة الجملة التي هي ذات طبيعة تجريدية ثابتة - يتغير بتغير مقامات الخطاب، ومن ثم فإن ما يميز كل ملفوظ هو قبوله لقراءات متعددة.

كما أن ارتباط هذا المعنى بمقامات التخاطب يقودنا إلى استنتاج سمة أخرى من سمات هذا المعنى وهي سمة "الملاحظة"، ومفادها أن معنى الملفوظ ينتمي إلى عالم الوقائع القابلة للملاحظة، غير أن سمة الملاحظة لا تستلزم أن المعنى يشكل معطى جاهزا. يقول "ديكرو": "ينتمي المعنى -بالنسبة إلى

¹. O. Ducrot, les mots du discours, collection le sens commun, 1980, p 22.

². O. Ducrot le dire et le dit, édition de minuit, 1985, p 59.

اللساني- إلى ما يدخل مجال الملاحظة؛ أي مجال الوقائع... وهذا لا يستلزم أن ننظر إلى الواقعة الدلالية على أنها معطى يكشفه الحدس أو الشعور المباشر. إن المعنى هنا شأنه شأن كل واقعة علمية، معنى مبني بواسطة الفرضيات¹.

إن بين دلالة الجملة ومعنى الملفوظ يوجد اختلاف على مستوى الوضعية المنهجية لكل منهما، وكذا على مستوى طبيعة كل منهما.

أما على المستوى الأول فإن المعنى ينتمي في نظر اللساني إلى المجال الملاحظي؛ أي مجال الوقائع أما على مستوى طبيعة كل منهما فإن "ديكرو" يرفض النظر إلى معنى الملفوظ وكأنه محصلة علمية إضافة حسائية بين دلالة الجملة وما يحمله المقام من تلوينات دلالية حافة.

ب. العمل القولي، العمل اللاقولي، عمل تأثير بالقول (acte locutoire, illocutoire et

(perlocutoire

لقد دقق "أوستين" التصور الذي يكون بمقتضاه القول عملاً. وقد وقف على ثلاثة أعمال لغوية متميزة: أولها العمل "القولي" أو "العبارة"، وهو مجرد إصدار إشارات صوتية حسب سنن اللغة الداخلية. وثانيها العمل "اللاقولي" أو "اللاعبارة"، الذي يقوم على إتمام عمل آخر، عبر القول، غير مجرد التلفظ بمحتوى، وتحديدًا على القول صراحة (ولكن ليس دائماً) كيف يجب أن تؤوّل العبارة في سياق التلفظ بها. وثالثها "التأثير بالقول" أو "أثر العبارة"، ويتمثل في إحداث تأثيرات ونتائج في المخاطبين (مثل حثهم على القيام بفعل أو حملهم على الضحك أو الخوف أو الحزن). وإن كل القول في الواقع يستدعي، هذه المظاهر الثلاث للعمل اللغوي، وذلك بدرجات متنوعة.

¹ ibid, p 180.

ولا ينتج العمل اللاقولي مباشرة عن العمل القولي. إنها قيمة" (valeur) إضافية يكتسبها العمل القولي، من جراء إرادة المتكلم، لا بطريقة يستنتجها معناه الحرفي بشكل صارم. وإلى ذلك يمكن أن نفهم أن التأثير بالقول يقع من ناحية التقبل، ولذلك يعسر على الباث أن يتحكم فيه. فهو يقبع في مجال التأويل الذي يقوم به المتقبل، وحسب الأمثلة التي يقدمها "أوستين" فهي تتعلق أساسا بالتأثيرات الانفعالية أو غير المباشرة، والتي لم يقصدها الباث أو المرسل. وهكذا، فإن فعل "شد الأزرق" هو تأثير بالقول، بما أنه ليس محسوبا على موضوعات دقيقة، ولا يمكن أن ينجز بالنية فحسب. وحده المستقبل يقدر على التصريح بأنه تم شد أزرقه أو لم يتم ذلك. ولا يكفي أن أقول "أشد أزرك" حتى يتحقق شد الأزرق، في حين أنه يكفي أن أقول: "أعد"، حتى يتحقق عمل الوعد.

لقد كان اللاقول هو المظهر الأساسي الذي استرعى انتباه "أوستين"، ثم من بعده "سورل" وهو الذي طور المفهوم الإنشائي. وقد حاول كلاهما وضع تصنيف للأعمال اللاقولية، يطمح بالأحرى إلى أن يكون كونيا. ومع ذلك، فقد كان تأملهما يحتوي عيبا من حيث المبدأ، وهو ما وضحه تداوليون آخرون، ويتعلق الأمر بإيلاء أهمية كبرى للمقصد والباط، على حساب المسار التأويلي للتقبل، ضمن التفاعل التواصلية في كليته. بالإضافة إلى ذلك، فإنه يعسر أن يحصل انسجام بين الهدف الكوني وبين النسبية التي يستدعيها أخذ السياق بعين الاعتبار، بشكل أساسي، في عمل اللغة العادية.

وقد اقترح "أوستين" خمسة أقسام للأعمال اللاقولية، وهي:

1. الحكميات: تتمثل في الحكم؛ نحو التبرئة، الإدانة، الفهم، إصدار الأمر، الإحصاء، التوقع، التقويم، التصنيف، التشخيص، الوصف، التحليل،...
2. التنفيذيات: وتقضي بمتابعة أعمال مثل الطرد، العزل، التسمية، الاتهام، التوصية، الاستقالة، التوسل، الفتح أو الغلق... ويبدو هذا القسم فسيحا جدا. ويتأسس التمييز بين الأعمال المندرجة فيه وبين الأعمال المندرجة ضمن الصنف الأول، على كون التنفيذيات هي أعمال تنفيذ الحكم، ولكنها ليست في حد ذاتها حكميات.

3. الوعديات: إن الوعديات تلزم المتكلم بالقيام بتصريف بطريقة ما، مثل: "الوعد والموافقة والتعاقد والعزم والنية والقسم والإذن والتفضيل...". وإذا وجدت فروق في الدرجات بين "التعاقد" و "النية"، فالأمر يتعلق بأعمال من طبيعة واحدة، التي تحمل على القول الإنشائي الأولي "سأفعل".

4. السلوكيات: وهي أعمال تتفاعل مع أفعال الغير، نحو "الاعتذار والشكر والتهنئة والرأفة والنقد والتصفيق والترحيب والكره والتحريض...".

5. العرضيات: وهي أعمال تختص بالعرض مثل: "التأكيد والنفي والوصف والإصلاح والذكر والمحااجة والقول والتأويل والشهادة والنقل والتوضيح والتفسير والتدليل والإحالة...".

وتظل مقترحات "أوستين" مفتوحة ومرنة. غير أن المشكل الأساسي يتمثل في أنه لا يصنف أعمالا بل يصنف أفعالا. وقد بدا "سورل" واعيا بهذا المشكل، فاقترح في كتابه "المعنى والعبارة" معايير صريحة وخارجة عن العلامات اللغوية لوضع تصنيفية مقبولة للأعمال اللغوية:

1. الغاية من الفعل مثل: "الحصول من الفعل مثل: "الحصول على قيام (س) بشيء ما.

2. اتجاه المطابقة بين العلامات اللغوية والعالم الواقعي: وهو يرى أن بعض الأعمال اللغوية مثل: الإخبار ينحو نحو جعل القول مطابقا للكون الخارجي، بينما تنحو بعض الأعمال اللغوية الأخرى مثل الوعد، نحو جعل الكون مطابقا للقول.

3. الحال النفسية المعبر عنها، مثل: اليقين، الرغبة، الحسرة. فهذا المعيار ينعدم حتى عند انعدام الصدق.

4. كثافة الاستثمار في تقديم اللاقول، ف "أقترح" أقل قوة من "أمر".

5. وضعية المتخاطبين من جهة كون ذلك يؤثر في القوة القولية، كما الحال بالنسبة إلى منزلتها في التراتبية الاجتماعية، فقد يكون الملفوظ نفسه أمرا إذا كان من الأعلى إلى الأسفل والتماسا إذا كان من الأسفل إلى الأعلى.

6. الطريقة التي يرتبط بها القول بالمصالح الشخصية للمتخاطبين مثل التبجح (ويتعلق الأمر بالمتكلم) والتعزية (وتتعلق بالمخاطب)، بشكل ظاهر على كل حال...
7. العلاقة ببقية الخطاب، مثل "أرد، أستنتج، أعترض".
8. المحتوى القضوي (contenu propositionnel) المحدد بوسم صريح للقوة اللاقولية والاختلاف بين عرض وتوقع يقوم على أساس سمات تحدد الماضي والمستقبل.
9. إمكانية أو عدم إمكانية إنجاز العمل، بطريقة أخرى سوى اللغة (من ذلك أنه يمكننا أن نرتب بالكلام أو بوضع العناصر في صناديق، ويمكننا أن نحیی بكلمة أو بحركة، ولكن لا يمكننا أن نعد دون أن تكلم).
10. الحاجة أو عدم الحاجة إلى مؤسسة خارجة عن اللغة لإنجاز عمل لغوي (يمكننا أن نعد بشيء ما أو أن نخبر بأن السماء تمطر، دون اشتراط توفر مؤسسة ما).
11. وجود أو عدم وجود استعمال إنشائي للفعل اللاقولي (فعل "وعد" إنشائي بالضرورة، أما فعل "هدد" فلا يمكن أن يكون إنشائيا، بما أنني لا أنجز عمل التهديد بقولي "أهدد")
13. "أسلوب" إنجاز العمل اللغوي (إذ "أذاع" و "باح" لا يختلفان لا في الهدف ولا في المحتوى، بل في طريقة إنجاز العمل). وهذا المعيار الأخير قريب من معيار كثافة القول. ويقترّب من هذا أن الأسلوب لا يتعلق بالقوة اللاقولية، بل بالأحرى بنمط بث القول.
- وقد أنشا "سورل"، انطلاقا من هذه المعايير الاثني عشر، والتي يعتبر الثلاثة منها الأهم، تصنيفية للأعمال اللاقولية مقسما إياها إلى خمسة أقسام وهي:
1. الإخبارات التي يكون الهدف منها تطويع المتكلم حيث الكلمات تتطابق مع العالم وحيث الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة، ومثال ذلك: "سيأتي غدا".

2. الطلبات (أو الأوامر) يكون الهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمر ما، حيث يجب أن يطابق العالم الكلمات، وحيث تكون الحالة النفسية رغبة/إرادة، مثل قولك: "أخرج".
3. الوعديات حيث الهدف منها جعل المتكلم ملتزماً بإنجاز عمل وحيث يجب أن يطابق العالم الكلمات وحيث الحالة النفسية الواجبة هي صدق النية. وقد أخذ "سورل" هذا القسم عن "أوستين" والمثال عليه: "سوف آتي".
4. الإفصاحات (أو التعبيرات) حيث يكون الهدف هو التعبير عن الحالة النفسية بشرط أن يكون ثمة نية صادقة، وحيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات وحيث يسند المحتوى خاصية إما إلى المتكلم أو إلى المخاطب. وهذا يوافق إجمالاً "السلوكيات" في تصنيفية "أوستين" ومثال ذلك قولنا: "أعذرني".
5. التصريحات حيث يكون الهدف إحداث واقعة، وحيث التوافق بين الكلمات والعالم مباشر، دون تطابق، مع تحفظ المشروعاتية المؤسسية أو الاجتماعية، ومثال ذلك: "أعلن الحرب عليكم".

الباب الثاني

المفصل الأول

الاقتصاد المعرفي

أولاً: الاقتصاد المعرفي، ماهيته، سماته، فوائده

مقدمة:

مع دخول الألفية الثالثة ظهر ما يسمى بالثورة المعلوماتية التي أساسها توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وبعد ان كان رجال الاقتصاد يقسمون في الماضي النشاط الاقتصادي إلى ثلاثة قطاعات: الزراعة، الصناعة والخدمات، أضاف إليها علماء الاقتصاد والمعلوماتية في القرن الماضي قطاعاً رابعاً هو قطاع المعلومات، حيث أصبح إنتاج المعلومات وتجهيزها ومعالجتها نشاطاً اقتصادياً رئيسياً في كثير من الدول.

وهكذا فنحن نعيش في وقتنا الحاضر في عالم متغير، عالم يختلف كثيراً عما كان عليه من قبل، إنه عالم تقنية المعلومة المتقدمة والفائقة، العالم الذي يتجه نحو التكتلات المعلوماتية، ونحو شبكات الاتصال بعيدة المدى التي تقدم المعلومات وتتيح الاتصالات عبر سطح الكرة الأرضية.

إن اقتصاد المعرفة فرع جديد من فروع العلوم الاقتصادية قد ظهر في الآونة الأخيرة، فأصبح كلا فاعلا في ذاته، وأصبح أيضاً جزءاً فاعلاً في كل اقتصاد، في كل نشاط، وفي كل عمل، وعنصراً أساسياً في كل مشروع. لقد أفرز هذا الاقتصاد الجديد أوضاعاً غير مسبوقة، ووضع من التحديات ما جعل عملية إثبات القدرة، وتحقيق الذات التزاماً ومسؤولية تضامنية، وجعل من صوت العلم والمعرفة أساساً رئيساً للوصول إليه، ومن ثم أصبح القرار الإداري فيه له جوانب متعددة تحتاج إلى التعرف إليها عن قرب.

1. الاقتصاد المعرفي، تعريفه وتطوره:

لقد حولت ثورة المعلومات المعرفة إلى مورد أساسي من الموارد الاقتصادية وبذلك أصبح الاستثمار في مجال المعلومات والتقنية أحد عوامل الإنتاج، إذ انه يزيد في الانتاجية ويزيد من فرص العمل كما أن

المعرفة وتقنية المعلومات بدأت تحل محل رأس المال والطاقة كموارد قادرة على زيادة الثروة وهناك من يرى ان قطاع المعلومات الآن أصبح قاطرة التنمية للتطور الاقتصادي في مختلف دول العالم.

فالمعرفة في هذا العالم سلعة لا تستهلك بل تتنامى وتتوالد مع الاستهلاك (أي عند نقلها إلى الآخرين). ومع التكنولوجيا الرقمية يكون مبدأ الوفرة هو الشكل الأكثر بروزا في اقتصاد المعرفة. كما انها تشكل مكونا أساسيا في العملية الانتاجية كما في التسويق ومعنى ذلك ان هذا النوع من الاقتصاد غنما ينهض على اكتاف تكنولوجيا المعلومات والاتصال باعتبارها المنصة الأساسية التي ينطلق منها ذلك النوع.

إن العالم يشهد ثورة علمية وتكنولوجية كان لها بالغ الأثر في سلوك الأفراد وعلى تعاملهم مع المحيط الاجتماعي والتربوي والثقافي الذي يعيشون فيه، ولم يكن الوطن العربي بمعزل عن هذه التحولات.

أ. ماهية الاقتصاد المعرفي:

لقد اطلقت تسميات كثيرة للدلالة على اقتصاد المعرفة مثل اقتصاد المعلومات، واقتصاد الانترنت، والاقتصاد الرقمي، والاقتصاد الالكتروني والاقتصاد الشبكي. إن التكنولوجيا الرقمية تميل إلى استخدام المعلومات بالشكل القابل للتقييس والنقل والتوزيع والتحويل إلى قواعد بيانات وبرمجيات وهذا ما يمكن ان ينطبق على المعرفة الصريحة (القياسية التي يسهل خزنها واسترجاعها واستخدامها من خلال تكنولوجيا المعلومات) والضمنية (التي هي القسم الأكبر من الأفراد والشركات) التي تظل غير قابلة للنقل، لكنها قابلة للتقاسم والتعلم ويمثلها الأفراد وفرق العمل وعلاقاتهم وتفاعلاتهم السياقية. وعلى العموم فغن اقتصاد المعرفة يعني التحول في مركز الثقل من المواد الأولية والمعدات الرأسمالية إلى التركيز على المعلومات والمعرفة ومراكز البحث.

ويجدد "باركلين" اقتصاد المعرفة بأنه دراسة وفهم عملية تراكم المعرفة وحوافز الأفراد لاكتشاف، والحصول على ما يعرفه الآخرون. كما يُعرّف أيضا بأنه الاقتصاد الذي ينشئ الثروة من خلال عمليات وخدمات المعرفة (الإنشاء، التحسين، التقاسم، التطبيق والاستخدام للمعرفة بأشكالها) في القطاعات المختلفة بالاعتماد على الأصول البشرية واللاملموسة ووفق خصائص وقواعد جديدة. كما يُعرّف أيضا بأنه الاقتصاد المبني أساسا على انتاج ونشر واستخدام المعرفة والمعلومات.

ويعرف أيضا "بأنه الاقتصاد الذي يدور حول الحصول على المعرفة وتوظيفها، وابتكارها بهدف تحسين نوعية الحياة بمجالاتها كافة من خلال الإفادة من خدمة معلوماتية ثرية، وتطبيقات تكنولوجية متطورة، واستخدام العقل البشري كرأس المال، وتوظيف البحث العلمي لإحداث مجموعة من التغيرات الاستراتيجية في طبيعة المحيط الاقتصادي وتنظيمه ليصبح أكثر استجابة وانسجاما مع تحديات العولمة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وعالمية المعرفة والتنمية المستدامة"¹.

ب. تطور مفهوم الاقتصاد المعرفي:

"لقد ترافق صعود اقتصاد المعرفة مع تطور كبير في التكنولوجيا الرقمية والشبكية والاتصالات عن بعد والموجة الخلوية مما أعطى لاقتصاد المعرفة خصائص إضافية جعلت المعرفة العامل والوسع والأعمق تأثيرا في تكوين القاعدة الاقتصادية الجديدة وإنشاء الثروة والقيمة والميزة التنافسية على المستوى العلمي (الكلي) والشركة (الجزئي)"².

ولعل هذا الترافق بين المعرفة (بخصائصها الملائمة كمحتوى أثري غير مادي وقابل للتحويل إلى رقميات) وهذه التكنولوجيات يمثل الاقتران الفريد الأول في تاريخ التطور الاقتصادي.

¹. خلف فليح حسن، اقتصاد المعرفة، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2007، ص 25.

². درويش محمد جمال، التخطيط للمجتمع المعلوماتي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 2000 ص 125.

لقد رافقت المعرفة الإنسان منذ أن تفتح وعيه، وارتقت معه منذ مستوياته البدائية مرافقة لاتساع مداركه وتعمقها حتى وصلت إلى ذروتها الحالية، غير أن الجديد اليوم هم تأثيرها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وفي نمط حياة الإنسان عموماً، وذلك بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية. فقد شهد الربع الخير من القرن العشرين أعظم تغيير في حياة البشرية ألا وهو التحول الثالث بعد ظهور الزراعة والصناعة، وتمثل في ثورة العلوم والتقانة الفائقة التطور في المجالات الإلكترونية. ويتطلب الانتقال إلى الاقتصاد العالمي المبني على المعرفة تطوير المجتمع الحالي بتحقيق مستويات عالية من المعرفة والكفاية والمهارة التكنولوجية والحاسوبية.

"إن مجتمعاتنا ما تزال في بدايات حقبة الدخول إلى المرحلة الصناعية بمفهومها المتطور، في حين ان الدول المتطورة أصبحت في قلب ما يسمى (مرحلة ما بعد الصناعة)، ولعل هذا ما ضاعف الهوة بيننا وزادها عمقا واتساعا. إذ ان ثقافة التغيير والتأقلم مع متطلبات التطور المعرفي لم تصل إلى مجتمعاتنا بعد. وإنما في حاجة ماسة إلى إعادة النظر في مقاربتنا لمفهوم (المعرفة) وفي حقيقة وعينا ل (اقتصاد المعرفة) من اجل احتلال موقع مناسب بين الأمم"¹.

ج. أهمية الاقتصاد المعرفي:

إن الاقتصاد المعرفي اقتصاد جديد ذو طابع خاص، لا يستمد خصوصيته فقط من اعتبارات الحاضر أو الماضي ولكن من خصوصية دوره الذي سيقوم به في المستقبل، ولما كانت اقتصاديات المعرفة اقتصاديات تتعلق وترتبط باقتصاديات العرض والطلب، وبالتوازنات الحركية لآليات السوق، وبالذواضع المحرزة للتطوير والابتكار، وهي مرتبطة بالاكتشافات الحديثة وبظروف التحسين والتحديد، ولما كانت المعرفة أكثر المور أهمية وحيوية لمشروعات والشركات، بل وللشخص كافة، فغنها ترتبط بشكل أو

¹. سليمان جمال داود، اقتصاد المعرفة، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص 48.

بآخر بالمنظومات التفاعلية التي تجعل في التطوير مهمة مستديمة، وعملا مستمرا في للمشاريع والشركات...

ومن ثم فإن هذه المنظومات هي التي تشكل طبيعة المعرفة أو محتواها ومضمونها، وتجعل منها الأساس الذي يعتمد عليه أي متخذ قرار، عند اتخاذ قرار سواء كان ذلك في مدخلاتها أو نظام تشغيلها أو مخرجاتها. ومن ثم فغن جودة المنظومة وسلامة عملها يصبح امرا في غاية الأهمية وعلى جانب كبير من الخطورة. فمن يمتلك المعرفة في الوقت المناسب وبالجودة المناسبة يمتلك القدرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب لانتهاز الفرص واستغلال الموقف والحصول على ما يرغب فيه وبشكل فوري وسريع.

لقد أصبح الاقتصاد المعرفي واقعا حيا ملموسا، وإن كان يبدو للبعض مازال تحت التكوين والتشكيل، ثم إنه ينمو بمعدلات سريعة ويتفوق على الاقتصادات الأخرى وبشكل غير مسبوق، سواء من الناحية الكمية المحسوسة، أو من الناحية النوعية الملموسة.

إن المعرفة كيان متكامل شديد الوضوح أساسه الإدراك الواعي بمحزر المعرفة وموضوعها، وهي قاسم مشترك في كل نشاط، وفي كل عمل، وفي كل وظيفة، وفي هذا كله يتشكل اقتصاد قائم بذاته، وبالتالي يشكل الاقتصاد المعرفي، اقتصادا متكاملا في ذاته، وهو اقتصاد يمتاز بالتداخل في الاقتصادات الأخرى. كما أنه يستند في احد أكثر أركانه حيوية وأهمية إلى مراكز دعم القرار وأنظمتها التفاعلية التي لم يعد هناك نشاط اقتصادي أو غير اقتصادي يستهدف النجاح او يشد النمو والتوسع من دون ان يستند إلى نظم دعم القرار.

وبذلك فإن الاقتصاد المعرفي يحقق الفوائد التالية:

- يرغم المؤسسات على التجديد والابتكار.
- يقوم على نشر المعرفة وتوظيفها وانتاجها.

- يحقق التبادل إلكترونيا.
- يعطي المستهلك ثقة أكبر وخيارات اوسع.
- يحسّن مجال ونوعية الخدمات الضرورية.

ومع ذلك فغن اقتصادنا العربي البكر مازال لم يطرق بابه الكثير، ولم يحاولوا سير أغواره او التعرف على ابعاده وجوانبه رغم أنها من أكثر الأمور أهمية وحيوية في حياتنا، ورغم ذلك فقد تجاهلها البعض بل وفر منها الكثير.

إن المعرفة مصدر رئيس للقوة في الحاضر، وكذلك في المستقبل، إن لم تكن هي المصدر الوحيد لها في المستقبل، ومن ثم فإنها محور صناعات المستقبل، وسوف يحرص الجميع للحصول عليها إن عاجلا ام آجلا.

ثانيا: مواصفات وفوائد عصر الاقتصاد المعرفي:

1. مواصفات الاقتصاد المعرفي

يتسم عصر الاقتصاد المعرفي بما يلي:

- ظهور الاهتمام بالمعلومات من حيث أرشفتها وتصنيفها وتخزينها وتوفيرها بطريقة ميسرة وعملية للباحثين ولتلبية احتياجات متغيرة.
- أصبحت الموارد البشرية المؤهلة هي المطلوبة في عصر الاقتصاد المعرفي، وتكون هذه الموارد متمتعة بالمؤهلات العالية والمهارات المتعددة مما يجعلها قادرة على المشاركة في الاقتصاد المعرفي بصورة فعالة.

- ظهرت في هذا العصر وسائل أكثر كفاية لتخزين المعلومات والبيانات وإيجاد مداخل سريعة للوصول إليها بأقل جهد في التكنولوجيا الحديثة وذلك باعتماد نظام معلوماتي واتصالي فائق السرعة والدقة.
- يشكل الكتاب وبنوك المعلومات بأشكالها التقليدية الورقية والإلكترونية المنهل الأساسي للتعامل مع المعلومات والمعارف وتناولها.
- تطور الكتاب في هذا العصر لا سيما الكتاب الإلكتروني بلغات أهمها اللغة الإنجليزية أدى إلى حدوث كم هائل من حجم المعلومات مما جعل الإنسان الذي لا يدرك مهارات الاختصار يضيع في بحور من المعلومات.
- ظهور الاهتمام بالمعلومات من حيث أرشفتها وتصنيفها وتخزينها بديناميكية للباحثين، وظهرت مواصفات جديدة لهذا العصر إذ تحولت معظم السلع إلى الشكل الرقمي من الكتب والأبحاث والتصاميم والإحصائيات والدراسات عبر شبكة الانترنت.
- إنه عصر كبرى شركات الإعلام والاتصال، وعصر توسيع النشاط على المستوى العالمي، إذ من بين 20 مؤسسة صناعية نجد 6 متخصصة في الإلكترونيات الدقيقة والمعلوماتية.
- الكفاءات العاملة متخصصة، تستطيع تحسن التبادل بين المؤسسات، وقضاء شؤون المواطنين عن بعد في وق قصير وبتكاليف أقل.

2. فوائد الاقتصاد المعرفي:

إن التنافس العالمي والشبكة العنكبوتية وتحرير التجارة وزيادة إمكانية الوصول للمعلومات، كلها عوامل وضعت في أيدي المستهلكين. وبعد ان كان قطاع العمال هم أصحاب القرار، صار المستهلكون هم أصحاب القرار والرأي. وأصبح قطاع العمال مطالباً بأكثر من مجرد ابتكار منتجات جديدة لإرضاء الزبائن، وهذا يتطلب معرفة دقيقة بكل مستهلك، وبكل أساليب الحفاظ على قيادة منافسة.

"وتعتمد قدرة أي بلد في الاستفادة من اقتصاد المعرفة على مدى السرعة التي يمكن من خلالها أن يتحول إلى اقتصاد تعليمي، والتعليم لا يعني فقط استخدام التكنولوجيا الحديثة للوصول إلى المعرفة الشاملة، وإنما أيضا استخدامها للاتصال مع الآخرين من اجل الإبداع"¹.

وقد عدد الباحثون مجموعة من فوائد اقتصاد المعرفة فيما يلي:

- تحقيق تغيرات وتحسينات أساسية وضرورية للمستقبل.
- يعطي المستهلك ثقة اكبر وخيارات أوسع.
- يحقق التبادل إلكترونيا.
- يغير الوظائف القديمة ويستحدث وظائف جديدة.
- يقوم على نشر المعرفة وتوظيفها ونتاجها.
- له اثر في تحديد النمو والانتاج والتوظيف والمهارات.

ثالثا: مجالات الاقتصاد في مجتمع المعرفة:

يتميز الاقتصاد في مجتمع المعرفة بانه اقتصاد قائم على المعرفة، ويتسم ب:

- العالمية: فهو اتجاه متنام نحو آفاق التكامل العالمي، ففي 2001 خضعت حوالي 90% من قوة العمل العالمية لقوانين اقتصاد عالمي مفتوح بفضل ثورة المعلومات والاتصالات.
- التبعر: أتاحت تكنولوجيا المعلومات حق الاطلاع للجميع، وبدأت سلطة الشركات المركزية الصناعية تنهار لصالح شركات التجزئة (أي تم التحول من سياسة الاحتكار إلى اتجاه جديد في عصر المعلومات نحو التبعر والتنوع).

¹. عليان رجي مطفي، اقتصاد المعلومات، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 83.

- التنوع: أي من الانتاج الكثيف لمنتجات ذات نمط موحد إلى انتاج متنوع و (مشخص) بمعنى أنها تلبي رغبات شخص معين أو شريحة محددة.
- الانفتاح: بعد ان كان الانتاج يتم ضمن أقسام الشركة بما في ذلك توزيع المنتج وتسويقه، أصبح الانتاج في عصر المعلومات هو نتاج تعاون خمس شركات أو أكثر ضمن إطار شراكة تتخطى الحدود والعقلية المركزية الضيقة.
- دورة حياة المنتج: (من الدورة الطويلة إلى التسارع التنافسي) يتميز الاقتصاد القائم على المعرفة بأنه يعتمد على الصناعة المتنوعة التي تسعى إلى تخفيض عمر المنتج او دورة حياة المنتج حيث ان رد فعل الزبون (متلقي الخدمة) فور توزيع المنتج الجديد يؤخذ بالاعتبار، ويسرع لإنجاز تصميم جديد يلبي رغبات الزبائن ويتفادى السلبيات الموجودة في المنتج الأول.
- نظام جديد لنقل الثروة بسرعة شبكات الاتصال؛ أي انتقال القوة المالية من يد إلى يد بسرعات متزايدة لما تتيحه من جمع أو توزيع للأموال في ثوان معدودة.
- النقد الإلكتروني يحل محل النقد الورقي، إذ تتجاوز التغيرات البنوية المعاصرة مجرد ظهور المعلومات كمصدر جديد للثروة والسلطة.
- المعرفة أهم مصدر الثروة والسلطة في عصر المعلومات: فقد كان رأس المال يشتري المعرفة العلمية ويوظفها في خطوطه الانتاجية، اما اليوم فالمعرفة العلمية (المعلومات) تحولت إلى مصدر الثروة.

"وتتوقف قيمة المعرفة على قدر أهميتها ومغزاها وحدثتها، فاستخدامها هو الذي يعطيها القيمة ونظام المعلومات المكون لها، ونتائجها هي التي تساعد المستفيدين على اتخاذ الخيارات وحل المشاكل. وتتمثل القيمة المضافة في قيمة مصادر المعلومات (الخدمات والتكنولوجيا والنظم) التي

تخزن وتجهز وتحلل وتنقل الرسائل، وهذه المصادر هي التي تزيد من احتمالات عثور المستفيد على رسائل معينة مفيدة في مخرجات النظام"¹.

تعد المعلومات كمورد اقتصادي سلعة ذات قيمة في الاستهلاك والانتاج، فهي سلعة لأنها تنتج وتعبأ في اوعية متفق عليها وتسوق وتستخدم، ولكنها لا تفنى بل تنمو وتتجدد على عكس السلع المادية، لأن المعرفة سلعة تتميز بالأهمية والاستراتيجية، وتداولها لا يعني التنازل عنها ولكنها تبقى موجودة حتى بعد الاستهلاك.

وعلى ذلك فالمعرفة تمثل رأسمال وموردا أساسيا في أي نشاط بشري مهما كانت طبيعته ومجالاته، فيتحول الفرد بهذه المعلومات إلى عامل أكثر تأثيرا في الانتاجية. أما الفرد الذي لا يمتلك هذه المعرفة فهو فرد يعاني من الأمية المعلوماتية المتمثلة في افتقاره للمعرفة التي تسمح له بتأدية عمله بكفاية في المجتمع التكنولوجي. وترتبط هذه الأمية المعلوماتية بأمية التعامل مع الحواسيب والتقنيات الحديثة، وتقنية التعامل مع مصادر المعلومات وتحقيق الاستثمار الأمثل لها.

- المتطلبات الأساسية لمجتمع الاقتصاد المعرفي:

- العمل على خلق رأس المال البشري وتطويره بنوعية عالية وقدرات كبيرة من خلال التدريب والتطوير.
- على الدولة خلق المناخ المناسب للمعرفة، فالمعرفة ليست ترفا فكريا بل أصبحت أهم عنصر من عناصر الانتاج.
- تعزيز قدرات الأفراد البحثية، وبناء مهارات الاكتشاف وحل المشكلات واتخاذ القرار والفهم والتحليل والاستنباط والربط.

¹. سليمان جمال داود، اقتصاد المعرفة، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص50.

- إعادة هيكلة الإنفاق العام وترشيده وإجراء زيادة في الإنفاق المخصص لتعزيز المعرفة.
- إدراك المستثمرين والشركات أهمية الاقتصاد المعرفي وأثره في تطوير التكنولوجيا التي هي أساس تقدم المجتمع.
- توفير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتمكين الأفراد من الوصول إليها في أي وقت ومكان بسهولة ويسر، وتخصيص جزء مهم من استثماراتها للبحث العلمي والابتكار.
- في الاقتصاد الجديد والمتغيرات الكبيرة لا بد من إيجاد وسيلة لتخفيف القلق الذي يعانيه المواطنون. والوسيلة الأكثر تأثيراً ونفعاً هي المعرفة. إذن لا بد من إنشاء جسور فكرية بين ركائز المعرفة.
- مساهمة الشركات في تأسيس اقتصاد المعرفة بحيث تحول جزءاً من التعليم والتدريب لموظفيها.

رابعا: المعلوماتية والاقتصاد المعرفي:

يشهد العالم اليم تحولات عميقة ومتسارعة نتيجة التطور الهائل لتكنولوجيا المعلومات والاتصال والنمو المطرد لحجم المعلومات أدى إلى بروز أنماط جديدة من المعلومات والنشاطات في مختلف المجالات. وتشمل التقنيات الجديدة للمعلومات والاتصالات كل النشاطات البشرية بمجرد ان يكون الإنسان عند استخدامها قادرا على ممارسة عدد ضخم من الأنشطة، مثل:

- أنشطة الاتصال (الدعاية والترويج).
- أنشطة الإبداع الفني.
- الأنشطة التجارية والمبادلات المالية.

"وأصبح إنسان العصر الحاضر في وضع من الصعب عليه ان يعيش بمعزل عن هذه الوسائل التي انتشرت تطبيقاتها في جميع المجالات وعلى المستويات كافة.

وقد تحول العالم إلى قرية إلكترونية صغيرة تتمحور حول تقنياتها أجهزة المعلوماتية أجهزة المعلوماتية وشبكات الاتصال. ودخل الحاسوب والمعلوماتية قطاعات كثيرة، فضلا عن اقتحامها للبيوت¹.

ومن الحقائق المسلم بها اليوم أن الاتصال والمعلومات هي من أهم الركائز لتحقيق تنمية متوازنة للمجتمع والاقتصاد الثقافي. هذا مع أنها ستؤثر بعمق في الفئات المختلفة للمجتمع وخصوصا في الأجيال القادمة، مما سيؤدي إلى بروز إنسان جديد سيكون مجال تقاسمه لأفكار الآخرين واشتراكه معهم في أنماط سلوكية وثقافية واحدة تكون أوسع وأكبر. علما بأن تأثير المجتمع الاتصالي الجديد في جميع أنحاء العالم يختلف من مكان إلى آخر تبعا لمستوى التنمية والتصورات الخاصة للمستقبل. ومع ذلك يتحتم على المجتمعات مواجهة عوامة الاتصال بجميع مخاطراته الثقافية.

إن للمعلومات دورا مهما ومتزايدا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية. فنحن نعيش في مجتمع متغير، عالم يختلف كثيرا عما كان عليه من قبل، إنه عالم تقنية المعلومات المتطورة والفائقة، العالم الذي يتجه نحو التكتلات المعلوماتية، ونحو شبكات الاتصال بعيدة المدى التي تقدم المعلومات وتتيح الاتصالات عبر الكرة الأرضية كلها.

إن تعميم استخدام تكنولوجيا المعلومات وشبكاتها والتطور التكنولوجي السريع واتساع السوق بشكل هائل، زيادة على عوامة تدفق المعلومات قد حولت مجتمعا إلى اقتصاديات مبنية على المعرفة والتكنولوجيا، وفرضت شروطا تنافسية جديدة. وبناء على ذلك علينا المشاركة في الاقتصاد العالمي الجديد الذي يعتمد على ثورة المعلوماتية من خلال توفير البيئة والتقنيات التي تسمح بنمو صناعة المعلومات وازدهارها.

¹. مجتمع المعرفة، ترجمة منى عبد الظاهر، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 171، مارس 2002.

وتمثل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فرصاً ثمينة للإسراع بجهود التنمية المجتمعية الشاملة والمستدامة بالوطن العربي، والذي لا تنقصه الموارد التي تؤهله لتبوء موقع متميز له على الخريطة الجيو-معلوماتية ورأب الفجوة الرقمية التي تفصل بين العالم العربي والعالم الغربي.

1. الاقتصاد المعرفي في مجتمع المعلومات:

بدأ الاقتصاد المعرفي يتشكل في فترة الثمانينات من القرن العشرين نتيجة تداخل وتشابك مجموعة من الظواهر ومن أبرزها: ثورة الاتصالات، وانفجار المعلومات، وانتشار تقنية المعلومات. إذ يعد الاقتصاد المعرفي المحرك الأساسي الذي دفع بالمجتمع إلى مجتمع جديد يدعى مجتمع المعلومات. "ويحظى الاقتصاد المعرفي باهتمام متزايد من قبل الدول النامية. ويعود ذلك للتطور الهائل وما يحدثه من انعكاسات على الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء. والمعلومات مورد أساس في أي نشاط بشري، والمعلومات عنصر مهم في علاقة الإنسان بمجتمعه وعلاقة المجتمعات بعضها ببعض في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية"¹.

ومن هنا وجب وضع استراتيجية تقوم على محاور عدة للإفادة من الاقتصاد المعرفي لكي يتضمن مزيداً من الاستثمار في البيئة التحتية في المعلومات والاتصالات، ومن هذه المحاور:

- إيجاد تحتية معلوماتية ديناميكية قادرة على تسهيل الاتصالات وإعداد ونشر المعلومات.
- إيجاد نظام اقتصادي يحفز على الاستخدام الكفء للمعرفة.
- إيجاد نظام ابتكاري يتميز بالكفاية داخل المؤسسات ومراكز البحث والجامعات والمراكز الاستشارية.

¹. نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للتنمية في غربي آسيا، العدد. الأمم المتحدة، نيويورك، 2004.

2. أهمية تكنولوجيا المعلومات:

تعد تكنولوجيا المعلومات فرصة للتطور الاقتصادي والمعرفي الذي يتيح تشكيل قاعدة راسخة للازدهار الاقتصادي. ولكن مما لا شك فيه أن هذه الثورة تخلق في الوقت نفسه معضلة إضافية تضاف إلى مشكلات الاقتصاد العالمي الرئيسية. ونعني بها تفاقم رأس المال واليد العاملة. إن اقتصاد المعرفة هو نظام اقتصادي يمثل فيه العلم الكيفي والنوعي عنصر الإنتاج الأساسي والقوة الدافعة الرئيسية لتكوين الثروة. ويختلف هذا الاقتصاد عن الاقتصادات الأخرى في بعض الأوجه المهمة مثل عدم إمكانية نقل ملكية المعرفة من طرف إلى طرف آخر وذلك على عكس عناصر الإنتاج الأخرى. ويتسم اقتصاد المعرفة بأنه اقتصاد وفرة أكثر من كونه اقتصاد ندرة. فطالما أن المعرفة متاحة في أي مكان في العالم وانها أصبحت تشكل عنصر الإنتاج الأساسي فذلك يعني أن هناك اقتصادا عالميا يهيمن على الاقتصاد الوطني.

"وتكمن أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في أنها تطلق قدرة الناس ومعرفتهم الخلاقة. وينظر علم الاقتصاد الحديث إلى تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات على أنها ليست قائدة للتغيير بل أدوات لإطلاق الإمكانيات الإبداعية والمعرفة المتجسدة في الناس"¹. "ففي دراسة عام 1995 حول أثر شركة "مايكروسوفت" مصنعة البرامج في الاقتصاد المحلي، بينت هذه الدراسة أن كل وظيفة في شركة "مايكروسوفت" هيأت 6 من الوظائف من الوظائف الجديدة في ولاية واشنطن، بينما هيأت كل وظيفة في شركة "بوينغ" 3 من الوظائف الجديدة"².

¹. آلفين توفلر و هايدي توفلر، الثروة واقتصاد المعرفة، ت محمد زياد يحيى كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، 2008، ص132.

². Paul, D, and Foray, D, An introduction to the economy of the knowledge society, International Social Science Journal; Paris, UNESCO, P9, 21.

3. المفاتيح المحركة لاقتصاد المعرفة:

- العولمة: لم يعد سوق العمل محصورا داخل بلد بعينه إذ أصبحت الدول الأوروبية قوة اقتصادية هائلة عندما تجاوزت حدودها السياسية والجغرافية من خلال الاتحاد الاقتصادي الأوروبي، ويتوقع منهم أنهم سيتفوقون على بعض الاقتصاديات التقليدية. لقد أوجد الانترنت اقتصادا بلا حدود وصارت الدول الناهضة تتحدى العمالقة الصناعيين في الوصول إلى المستهلكين، ولم يقتصر التغيير في حدود المكان فقط بل الزمان أيضا وأصبح العمل مستمرا على مدار الساعة، وهذا يعني ضرورة وجود منحنى عمل عالمي لدى الشركات والمؤسسات لكي تستطيع المنافسة والبقاء.
- تجارة إلكترونية: "ويشمل ذلك التجارة الإلكترونية التي تتم بين الشركات نفسها أو بينها وبين المستهلكين كلما تزايد عدد الانترنت أصبحت التجارة الإلكترونية أكثر رسوخا. والقضية في هذه الحالة انه غدا بدأت الخدمات، وعمليات البيع التقليدية تستبدل بالتجارة الإلكترونية فإن ذلك سيغير مجالات التوظيف في المواقع التقليدية إلى الوظائف التي تتطلب مهارات في تقنية المعلومات والتي تتطلب قدرات في مستويات عقلية عليا. فالتجارة الإلكترونية جزء من توجهات محلية ودولية تتطلب مهارات أكثر في مكان العمل"¹.
- من انتاج السلع إلى انتاج الخدمات: إن ما أحدثته المعلوماتية والمعرفة هو الانتقال المتصاعد للنشاط الاقتصادي في التركيز على السلع إلى صناعة الخدمات في كل تجلياتها. وإذا ما أخذنا الدول السابقة في هذا النموذج نلاحظ ارتفاع الطلب على الخدمات من طرف الوحدات الانتاجية ومن طرف المستهلك على حد سواء. ويتجلى ذلك من خلال اعتمادها على البرامج الإعلامية على طول سلسلة الانتاج.

¹. الهاشمي عبد الرحمن والعزاوي، فائزة محمد، المنهج والاقتصاد المعرفي، دار المسيرة، للنشر، عمان، الأردن، 2007، ص 126.

• مستوى المؤهلات المطلوبة: تركز الدول المتقدمة على الكفايات بوصفها العامل الحاسم في المنافسة والدواء الذي يطيل البقاء في عالم الاقتصاد منها على سبيل المثال صناعة الطباعة، الآليات والإعلاميات، البرمجة وصناعة الخدمات. إذ ارتفع المستوى التكويني لليد العاملة عما كان عليه في السنوات السابقة كما ونوعا.

إن سرعة التطور التكنولوجي وانتشاره الواسع يحتم ضرورة تحسين الكفايات، وطلبك لأن العمل في مؤسسة واحدة طول الحياة المهنية أصبح ناذرا من جهة، ومن جهة اخرى لأن الاحتياجات المهنية أصبحت محدودة جدا مما يستلزم مرونة أكبر وكفاية أسهل.

ولعل إدخال تكنولوجيا جديدة في كثير من القطاعات ولد تغييرا في بعض الوظائف والمهام فأصبحت الوظيفة الإدارية لا تنحصر في بعض الأعمال الكلاسيكية، بل تجاوزت إلى دور جديد يتمثل في التوجيه وبلورة أفكار جديدة تسهم في تحسين الكفايات.

"لا شك ان اقتصادا عالميا يرتبط بشكل معقد بتقنيات المعلومات والاتصالات، سيجعل معظم المهن اليوم وفي المستقبل مرتبطة بشكل مباشر بهذه التقنيات. فالطلاقة التقنية تعمي أكثر من مجرد ثقافة تقنية. ومشكلة قلة عدد القوة العاملة ذات الطلاقة التقنية مشكلة حقيقية وقائمة، وقد بينت الجمعية الأمريكية لتقنية المعلومات أن % 10 من الوظائف التي تتطلب مهارات في تقنية المعلومات لا يتك شغلها"¹.

والمعروف ان قطاع المعلومات هو القطاع الذي يشمل كل الأنشطة المعلوماتية في الاقتصاد فضلا عن السلع المطلوبة بهذه الأنشطة. وبناء عليه، يمكن تقسيم المعلومات إلى ثلاثة أقسام رئيسة على النحو التالي:

أ. صناعة المحتوى المعلوماتي: "information content" وتتم هذه الصناعة عن طريق المؤسسات في القطاعين العام والخاص التي تنتج الملكية الفكرية عن طريق الكتاب وغيرهم...وهؤلاء يبيعون عملهم للناشرين والموزعين وشركات الانتاج التي تأخذ الملكية

¹. عليان، رجي مطفي، اقتصاد المعلومات، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 65.

الفكرية الخام وتجهزها بطرق مختلفة وتوزعها ثم تباعها لمستهلكي المعلومات. أيضا يوجد جزء خاص لا علاقة له بالإبداع وإنما يهتم بجمع المعلومات مثل جمع العمال المرجعية وقواعد البيانات والسلاسل الإحصائية.

ب. صناعة تسليم (بث المعلومات) "information delivery" إن القسم الثاني من صناعة المعلومات إنشاء وإدارة شركات الاتصال والبث التي من خلالها يتم توصيل المعلومات. وهي تشمل شركات الاتصالات بعيدة المدى والشركات التي تدير شبكات التلفاز ومؤسسات تتولى هذه القنوات وغيرها لتوزع المحتوى المعلوماتي مثل بائعي الكتب والمكتبات.

ج. صناعة معالجة المعلومات: "information processing". وتقوم هذه الصناعة على منتجي الأجهزة ومنتجي البرمجيات، ويتولى منتجو الأجهزة تصميم صناعة وتسويق الحواسيب وتجهيزات الاتصالات بعيدة المدى والإلكترونيات. وهم يتركزون في الولايات المتحدة وشرق آسيا. أما فئة منتجي البرمجيات فهي تقدم نظم التشغيل مثل "ويندوز" و"لينكس". وقد بلغ حجم صناعة المعلومات في أوروبا والولايات المتحدة بلايين الدولارات في سنة 1994.

وهكذا أصبح إنتاج المعلومات وجمعها وتجهيزها نشاطا اقتصاديا كبيرا للعديد من دول العالم. ففي الولايات المتحدة وفي دول أخرى نجد أن المعلومة سلعة استهلاكية كبيرة ومن المدخلات في إنتاج المنتجات والخدمات.

الفصل الثاني

الشبكة الدلالية

أولاً: الشبكة الدلالية امتداد للشبكة التقليدية :

مقدمة :

لم يعد أمر معالجة اللغة العربية أمراً ثانوياً كما كان يعتقد كثير من الباحثين إلى وقت قريب بل إن أهمية هذا الحقل باتت تطرق وبالإلحاح _ باب الاجتهاد وتشحذ الهمم خاصة فيما تعلق بمعالجة اللغة العربية بالحاسوب ، بل هو أمر في غاية الأهمية وعليه يعتمد مستقبل اللغة ومكانة الشعوب الناطقة باللغة العربية في الحضارة الحالية بل ومستقبلهم الاقتصادي والعلمي .

لقد تبين وبعد فترة وجيزة من اختراع الحواسيب، أنه بإمكان هذه الآلات القيام بعمليات غير الحسابات الرياضية التي كانت معهودة لها في البداية. وأن السرعة التي يستغرقها الحاسوب في عملياته يمكن استعمالها في الكثير من المهام غير الرياضية البحتة. فقد تبين أن هناك إمكانية لاتخاذ القرارات وأن هناك إمكانية لتمييز الأنماط وأن هناك إمكانية للتعرف على الصور. وقد تكونت حقول جديدة تقع تحت مظلة الذكاء الاصطناعي كان من أهمها حقل معالجة اللغات الطبيعية. وقد تطور هذا الحقل ليشمل العديد من جوانب معالجة اللغات الطبيعية من نواحي الكتابة وتصحيح الإملاء والقواعد النحوية والصرف والمعاني والترجمة.

لم يتوقف مشروع بناء قواعد الشبكة الدلالية عن التطور منذ الإعلان عنه من طرف صاحبه تيم برنر لي Tim Berner Lee . وللدلالة على ذلك سوف نأخذ محرك البحث (غوغل) google الذي يستعمله العام والخاص والذي يصفه البعض بالأداة الطيبة العمياء في يد صاحبها لا لشيء إلا لأنه يجوب أطراف الشبكة متقصياً ومتقنياً آثار هاته المعلومة أو تلك ثم يقوم باستحضارها بعد أن وجدها منظمة ومفهرسة داخل قاعدة معطياته. إلا أنه وبالرغم من جميع التعديلات التي أجريت عليه إلا أنه لا يزال يكشف عن حقيقة طبيعته وكثرة نقائصه، كونه لا يستعمل أو يكاد إلا النزر اليسير من الذكاء في استقصاء المعلومات وإيجادها وإحضارها.

ويكفي أن تكون الكلمة تشبه في قليل أو كثير كلمة أخرى فسوف نحصل على زخم من المعلومات قد لا تمت بصلة إلى المبتغى في قليل أو كثير. وقد يعود المستنطق للشبكة بعد ساعات من العناء بجفني حنين بعد أن أهدر جهده ووقته..

ولو أننا أردنا أن نضع (غوغل) أو أي محرك بحث آخر على المحك فإنه يكفينا أن نعطيه جملة بسيطة في تركيبها ثم نطلب منه أن يبحث لنا عن محتواها في الشبكة؛ ولنمثل على ذلك بالجملة التالية: 'أنوي القيام بشعائر العمرة وأبحث عن نزل قرب الحرم المكي'. أما بالنسبة لبني البشر فإن هذه الجملة تبدو بسيطة غاية البساطة وأما بالنسبة لمحرك البحث فهي من الصعوبة بمكان ذلك لأنها لا تفقه في ذلك قولاً. والسبب في ذلك بسيط وهو أن محركات البحث بأكملها وببساطة لا تعرف كيف تبحث عن هذه الكلمات أو لنقل عن معاني هذه الكلمات، اللهم إلا إذا استعملنا طرقاً معقدة وملتوية قد تكون صعبة على المبتدئين وحتى على المتمرسين؛ أو لنقل قد لا يتسنى ذلك إلا لمن اكتسب دربة ومعرفة بجبايا الشبكة.

ويبقى السؤال مطروحاً: لماذا لم يفهم محرك البحث العبارة المطلوبة؟ وهل ذلك من الذكاء؟ وإن كان الأمر كذلك، فكيف يمكن أن نجعله ذكياً؟ أو بعبارة أوضح كيف يمكن أن ندخل تلك الميزات الذكية على محركات البحث حتى يتسنى لها فهم مثل تلك العبارات اللامتناهية التي تشبه بعضها بعضاً. ويبقى السؤال الأخير: ما هي محركات البحث التي كثيراً ما يتغنى بها الباحثون؟

لقد أعطى تيم لنفسه عهداً بأن يتناول هذا الموضوع بالدراسة و أن يحاول حل العقدة، وذلك من خلال إدخال عناصر دلالية على المعطيات في الشبكة من جهة، ومن جهة أخرى تمكين كل الحواسيب وكل البرامج التي تمت بعلاقة إلى الشبكة بأن تتحاور معاً من أجل الإجابة على تساؤل كالذي طرحناه من قبل.

ومن هذا المنطلق يتبين لنا أن الحواسيب في يوم من الأيام سوف تكون قادرة على أن تتحاور فيما بينها بشكل أدق وأوفى، والأهم من ذلك أن تكون قادرة على التفاهم. وبالإضافة إلى ذلك فإنه على

هذه الحواسيب أن تكون قادرة على الاتفاق على وصف هذا المقال أو ذاك...وبعبارة أوضح يريد الباحثون أن يصلوا إلى أن الحواسيب تستطيع أن تعرف وتفهم بأننا نبحث عن نزل للإقامة وليس كيف نبي نزلا أو نبتاع نزلا أو غير ذلك...

1. شبكة الانترنت التقليدية:

يعتزم أبو الإنترنت Tim Berner Lee أن يجعل الإبحار في الويب أكثر سهولة وذلك تفاديا لضيق الوقت وتسهيلا للوصول إلى المعلومات.

تحمل شبكة الانترنت اليوم في طياتها ما يزيد عن ثلاثة بلايين صفحة، ولذلك فإنه من الصعب جدا أن نجد ما نحن بصدد البحث عنه. وإذا عدنا إلى تاريخ الإنترنت فإننا نجد أنها أحدثت ثورة في عالم البحث ونشر وإيجاد المعلومات ولكن ومع ذلك فإن البحث فيه وتقفي المعلومات لا يكون بالشيء السهل إذ يتطلب منا ساعات وساعات قبالة الحاسوب لاستنطاق محركات البحث وقد نعود بخفي حنين.

لقد دفعتنا الإنترنت إلى تعلم قواعد جديدة. فالباحث عن أقرب نقطة بيع للحصول على تذكرة طائرة إلى دمشق مثلا، عليه أن يختار وينقح الكلمات ليجعل منها كلمات مفتاحيه من أجل تشكيل مجموعة كلمات قد توصله إلى ما يبحث عنه. وربما بعد دقائق أو وقت قصير يضطر الباحث إلى انتقاء نتائج البحث مرة أخرى ثم زيارة بعض المواقع على الويب إلى أن يحصل على مجموعة من المعلومات قد تمكنه من أخذ نظرة عما يريد الوصول إليه. ولكن ذلك لا يتأتى إلا بعد أن يقضي وقتا طويلا قد ينفذ فيه صبره وتخار قواه.

ويبقى هذا العائق الكبير بالنسبة لصاحب المشروع (تيم) نقطة سوداء؛ إذ نجد أنفسنا كمن يبحث عن إبرة في كومة من تبن. ومن أجل تجاوز هذا العائق وتسهيل مهمة الباحث والباحثين أسس هذا العالم منذ أربع سنين مشروعاً حيويًا مفاده جعل الويب أكثر ذكاءً مما هو عليه.

وإذا علمنا أن الرجل هو صاحب مشروع شبكة الإنترنت أصلاً وهو صاحب الثلاثة (3w) World wide web فإنه يعمل دون هوادة من أجل توسيع الشبكة لا من أجل إنشاء شبكة دلالية مقابلة، والتي سماها : الشبكة الدلالية Web sémantique¹.

وقبل الولوج في كنه الشبكة الدلالية لا نرى عيباً في إطلالة سريعة على كيفية عمل محركات البحث في شبكة الإنترنت.

إن الطريقة التي تعمل بها محركات البحث اليوم مرتبطة جداً بتاريخ الإنترنت. ففي 1989 رأى مشروع الإنترنت النور لأول مرة وبطريقة رسمية في مخبر المجلس الأوروبي للبحث النووي (CERN) بسويسرا. حينها كان تيم برنر لي يبحث عن طريقه سهلة للوصول إلى الوثائق العلمية المخزنة في حاسوبات مختلف الجامعات والمعاهد التي كانت تهتم بالبحث وتشارك مع المجلس الأوروبي آنذاك. وقد عمد تيم مع مساعده Robert cabillian إلى إرساء نظامين أساسيين في الشبكة وهما :

Html : hypertext markup language et http : Hypertext transfert protocol

هذان النظامان يمكنان مختلف الباحثين في الشبكة من الإبحار وذلك بواسطة منظومة من "العقد" و"العلاقات" liens et Nœuds تربط الوثائق الموضوعية في الشبكة بعضها ببعض لتشكل شبكة عظيمة. ومن هنا جاءت التسمية "شبكة الويب الواسع".

واليوم نجد من السهل جداً أن نحصل على أية معلومة من أي نقطة من العالم بالضغط على زر الفأرة.

¹ . Tim Berner Lee "weaving the web". Harper, San Fransisco. 1999. page 31

وحتى نكون أكثر وضوحاً فإن لغة HTML تعني أساساً بكل ما يتعلق بتقديم المعلومات أو المعطيات كأن تشير إلى أن هذا العنوان مثلاً يجب أن يكتب بالبند العريض، وهذه الصورة تكون على اليمين وهذه الفقرة يجب أن تكتب بطريقة جذابة وغير ذلك. إذن فلا عجب إذا قلنا بأن HTML لا يبلغنا شيئاً عن محتوى الوثائق. حتى أن البعض يقول إن الشبكة لا تعرف ما تحتويه صفحاتها تماماً كالحمار يحمل أسفاراً. وهذا ما يسعى لتغييره (تيم).

يتصور تيم الشبكة الدلالية المستقبلية في شكل يمكن التكنولوجيات الحديثة من تنظيم وهيكل الوثائق إضافة إلى وجوب التعرف على هويتها ومحتواها.

وهذا لا يتأتى إلا باستعمال لغة ¹Extensible Markup language XML. هذه اللغة تمكن أصحاب W3C من ابتكار طرق خاصة في تنظيم الوثائق. والملاحظ أنه منذ سنة أو يزيد قد بدأت أجراس XML تدق في أرجاء الشبكة إذ أن XML بدأ يعوض شيئاً فشيئاً الأنماط أو الأشكال التي كانت تعطي بها المعلومات سابقاً، وذلك من أجل تبادل المعلومات بين أصحاب البرامج. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نلاحظ أن تكنولوجيات جديدة قد ظهرت للوجود وهي Resource RDF Description Frame work وهو ما سيعطي معنى للطريقة التي ينظم بها XML الوثائق في الشبكة.

ومحاكاة للغة الطبيعية البشرية، تحاول RDF أن تعطي معانٍ للوثائق تماماً كما هو الحال في اللغة البشرية مثلاً إذ ليست (فعل + فاعل + مفعول به) فقط، وإنما العلاقة التي تربط هذه العناصر الثلاثة فعندما نقول. كتب الصحافي مقالاً للجريدة فإن هذه الجملة تمثل على الشكل التالي : (أكتب) (الصحافي > الكاتب <)، (مقالاً)، (> مصدر <).

والإشكال المطروح الآن هو كثيراً من مهندسي صفحات الشبكة يستعملون طرقاً مختلفة ومتعددة لتصميم هذه الصفحات للتعبير عن المفاهيم التي تدور في أذهانهم. وهنا يكمن العمل الجبار والطموح المنوط بالشبكة الدلالية. إذ إننا نجد بالمقابل أن كثيراً من العلماء يتفانون في تصميم قواميس

¹ www.xml.com

عملاقة تسمى (أنطولوجيا). هاته الأنطولوجيات هي التي سوف تبوب تقابل الكلمات في الويب بطريقة تمكننا أن نعرف أن الكلمة الفلانية (أ) المكتوبة باللغة الفلانية في الشبكة تؤدي نفس مفهوم الكلمة الفلانية (ب) في الشبكة والمكتوبة بلغة مغايرة.

2. الشبكة الدلالية وجه آخر للأنترنيت الكلاسيكية:

أ. تنظيم وهيكل الشبكة الدلالية

يعتقد Karl Dubost وهو أحد مصممي الشبكة الدلالية¹ وعضو في هيئة W3C أن المسؤولين على هذا المشروع الضخم عليهم أن يسمحوا للحواسيب بالولوج إلى عالم المعطيات لتنظيمها وتنظيرها بل وهيكلتها بطريقة خاصة تسمح لمحررات البحث بفهم ومعرفة وتقفي هذه المعطيات. ولتوضيح فكرته يعطي المثال التالي: قد نصادف على صفحة من الصفحات صورة تمثل اللوحة الشهيرة "الجوكندا". إن الإنسان وهو ينظر إلى هذه اللوحة سيعرف مباشرة وعلى التو أن الأمر يتعلق باللوحة الشهيرة "الجوكندا" لصاحبها "ليونارد دافنشي؛ ذلك لأنه ربما يكون قد صادفها أثناء إحدى مطالعاته. كما أنه قد لا يخفى عليه أنها تعود لصاحبها "ليونارد دافنشي" وربما يكون يعرف أيضا بعض دقائق الأمور ككونها موجودة بمتحف "اللوفر" بباريس، وأن باريس هي عاصمة فرنسا وان فرنسا موجودة بأوروبا..... كل هذه التداعيات أتت من رؤية اللوحة فقط.

ولكن بالنسبة للحاسوب الذي يعرض علينا هذه الصفحة من الشبكة وعليها صورة "الجوكندا" فإنها بالنسبة إليه لا تمثل إلا الاسم التالي: [Jocande.jpg](#) . أما فيما يخص تاريخها وصاحبها وقصة حياته فإن ذلك لا يعني الحاسوب في شيء لا من قريب ولا من بعيد².

¹ Le web de l'avenir. Michael Dumas.28/07/2004 .

² Journal du net. 24/07/2004 .

ومن خلال هذا المثال البسيط نلاحظ أنه يتعين على مصممي الشبكة المستقبلية إدخال وإضافة معلومات حول المعلومات data about data على أن تكون ذات صلة وعلاقة بالمعلومة المدرجة على الصفحة، حتى يتسنى للحاسوب أن يجلب أكبر عدد من المعلومات المتعلقة بهذا المقال البسيط حتى يجعله غنيا من حيث الإفادة العلمية. وهذا بالتالي سوف يغير وجه الشبكة الحالي الذي لا يفني بعد بما هو منتظر منه.

ب. لغة عالمية

يعترف تيم برنر لي أن الأمر ليس بالهين وأنه سوف يكون من الصعوبة بمكان إنجاز مشروع ضخيم كهذا. إلا أنه يتفاءل بإمكانية استحداثه على الواقع وذلك بتضافر جهود الجميع من أجل تحدي مجموعة كبيرة من الصعوبات التكنولوجية. كما أنه يحتاج إلى استغلال كافة الوسائل البشرية من ذوي أهل الاختصاص. ويقترح تيم إرساء دعائم لغة عالمية لوصف المعطيات حتى نجعلها أكثر تبادلا . interchangeables et partageables .

وكما يوضح ذلك Karl Dubost فإن الإنسان يستطيع أن يبني علاقاته بدقة مع الأشياء. ونحن أيضا نفعل ذلك ولكن بطريقة لإرادية، إلا أن الآلة أو الحاسوب لا تملك ذلك الذكاء الذي يمكنها من ذلك. ولذلك فإنه يتعين على الإنسان أن يعين الحاسوب على أن يصبح أكثر ذكاء وقادرا على الفهم والترجمة¹.

وهكذا، فلو قدر لهذا المشروع الضخم أن يرى النور يوما فإنه سيصبح بإمكان الحواسيب الولوج إلى دوائر المعلومات باختلاف أنواعها وتعدد أقطابها ومواضيعها، وحتى تلك التي تبدو متناقضة، فإنه يمكن للحاسوب أن يحصنها ويصفها ثم يقدمها مفهومة، مقروءة ثم تقدم لرواد الشبكة مركبة يسهل على العقل البشري فهمها.

¹ . Le Devoir.com/dossiers.html

* قلة الأدوات

لا يخفى على احد من الباحثين بأن الأدوات التي تمكنا من إنجاز هذا المشروع الضخم قليلة أو نادرة؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه على النقيض من لغة html التي تكتب بها الشبكة الحالية والتي -أي اللغة- هي في متناول الجميع، فإن اللغة أو اللغات التي تكتب بها الشبكة الدلالية تبقى في متناول قلة قليلة متخصصة مع العلم أن كثيرا من التطبيقات الميدانية للشبكة الدلالية موجودة الآن والتي بإمكان بعضنا التعامل معها والاستفادة منها.

ومجمل القول أن إنجاز الشبكة الدلالية يمر حتما بالإنسان، وأن الأوائل الذين سوف ينجحون في إرساء دعائم هذه الشبكة سوف يكون لهم السبق والفضل في استغلال هذه المعرفة الموجودة في ملايين الكتب والمصنفات في مكتبات العالم.

3. الشبكة الدلالية وتفضيل العوامل الذكية: agents intelligents

تشكل المعطيات المتوفرة في شبكة الانترنت كما لا يستهان به من المعرفة الإنسانية. والبحث عن هذه المعلومات أو المعطيات قد يكون باستخدام محركات البحث الشهيرة كغوغل google أو أستافيسستا altavista أو كوبرنيك copernik أو غيرها من المحركات. إلا أن هذه المحركات ما تلبث أن تعجز عن تلبية الحاجيات نظرا للكم الهائل من المعلومات الواجب معالجتها. وأمام كل هذا ترتفع أصوات بعض المختصين للمناداة بإعطاء معنى للمعلومات المطروحة في شبكة الانترنت حتى يسهل الولوج والحصول على المبتغى.

* الحاسوبية : informatique

إن معالجة المعلومات بالمعنى الواسع للكلمة يشكل جزءا كبيرا من النشاط الإنساني. وهذه المعالجة قديمة بقدم الإنسان. إن تحليل هذا النشاط، والذي هو من صميم الإعلام الآلي، قد أدى إلى تباين:

* (معالجة المعرفة أو النحو)

* (محتوى المعرفة أو الدلالة)

كما بين أن كثيرا من الخطوات التي كانت تعتبر " ذاتية " أي إنها من صميم النشاط الإنساني، لا تعدو أن تكون عملية آلية محضة أو على الأقل فإنه يمكن إصباغ صفة الآلية عليها.

ولذلك بات من العاجل أن نخفف الوطاء عن الإنسان وذلك بإعطاء هذه المجموعة من النشاطات الآلية إلى جهاز Dispositif أوتوماتيكي لمعالجتها ونقصد بذلك الحاسوب، تماما كما أوكلنا إلى الآلات الضخمة الأوتوماتيكية مهمة معالجة الأعمال الشاقة التي كان يقوم بها الإنسان في وقت مضى.

من هنا نخلص إلى أن الحاسوب لم يكن في يوم من الأيام ذلك العقل الذكي أو تلك الآلة الذكية وإنما كان دائما تلك الآلة التي يوكل إليها الإنسان معالجة كثير من النشاطات التي ربما لم تكن ذكية.

هذه القواميس من المفروض أن تسهل وتدقق عملية البحث بطريقة ملفتة للنظر؛ إذ بفضل الأنطولوجيات المختلفة يمكن لهذه المحركات أن تبحث عن الصفحات التي تحوي مفهوما معينا وتوفر علينا الجهد والعناء الذي نعاني منه الآن؛ إذ البحث يتركز على الصفحات التي تحوي الكلمات المفتاحية فقط.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى لغة أخيرة قد ظهرت للوجود وهي Ontology Web OWL

Language وهي التي ستمكننا من تشفير هذه القواميس الضخمة أو الموضوعات الأنطولوجية.

وكخلاصة نقول: إن تكنولوجيا XML, RDF, OWL من المفروض أن تنظم وتؤطر الوثائق الإلكترونية في الشبكة وتجعلها أكثر فهما من طرف الحاسوب¹.

والسؤال المطروح هنا كيف يمكن تقني آثار مفهوم من المفاهيم عبر ملايين الصفحات؟

يبدو أن قوة الشبكة الدلالية تكمن في قدرتها على تشغيل برامج صغيرة وبسيطة تسمى (بالعوامل الذكية) Agents intelligents، هذه العوامل يمكن أن تبرمج حسب عاداتنا وأذواقنا وبالتالي سوف يمكنها أن تجول في الشبكة لتنتقي لب المادة التي أوكلها الإنسان مهمة استخراجها. وتمثل على ذلك بما يلي: لو أردت البحث عن كتاب في الشبكة وفي نفس الوقت أريد أن أبحث عن أزهدي ثم لهذا الكتاب. فبدلاً من تصفح جميع مواقع المكتبات، والإطلاع على قوائم الكتب عندها، ثم مقارنة الأثمان عبر كامل هذه الصفحات، يمكنني أن أوكل المهمة للعوامل الذكية المتخصصة في التخزين والبحث².

مثال آخر: طبيب يجرر وصفة لأحد المرضى على الحاسوب. يمكن لعامل من العوامل الذكية أن يتكفل بأخذ عنوان الدواء ثم الإطلاع على محتواه ثم مطابقته للتشخيص، وقد يعتمد إلى مقارنته مع الأدوية الأخرى التي يتناولها هذا المريض من أجل تفادي بعض التعقيدات. ولن يكون كل هذا بالأمر سهلاً إذ علينا أن نحضر لذلك بتأسيس قاعدة معطيات طبية ضخمة بطريقة دلالية إضافة إلى تفحص ملف المريض، كل ذلك بطريقة دلالية تمكننا من وضع كمية لا بأس بها من الذكاء لدى هاته العوامل الذاتية والفريدة من نوعها.

وعندما ننتهي من هذا العمل الجبار، فإن أي بحث داخل الشبكة الدلالية لا يكون حتماً بواسطة محرك بحث عملاق كالذي نستعمله الآن ولكن بواسطة شبكة تضم عشرات بل المئات من هاته العوامل الذكية المتخصصة.

¹ www.w3.org/tr/rdf-mt

² Semantic web. Michael Daconta. Wiley publishing Inc. 2003. page 153

إن هيئة DARPA، وهي هيئة أمريكية مختصة في أصل الانترنت، مهمة أيا اهتمام بهذه العوامل الذكية بل إنها تمول مشاريع تبحث في تطوير اللغة المستقبلية للويب والتي يسمونها DAML أو Darpa Agent Markup language¹.

وحتى تكون أكثر واقعية، فإن الشبكة الدلالية لن تكون ثمرة نخبها غدا أو بعد غد. إذ علينا أولا وقبل كل شيء أن ننشئ ما أسميناه بالقواميس الأنطولوجية في جميع ميادين المعرفة الإنسانية وفي جميع اللغات ومن أجل ذلك وجب أن يتبنى أبناء كل لغة إنشاء أنطولوجيا للغتهم في جميع ميادين الحياة. ولن يكون ذلك بالأمر الهين. ثم وجب أن نقنع كل من يستعمل الشبكة- لنشر المعرفة - باستعمال لغات مثل RDF و XML وغيرها من اللغات الأخرى في بلايين الصفحات المتوفرة الآن.

وأمام هذا العمل الضخم تبقى إحدى الوسائل الممكنة هي استعمال تلك العوامل الذكية التي تحدثنا عنها سابقا. هاته العوامل يمكنها أن ترتب وتصنف كل الوثائق داخل الشبكة وتدخل بعض العلامات أو الإشارات الدلالية التي توجهنا إلى صفحات أخرى يكون موضوعها مطابقا لموضوع البحث. وكل ذلك بطريقة تشبه إلى حد ما، طريقة عمل الخلايا العصبونية داخل الدماغ البشري. وسوف ينتج عن هذه الطريقة في التصنيف العلاقات القوية التي تربط الصفحات وقد تزيد قوة، أما تلك الضعيفة فسوف تزداد ضعفا حتى أن بعض الباحثين يرون في الشبكة الدلالية على أنها تشبه Cerveau global (الدماغ العام) ويسمون ذلك (بالتنظيم الذاتي) Auto organisation .

و كخلاصة نقول : إننا اليوم نلاحظ أن الشبكة الدلالية لا تزال في خطواتها الأولى داخل المخابر وفي المؤسسات وأما عن تطبيقاتها فإنها محدودة جدا، وتبقى حكرًا على بعض الشركات المختصة في مجالات معينة، حيث من السهل جدا أن تستعين بالأنطولوجيا.

¹ . www.w3.org/tr/rdf-mt

وعلى سبيل المثال فإن شركة Airbus لصناعة الطائرات تفكر جادة في استعمال أنطولوجيا تمكن عمالها من تخزين وتبادل معارفهم في ميدان صناعة الطائرات وذلك بالاعتماد على طريقة الشبكة الدلالية.

وبقليل من الحظ فإن مشروع الشبكة الدلالية قد يرى النور خلال ثلاث أو أربع سنوات بالرغم من العمل الجبار الذي ينتظر العاملين في هذا الحقل...

ثانيا: الذكاء الاصطناعي

1. تعريف الذكاء الاصطناعي

علم الذكاء الاصطناعي أحد العلوم التي نتجت عن الثورة التكنولوجية المعاصرة. والبحث في الذكاء الاصطناعي عمل جماعي بالدرجة الأولى يحتم تعاون علماء ومتخصصين من مجالات مختلفة كالحاسوب ، وعلم اللغة، والمنطق، والرياضيات، وعلم النفس .

يهدف علم الذكاء الاصطناعي إلى فهم طبيعة الذكاء الإنساني عن طريق عمل برامج للحاسب الآلي قادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء . وتعني قدرة برنامج الحاسب على حل مسألة ما ، أو اتخاذ قرار في موقف ما-بناء على وصف لهذا الموقف-أن البرنامج نفسه يجد الطريقة (التي يجب أن تتبع لحل المسألة ، أو للتوصل إلى القرار بالرجوع إلى العديد من العمليات الاستدلالية المتنوعة التي غذي بها البرنامج . ويعتبر هذا نقطة تحول هامة تتعدى ما هو معروف باسم «تقنية المعلومات» التي تتم فيها العملية الاستدلالية عن طريق الإنسان ، وتنحصر أهم أسباب استخدام الحاسب في سرعته الفائقة.

ورغم أننا لا نستطيع أن نعرف الذكاء الإنساني بشكل عام فإنه يمكن أن نلقي الضوء على عدد من

المعايير التي يمكن الحكم عليه من خلالها .ومن تلك المعايير القدرة على التعميم والتجريد ، التعرف على أوجه الشبه بين المواقف المختلفة ، والتكيف مع المواقف المستجدة ، واكتشاف الأخطاء وتصحيحها لتحسين الأداء في المستقبل.... الخ . ويهتم علم الذكاء الاصطناعي بالعمليات المعرفية التي يستخدمها الإنسان في تأدية الأعمال التي نعدّها ذكية . وتختلف هذه الأعمال اختلافاً بينا في طبيعتها ، فقد تكون فهم نص لغوي منطوق أو مكتوب ، أو لعب الشطرنج، أو حل لغز ، أو مسألة رياضية، أو القيام بتشخيص طبي ، أو الاستدلال على طريق للانتقال من مكان إلى آخر. ويبدأ الباحث في علم الذكاء الاصطناعي عمله أولاً باختيار أحد الأنشطة المتفق على أنّها « ذكية»، ثم يضع بعض الفروض عما يستخدمه الإنسان لدى قيامه بهذا النشاط من معلومات واستدلالات، ثم يدخل هذه في برنامج للحاسب الآلي ، ثم يقوم بملاحظة سلوك هذا البرنامج، وقد تؤدي ملاحظة البرنامج إلى اكتشاف أوجه القصور فيه وهذا يدفع بصاحبه إلى إدخال تعديلات وتطوير في أسسه النظري ، وبالتالي في البرنامج نفسه ، ويؤدي هذا بدوره إلى سلوك مختلف للبرنامج ، وما يستتبعه من ملاحظة وتطوير... وهكذا.

2. فروع الذكاء الاصطناعي

لا يوجد تقسيم واضح يبين فروع الذكاء الاصطناعي والمبادئ التي يعتمد عليها، وهذه قائمة ببعض

التقسيمات المستخدمة: 1

- المنطق
- البحث
- تمييز الأنماط
- الاستدلال والاستنتاج

- التعلم
- الخوارزميات الوراثية.

ومن تطبيقات الذكاء الاصطناعي نورد ما يلي:

أ. الهندسة اللغوية: génie linguistique

اختصاص يشغل مجموعة من المعارف النظرية التي يعتقد أنها صالحة لإنتاج وفهم اللغة البشرية (أو ما يسمى باللغة الطبيعية) وذلك باستعمال الحاسوب. والغرض من ذلك كله هو المعالجة الآلية لكل المعطيات اللسانية (كتابية كانت أو شفوية) بشرط أن تكون قابلة للدرس والتحليل والمعالجة بطريقة ذكية أو معرفية عند الإنسان. ويمكن أن نعطي مثالا على ذلك: البحث عن معلومات داخل بنك للمعطيات أو قراءة نص من النصوص أو التعرف الآلي على المنطوق. ومن هذا نستنتج أن اللغوية تشكل نقطة التقاء لعدة تخصصات نظرية تتشابه كلها في أنها تبحث في تطوير التحكم ليس في ميدان البحث فقط بل في ميادين شتى كأسواق التكنولوجيا مثلا. ومن هذه الاختصاصات نذكر على سبيل المثال: الفلسفة، علم النفس، اللسانيات، الذكاء الاصطناعي، الحاسوبيات، العلوم المعرفية وعلوم الإعلام.

ب. التحليل الدلالي: analyse sémantique

يتطرق التحليل الدلالي إلى دراسة محتوى أو معنى نص من النصوص ويعتمد في ذلك على أسس ثلاث هي.

ج . منشئ البيانات constructeur de graphes

إن المنحنى الذي نتحدث عنه في هذا الموضوع ليس ذلك المتعلق بتمثيل العلاقات النحوية بين الكلمات ولكن تمثيل معنى الجملة بمنأى عن التعبير.

ولنمثل على ذلك بقولنا:

__ بنى سنمار هذا القصر.

__ هذا القصر بناه سنمار.

نلاحظ هنا أنه من البديهي أن يكون لهاتين الجملتين نفس المنحنى البياني: هذا المنحنى القاعدي يمكن أن يزود بمختلف وجهات النظر المتعددة والتي تشرح الاختلافات البلاغية بين الشكلين. ويجبذ أن يكون المنحنى البلاغي مستقلا عن اللغة.

د . المدقق الأنطولوجي : vérificateur ontologique

ويتعلق الأمر هنا بإعداد نموذج منطقي لوضعية معينة من أجل إزاحة كل غموض يمكن أن يعتري أو ينتاب المعنى.¹

إن هذا المدقق الأنطولوجي هو الذي يبين للنظام المعلوماتي إذا كان في الجملة التالية إشكال أو غموض ثم يدرسه ويغلب المعنى الأقرب إلى الصواب. ولنضرب مثلا آخر ونقول:

L'avocat mange l'avocat والتي تعني: بأكل المحامي فاكهة الأفوكا أو ثمرة التمساح.

¹ Gruber. "A translation towards approach to portable ontologies" page 127 .

إن المعنى الأقرب إلى العقل هو أن رجل القانون يأكل الفاكهة، وأنه في أدنى الأحوال يمكن أن نتصور أن رجل القانون يعط زميله مازحا. ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتصور الفاكهة تأكل رجل القانون.¹

هـ. المترجم interpréteur

يعتقد الحاسوبيون أن هذه الخطوة ضرورية لأنها تمكن الآلة من تفسير بعض الأشياء غير المحددة. فمثلا في قولنا: "سأذهب غدا إلى العاصمة" نلاحظ أن كلمة "غدا" تحدد تاريخا يعتمد أساسا على تاريخ اليوم.

تشكل هذه العوامل الثلاثة القلب النابض بالنسبة للحوار بين الإنسان والآلة.

ويبقى في اعتقاد الكثير من العلماء أن بني البشر هم الكائن الوحيد والحقيقي على هذا الكوكب الذي تتجسد فيه ظاهرة الذكاء بالإضافة طبعا إلى بعض الحيوانات القليلة كالقردة مثلا والتي تشترك مع الإنسان في هذه الميزة. وإذا أردنا أن نصنع أجهزة كمبيوتر ذكية فإنه من البديهي أن نحاول فهم هذه الملكة.

وبالرغم مما توصل إليه العلم الحديث فإن معرفتنا للمخ ما زالت ضئيلة ومازلنا نجهد الطريقة التي يؤدي بها وظائفه ولا يختلف وضعنا إزاء هذا اللغز كثيرا عن وضع المصمم الذي لديه تصميم دقيق كامل عن محرك سيارة من السيارات إلا أنه يجهد كيف يعمل هذا المحرك وكيف يقوم بمهامه كاملة غير منقوصة.

يعتبر التعلم أهم ميزة تسم المخ البشري ناهيك عن كونه مجموعة من الشبكات العصبية الهائلة. والسؤال المطروح هو ما ذلك العمل السحري والمعقد الذي يحدث داخل هذا المخ لكي تحدث عملية التعلم؟

قد يكون بالإمكان فهم قواعد تعلم الشبكات بالرجوع إلى قاعدة هيب في التعلم أو شيء ما مرتبط بها.

في عام 1949 اكتشف العالم النفسي دونالد هيب اكتشافا كبيرا حيث قدم مبدأ عاما للتعلم وهو في الحقيقة بسيط جدا ولكنه للأسف غير معروف للكثيرين، حيث توصل إلى أن توصيلات إدخال المعلومات إلى الخلية العصبية متصلة بتوصيلات خروج البيانات من الخلايا العصبية الأخرى في الشبكة العصبية¹. وتقوم هذه الخلية بإرسال الإشارة التي تحفز الخلايا الأخرى عندما يتجاوز إجمالي المداخل قيمة الحد الأدنى، وتأخذ الإشارة التي ترسلها الخلية العصبية شكل انفجار عشوائي من النبضات، ويؤدي ذلك إلى سلوك معقد للشبكة برمتها، وهو سلوك معقد ومن الصعب تحليله.

يرى العالم هيب أن أي إدخال يكون نشطا عندما تتلقى الخلية العصبية إشارة من الخلايا الأخرى حيث يقوى وتصبح الخلية أكثر حساسية لأي إشارات أخرى قادمة في المستقبل. وهذه العملية التي لا يوجد تصور لكيفية حدوثها هي التي تؤدي إلى حدوث عملية التعلم.

إن فكرة الشبكة العصبية التي تتدرب كيف تحل معضلة ما تستحق منا الكثير من الاهتمام ذلك انه لم يسجل أي بحث علمي حقيقي حول هذا الموضوع وذلك لفترة ليست بالقصيرة. وكما هو الحال مع كل مستجد فقد ثارت ضجة كبرى بعد الخطوات الأولى لأول شبكة عصبية بسيطة وعندما ثبت أنها غير كافية لأداء المهام المطلوبة منها كاد الكثير من الباحثين العزوف عنها وشكك آخرون في مصداقيتها وجدوى أسلوبها. والحقيقة أن الشبكات العصبية الأولى كانت بسيطة للغاية حيث كانت تتشكل من طبقة واحدة من الخلايا العصبية. وفي الواقع أن عملية التعلم كانت تحدث

¹. مجلة عالم الكمبيوتر. سبتمبر 2001

في أغلب الحالات في خلية عصبية صناعية أطلق عليها اسم الخلية المدركة أو perception ومن الطبيعي بالنسبة لتجربة من هذا القبيل فإن هناك أشياء كثيرة يصعب على الطبقة الواحدة من الخلايا العصبية أن تتعلمها. ونظرا لعدم وجود وسيلة واضحة أو مفهوم محدد لكيفية التعامل مع هذه الطبقات يجعلها تتعلم أي شيء فقد أصبح من الصعوبة بمكان أن تتوسع هذه الطبقات.

ر. أخطاء الإدراك

عندما نتبع الإجراء السابق مرات ومرات ستتعلم الخلية العصبية في النهاية القدرة على التمييز بين المجموعات.

هناك شرط ضمني في لوغاريتم التعلم وهو أن لا يتم تعلم إلا ما يمكن تعلمه. ورغم أن هذا منطقي بالبداية فلا بد أن نعرف أن منح الخلية العصبية إشارات داخلية بشكل عشوائي للمجموعة التي نريد أن نتعرف عليها فإن الخلية لن تتعلم التمييز بين أي شيء؛ والخلية العصبية محدودة في الأشياء التي يمكن أن تتعلمها .

وعندما نعود إلى الماضي من السهل أن نعرف ما هي المشكلة ولماذا ينبغي على الخلية العصبية أن تكون قادرة على تعلم كل شيء تلقينه عليها؟ وإذا استطاع المرء إثبات عيوب الخلية العصبية الواحدة فإنه لا يستطيع إثبات أن وجود أكثر من خلية عصبية سيتجاوز هذا العيب أو هذا الخطأ .

وفي الواقع أنه ليس من الصعب أن نجد مجموعة تتكون من ثلاث خلايا عصبية ولا يمكنها حل مشكلة صفر وواحد أو واحد وصفر¹ وهذا الأمر معروف منذ وقت طويل ولكن كان الناس يتجاهلونه لأنه دليل على وجود حياة في فكرة الخلية العصبية. ويجب تدريب مجموعة الخلايا الثلاث يدويا حيث يجب إعداد أوزانها على القيم المناسبة والتي لم تتعلمها بعرض البيانات المتكررة عليها

¹Gessel. The mental growth of the reschool child. New York. 1980.

ويتم كتابة الأوزان بجانب الاتصالات والرقم الموضوع في كل خلية عصبية هو الحد الأدنى ,
وتساوي الخلية العصبية التي تطلق إشارة بالإجمالي الموزون أو تتجاوز الحد الأدنى.

يطلق على لوغاريتم التعلم اسم المنحنى الكبير وهو عبارة عن تطبيق لبعض طرق التحسين القياسية
standard optimization methods والفكرة الأساسية هي نفس الفكرة المستخدمة لتعديل
أوزان الخلية العصبية الفردية أي أننا نغير الأوزان حتى نجعل النتائج تتحرك نحو القيمة المطلوبة وفي
حالة الشبكة العصبية لا بد أن نحدد الأوزان وخلاياها العصبية وكذلك الأوزان التي ينبغي تعديلها.
للأسف الشديد لا نعلم بالتحديد ما هي الخلية العصبية المسؤولة عن الخطأ الحالي في الناتج النهائي
ولا يمكننا أن نستخدم وظيفة الحد الأدنى البسيط لتحديد موقع المشكلة ويجب علينا استخدام
وظيفة تتيح لنا نتاج الخلية العصبية الانتقال بسلاسة من "عدم إطلاق إشارة" إلى "إطلاق إشارة"
ومن خلال جعل هذه الوظيفة تعمل على الانتقال المفاجئ من الحد الأدنى تحتفظ الخلية
بخصائصها في التشغيل والإقفال أو "الإطلاق وعدم الإطلاق".

بهذه الإجراءات أو الخطوات المعقدة جدا يمكن أن نتبين بعض الأخطاء أو المطبات لأن مقدار
الخطأ المنقول إلى كل خلية يعتمد على شكل وظيفة الحد الأدنى وهذه هي الفكرة العامة في هذه
الخطوات ومن أكثر الأسماء شيوعا التي تطلق على هذه العملية "التفاعل العكسي" لأن الأخطاء
تعود من خلال الشبكة بنفس الطريقة وعبر نفس الخطوات إلى الخلايا تماما مثلما تتطور البيانات
الداخلة وتتفاعل باتجاه الناتج أو البيانات الخارجة.

3. التمثيل الرمزي Symbolic Representation

إن السمة الأولى لبرامج الذكاء الاصطناعي هي أنها تستخدم أساساً رموزاً غير رقمية وهي في هذا تشكل نقضاً صارخاً للفكرة السائدة أن الحاسب لا يستطيع أن يتناول سوى الأرقام ، فعلى المستوى

القاعدي يتكون الحاسب من نبائط ثنائية **Binary Devices**

وإذا نظرنا إلى الإنسان، ومستوى الخلايا العصبية **neurons** لوجدنا أن الفهم الإنساني يعتمد أيضاً على الوضع الثنائي. مما يشير إلى إمكانية التعبير عن الأفكار والتصورات و المفاهيم البالغة التعقيد واتخاذ القرارات بطرق متطورة من هذه الأوضاع أو الحالات الثنائية. ولا شك أن إمكانية

التعبير عن التصورات العليا و المعقدة بواسطة الرموز الثنائية التي يفهمها الحاسب تجعل محاكاة عملية اتخاذ القرارات ممكنة.

ولا يوجد بالطبع ما يمنع برامج الذكاء الاصطناعي من أداء بعض العمليات الحسابية إذا لزم الأمر ، ولكن غالباً ما تستخدم نتائج هذه العمليات على المستوى الإدراكي **conceptual level** بمعنى أن مغزى هذه العمليات الحسابية سيدخل إلى العملية الاستدلالية التي يقوم بها البرنامج. ويوضح ذلك مثال من برامج التشخيص الطبي الذي قد يعطينا معلومة معينة في

صورتها الرمزية بالشكل الآتي: «المريض يعاني من حمى بسيطة» وقد توصل إليها الحاسب بقيامه بعملية استدلالية لمعلومة رقمية مثل: «درجة حرارة المريض مائة درجة».

وتتحدد السمة الثنائية لبرامج الذكاء الاصطناعي بنوعية المسائل التي تتناولها. فهي في العادة ليس لها حل خوارزمي معروف ، ونعني بذلك عدم وجود سلسلة من الخطوات المحددة التي يؤدي اتباعها إلى ضمان الوصول إلى حل للمسألة.

وطالما لا يوجد حل خوارزمي للمسائل التي يعالجها الذكاء الاصطناعي فلا بد إذن من الالتجاء إلى الاجتهاد، أي إلى الطرق غير المنهجية والتي لا ضمان لنجاحها. ويتمثل «الاجتهاد» في اختيار إحدى طرق الحل التي تبدو ملائمة مع إبقاء الفرصة في نفس الوقت للتغيير إلى طريقة أخرى في حالة عدم توصل الطريقة الأولى إلى الحل المنشود في وقت مناسب.

أ. تمثيل المعرفة Knowledge Representation

تختلف برامج الذكاء الاصطناعي عن برامج الإحصاء في أن بها تمثيل للمعرفة. فهي تعبر عن تطابق بين العالم الخارجي والعمليات الاستدلالية الرمزية بالحاسب. ويمكن فهم تمثيل المعرفة هذا بيسر لأنه عادة لا يستخدم رموزاً رقمية. فقد يستخدم أحد برامج التشخيص العلاجي القاعدة التالية في تشخيص حالة المريض بالأنفلونزا:

«إذا كانت درجة حرارة المريض عالية، ويشعر بآلام عضلية وصداع، فإن هناك احتمالاً قوياً بأنه يعاني من الأنفلونزا. ويكون التعبير عن مثل هذه القاعدة في برامج الذكاء الاصطناعي بوضوح وإيجاز وبلغة أقرب ما تكون إلى لغتنا الطبيعية

ومن أهم ما يميز طرق بناء برامج الذكاء الاصطناعي الفصل التام بين قاعدة المعرفة ونظم المعالجة mechanism التي تستخدم هذه المعرفة. فمواد المعرفة واضحة، ودلالاتها ومعانيها مفهومة، أما ما يكتب بلغة البرمجة - الذي يصعب فهمه لغير المتخصص - فهو مجموعة نظم المعالجة التي تفسر مواد المعرفة هذه وهي تحدد في أي حالة وفي أي مرحلة من مراحل البرنامج يكون أي من قوانين الاستدلال فعالاً.

وتعد برامج التحليل اللغوي مثالا آخر على ذلك الفصل المنهجي بين قاعدة المعرفة والبرنامج ، ويكون هذا الفصل هنا بين القواعد اللغوية للغة ما- التي تحدد صحة أي جملة في هذه اللغة- وبين ذلك الجزء من البرنامج الذي يمكن أن يقرر- بالرجوع إلى القواعد اللغوية طبعا- ما إذا كان من الممكن توليد أي جملة يتم إدخالها إليه بواسطة هذه القواعد أم لا . وفي السابق لم تكن القواعد اللغوية منفصلة عن نظم المعالجة مما كان يؤدي إلى صعوبة تطوير وتعديل هذه القواعد لأن ذلك كان يتطلب تغيير البرنامج بأكمله كلما أردنا إضافة قاعدة لغوية جديدة.

ب. فهم اللغات الطبيعية:

قبل البداية وجب توضيح مختلف الأنشطة التي يمكن أن تندرج تحت " فهم اللغات الطبيعية" ، وأولها ما يمكن أن نسميه النشاط النفعي . وهو ما يشار إليه عادة بتفاعل الإنسان مع الآلة. ولا يختص هذا النشاط بمشاكل فهم السلوك الإنساني، وإنما بمشاكل الاتصال بين الإنسان والحاسب فحسب . ويسعى العلماء اليوم إلى جعل هذا الاتصال يدور بلغة أقرب ما تكون إلى اللغات الطبيعية ، ونعني بذلك تلك اللغات المرتبطة بحضارة وثقافة الإنسان كاللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والعربية على سبيل المثال ..والإشكالية التي تبقى مطروحة هي أنه كيف يمكن التحوار مع الآلة بوسيلة طبيعية وبدون تعلم إحدى لغات البرمجة . ولتحقيق هذا الهدف يتعين على الباحثين أن يجدوا طريقة ما لترجمة ما يدخله مستخدم الحاسب بلغته الطبيعية-بواسطة محطات الإدخال الطرفية- إلى شكل يمكن للآلة فهمه والاستجابة له.

ويمكن اقتراح عدد من المعايير التي يعكس كل منها إحدى درجات الفهم المتعددة

1. القدرة على الإجابة عن الأسئلة بطريقة ملائمة . إن قوة هذا المعيار تكمن طبعا في تطلب «كون الإجابة ملائمة» وبينما لا يمكن تعريف ذلك بشكل محدد تماما ، فإنه يمكن التعرف على

درجات مختلفة من الملاءمة. فإذا وجهنا السؤال التالي « هل روما عاصمة فرنسا » ؟ فإن الإجابة البسيطة « لا » تكون ملائمة ، ولكن « لا ، إنها باريس » أو « لا ، روما عاصمة إيطاليا ». تكون أكثر ملاءمة.

2. القدرة على إعادة صياغة العبارات، شارحا معناها بطريقة أخرى.

3. القدرة على الاستنتاج، أي إعطاء النتائج المحتملة أو الممكنة لما قيل تواء، ويشمل هذا المعيار المعايير الأخرى.

4. القدرة على الترجمة من لغة لأخرى . وتفترض المعايير الثلاثة أعلاه قدرة معينة على التجريد، تعكس إمكانية تكوين تمثيل دلالي وإدراكي للعلاقات السببية والتداعي بمكونات الجملة، مع إعطاء أقل قدر ممكن من الأهمية للبنية الظاهرية .

5. القدرة على التعرف على المسميات . إن إحدى المكونات الهامة لقدرتنا على الفهم هي إدراكنا أنه يمكن الإشارة إلى نفس الشيء أ و الشخص بعدة طرق، كما يحدث عندما يستبدل اسم شخص أو مجموعة بضمير . ويتطلب إيجاد المرجع الصحيح في بعض الأحيان قدرا كبيرا من المعرفة أو الاستدلال.

ج. الذكاء الاصطناعي والمستقبل

أصبحت أجهزة الحاسوب أقوى مما كانت عليه في أي وقت مضى، وحفزت قدرتها على تجهيز كميات ضخمة من البيانات العمل في مجال الذكاء الاصطناعي . وقد ثبت أن فئة جديدة من الخوارزميات تعرف باسم « شبكات التعلم المتعمق » ، المستوحاة من الشبكات

العصبية البيولوجية، لديها قوة هائلة في محاكاة الطريقة التي يعمل بها المخ البشري، وقدمت أمثلة ناجحة عديدة على الذكاء الاصطناعي.

والتعلم المتعمق هو منهجية إحصائية تستخدم شبكات عصبية اصطناعية بهدف الربط بين عدد كبير من متغيرات المدخلات ومتغيرات المخرجات، أي عملية تحديد للأنماط. ويتم تحليل المعلومات من خلال شبكة من الخلايا العصبية القائمة على السيليكون والبرمجيات. وتستخدم البيانات لتعزيز الروابط بين هذه الخلايا العصبية مثلما يتعلم البشر من التجارب مع مرور الوقت.

وتنقسم أسباب النجاح المذهل للتعلم المتعمق إلى شقين: توافر كميات ضخمة من البيانات للتعلم منها الآلات والنمو المطرد في قوة الحوسبة، المدفوع بالتطور في رقاقات الحاسوب ذات الأغراض الخاصة والمتعلقة بتطبيقات التعلم المتعمق.

ويعطى التعلم المتعمق قوة دفع لجزء كبير من التكنولوجيا المعاصرة التي بدأ العالم يعتبرها أمراً مسلماً به، مثل الترجمة الآلية، والسيارات ذاتية القيادة، والتعرف على الصور والتوسيم. ومن المرجح أن تغير هذه الفئة من التكنولوجيا علم الاقتصاد والسياسات في القريب العاجل. وتستخدمها بالفعل هيئات التصنيف الائتماني لإعداد تقارير بدون تدخل بشري. وقد تقدم الشبكات العصبية الكبيرة للتعلم المتعمق قريبا تنبؤات وتحدد العلاقات بين المتغيرات الاقتصادية بطريقة أفضل من الأساليب الإحصائية القياسية.

ومن الصعب التنبؤ بمجالات العلوم غير المثيرة التي ستشهد أكبر نمو في استخدام التعلم الآلي، ولكن هذا العصر الجديد قد وصل بالتأكيد. وكما أشار كاتب الخيال العلمي ويليام جيبسون « ، المستقبل موجود هنا بالفعل؛ إلا أنه غير موزع توزيعاً عادلاً .

ثالثاً: الأنظمة الخبيرة

للأنظمة الخبيرة أهمية كبيرة في كونها تهدف إلى حل المشاكل المتعلقة بمجالات متخصصة، والتي تتطلب مؤهلات وكفاءات.

المثال التقليدي في هذا الصدد و هو التشخيص الطبي، وذلك لتحديد المرض، مساهمة النظام الخبير تتمثل في قيام المستعمل بجميع المعلومات المتعلقة بالمشكل المعالج و المتخصص إلى أن يجد النظام الخبير حل أو حلول للمشكل المطروح. وفي نفس وقت التفكير أو محاولة إيجاد الحل, يمكن أن يطرح النظام الخبير أسئلة للمستعمل, كما يمكن أن يستخلص معلومات من تلك التي قدمها له و لكن بطريقة غير دقيقة.¹

ويتم تفكير النظام الخبير عن طريق ميكانيزمات الاستنتاج أو "محرك الاستنتاجات" الذي يعمل على مجموعة المعارف المتعلقة بالمجال المتخصص و التي تسمى "قاعدة المعارف".²

1. لمحة تاريخية:

بدأ البحث في الأنظمة الخبيرة بانخفاض فائدة الميكانيزمات التي كانت تعالج المشاكل العامة, و لهذا عجزت عن حل المشاكل في المجالات الخاصة, و بالتالي لوحظ نوع من نقص الفعالية *efficacité* نظرا للاهتمام بالعمومية *généralité*.

و قد بدأ Edward Feigenbaum في أوائل الستينات بالاهتمام بتقديم ميكانيزمات التفكير القائمة على الاستنتاج و الخبرة *Mécanisme de raisonnement et empirique*. والمشكل الذي واجهه هو كيفية وضع أحسن فرضية تعبر على مجموعة المعطيات المتوفرة.

و قد أدت الرغبة في نمذجة هذا النوع من السلوك العلمي إلى ظهور مشروع Dendral لنفس الباحث سنة 1971, و الخاص بمجال الكيمياء, و هو أول نتيجة للبحث في الأنظمة الخبيرة في جامعة Stanford، مهمته تحليل و تحديد الهيكل الكيميائي للعناصر المدروسة.³

¹ . GEORGE F LUGER « Artificial intelligence » page 95

² . Alain Bonnet / Jean Haton : « Systèmes experts vers la maîtrise technologique »page 49

³ . www.Boston.internet.com/news/articles/php

وقد ضمّ المشروع متخصصين في المعلوماتية، خبيراً في الكيمياء، و آخر في الطب، واعتبرت هذه الأعمال لعدة سنوات أحد مجالات الذكاء الاصطناعي "IA" لأنها لم تكن تياراً سائداً لبحث (لم تكن بارزة)، لهذا قام المهتمون بطرح المشكل الرئيسي من جديد و هو تمثيل و هيكلية المعارف، بما أنهم لم يعالجوا فقط المشاكل البسيطة التي تحتوي على عدد محدود من الوسائط.

وبعد التقدم المعترف الناتج عن البحث في ميكانيزمات التفكير للمجالات الخاصة، ظهر سنة 1974 بجامعة Stanford أول نظام خبير في مجال الطب مهمته التشخيص الطبي ووصف الدواء، كما ظهر على الوجود أيضاً نظام آخر وهو Prospector في ميدان الجيولوجيا.

و بذلك ظهرت مبادرة لتطوير وسائل جديدة لتمثيل المعارف في مختلف الميادين الخاصة، كما أنجزت بحوث تهتم ببرهنة النظريات و حل المشاكل على يد Newell Simon، قد توصلت إلى إنتاج قواعد نظرية لمنهجية الأنظمة القائمة على قاعدة المعارف Base de connaissance، كما كان هناك دمج بين المعارف الخاصة بمجال معين و آليات التفكير. وبتطور البحوث ظهرت ضرورة الفصل بينهما، أي استخراج من النظام الخبير الميكانيزمات العامة للتفكير والتي نستطيع إعادة استخدامها في مجالات أخرى، و من هنا جاءت فكرة محرك الاستنتاجات Moteur d' inférence، الذي توضع فيه المعارف تدريجياً و التي تخص مجال معين.¹

2. تعريف الأنظمة الخبيرة:

النظام الخبير هو عبارة عن برنامج يضم حجماً كبيراً من المعارف الخاصة بميدان معين؛ هذه المعارف مصدرها خبير متمكن و قادر على الوصول للأداء الناجح في مجال خبرته.

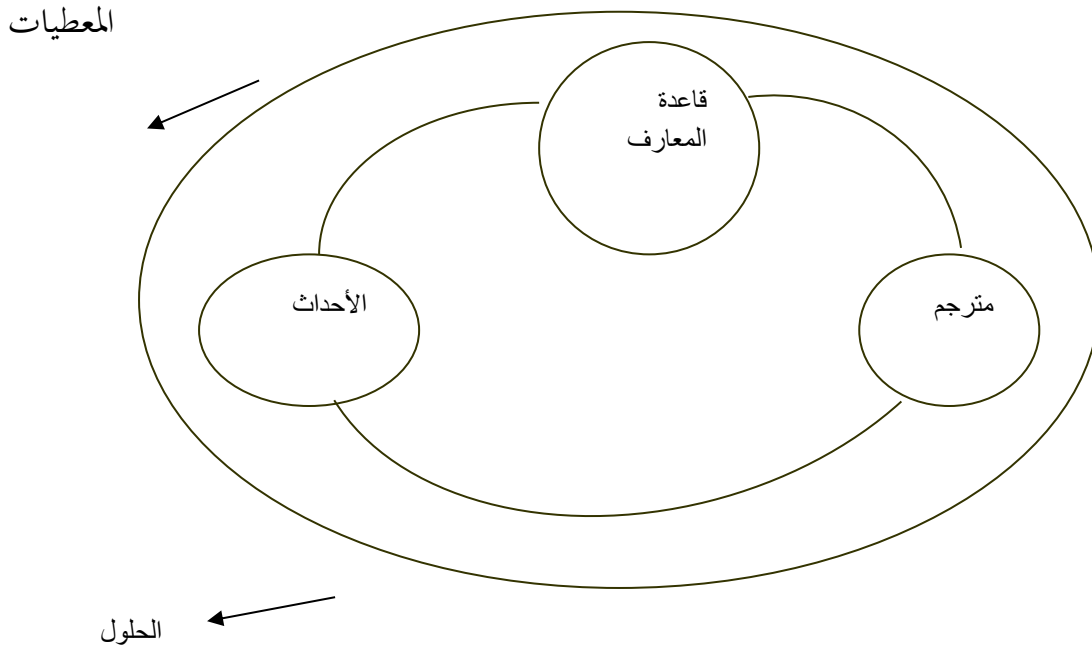
¹ Alain Bonnet / Jean Haton : « Systèmes experts vers la maîtrise technologique » ; P 42-43.

لكن هذا لا يقصي المعارف الموجودة في الكتب في حالة ما إذا كانت مكتوبة من طرف خبراء مؤهلين، غير أن التجربة أوضحت أن الخبراء قليلاً ما يضعون جوهر خبرتهم (Font de leur expertise) في الكتب التي يؤلفونها. ومن مهام النظام الخبير الكشف عن مجموعة المعارف غير الظاهرة الخاصة بميدان معين، و التي لا تخطر على الفكر البشري.¹

إن هذا التعريف لا يأخذ بعين الاعتبار الجانب المنهجي للأنظمة الخبيرة، بمعنى طبيعة العمل نفسها، و المتمثلة في وضع خبرة الإنسان في الحاسوب والذي يعرف ب Le Cogniticien، وهو ذلك المتخصص في المعلوماتية Informaticien من طبيعة خاصة، مكلف بالمساعدة في الحصول على المعارف و تشكيلها ووضعها Implantation.

وتأخذ المعارف المحصل عليها من طرف الخبير على شكل إخباري، و تكون بدون إطار مسبق لاستعمالها، و لذا يتم إعادة تنظيمها حتى تكون أكثر سهولة للوصول إليها في البرنامج.

ويمكن تمثيل النظام الخبير على الشكل التالي:²



¹. مجلة عالم الكمبيوتر. سبتمبر 2001

². مجلة عالم الكمبيوتر. سبتمبر 2001

و يتكون النظام الخبير من:

1- قاعدة الأحداث Bases des Faits:

هي ذاكرة عمل النظام الخبير، وتحتوي على أحداث دائمة (شبيهة بما نجده في قاعدة المعطيات)، وأحداث خاصة بالمشكل المطروح و التي نسميها أيضاً معطيات.

2- قاعدة المعارف Bases des Règles :

وتتكون من قواعد يطلق عليها قواعد الإنتاج وتسمح عموماً باستخراج الإستنتاجات التي تضيف عناصر جديدة في قاعدة الأحداث وذلك انطلاقاً من الأحداث المعروفة سابقاً.

3- محرك الاستنتاجات Moteur d'inférence:

وهو المكلف باستغلال قاعدة المعارف للتفكير في المشكل المطروح، انطلاقاً من محتوى قاعدة الأحداث. ويحتوي هذا المحرك على خوارزميات تعرف بـ Paterne Machine (Filtrage)، يعالج ما إذا كانت فرضية قاعدة ما محققة بالأحداث الموجودة في قاعدة الأحداث.¹

3. دور الأنظمة الخبيرة:

يوجد عدد معين من المشاكل النموذجية المتحكم فيها من طرف تقنية الأنظمة الخبيرة، و هي مشاكل لا يمكن حلها بالتقنية التقليدية (الخوارزميات)، أو يكون قد تم حلها و لكن الحل لم يكن حلاً مناسباً، ومن هذه المشاكل:²

¹ Tim Berner Lee. "Weaving the web" page 164.

² المرجع نفسه. ص 165

أ. التشخيص الآني في الزمن Ponctuel:

وتتعلق بكل مشكل في ترجمة المعطيات و اختيار الحل أو الحلول الأمثل، و المشكلة هي أنه

لا يمكن الحصول على تشخيص واحد للأسباب التالية:

* المعطيات يمكن أن تكون غير كاملة.

* هناك عدة أسباب للظاهرة المدروسة.

* التشخيص هو شكل مثالي متميز بعدد من الخصائص، و الحالة المدروسة تكون واقعية و نادراً ما

تحقق الوصف النظري المثالي الذي لا يوجد إلا في ضمير المتخصصين.

ب. الحالات المتطورة (غير ثابتة):

بالإضافة إلى استعمال قواعد التشخيص يجب استعمال أيضا قواعد تغيير الحالات، وقواعد

الانبؤ، وقواعد التغيرات، والتحقق من التنبؤات ذلك لأن النظام الخبير وضع لفهم تطور الحالات

الحادثة بسبب التغيرات المستقلة عنه، كما يستطيع تقديم نصائح لتطوير الحالة في الاتجاه الذي يحل

المشكل و كمثال على ذلك: تطور المرض و الأزمات.

ج. توصيف المهام و تعيين الموارد:

لقد أظهرت الأنظمة الخبيرة قدرة كبيرة في حل المشاكل إلا أن عددا من الصعاب لا تزال تواجهها

ومنها تعيين و ترتيب عدد معين من المهام مع بعض القيود في تقرير سلسلة التنفيذ، والقيود الأكثر

شيوعا هي الزمن و الأولوية في تنفيذ المهام و ترتيبها. كذلك تعيين الموارد يمكن ان يدرج من بين

الصعاب أيضا ويمكن أن يكون مستقلا عن توصيف المهام كما يمكن أن يكون مرتبطا به، مع العلم أن الموارد تتميز بالندرة.

ثالثا : دور اللغات الاصطناعية :

1. لغة html

أ. تعريف لغة html

هي اختصار لكلمات: Hyper ديناميكي - Text نص - Markable معلم - Language لغة. كما يرمز لها بلغة ترميز النص المترابط.

و هي ببساطة عبارة عن نص تكتبه بأي منسق كلمات حتى ولو استخدمت المفكرة. ولكن ليس تماما كأني نص عادي، فالبرغم من كتابتك للنص العادي إلا أنك تحتاج إلى وضع علامات أو "واصفات" تدعى Tags، وتلك العلامات التي تضعها هي التي ستفسر كيفية عرض النص والتعامل معه بالنسبة إلى برنامج مستعرض الإنترنت. ولنأخذ مثلا بسيطا على ذلك:¹

كيف الحال

فالنص العادي هو "كيف الحال" بينما ما يسبقه **هو العلامة التي ستترجم في برنامج المستعرض وتعلمه بأن النص الذي سيليه يجب أن يكون بنمط سميك. والعلامة الموجودة في النهاية**

¹ Dictionary of xml technologies and the semantic web. Vladimir Geroimenko. University of Plymouth, uk. 1995. page 92

أما العلامات أو الواصفات "Tags" هي عادة عبارة عن حرف أو حرفين أو كلمة باللغة الإنجليزية ترمز لنمط معين، كما في مثالنا السابق، رمزت الكلمة strong إلى نمط السماكة للحرف.

ب. الشكل الجديد لصفحة الشبكة:

```
<HTML>
<HEAD>
<TITLE>عنوان صفحتي</TITLE>
</HEAD>
<BODY>
</BODY>
</HTML>
```

فالخطوة الأولى هي وضع <HTML> في بداية المستند و وضع </HTML> في نهاية المستند. وتلك علامات تعلم برنامج المستعرض بأنه سوف يتعامل هنا مع صفحة مكتوبة بال HTML.

أما الخطوة الثانية فهي تقسيمنا المستند إلى قسمين. القسم الأول وضعنا له علامة <HEAD> وأهنيناه أيضا بعلامة </HEAD>. وهو القسم الخاص بمقدمة الصفحة أو رأس الصفحة إن صح التعبير.

وقد وضعنا في القسم السابق -أعنى قسم الرأس- العلامة <TITLE> والخاصة بعنوان المستند أو الصفحة، ووضعنا داخلها العنوان ثم أهنينا علامة العنوان بكتابة </TITLE> .

أما الخطوة الثالثة و الأخيرة فهي وضعنا للقسم الثاني من المستند أو الصفحة وهو القسم الذي سيظهر فيه نصك أو صورتك أو وصلاتك... الخ. و علامة هذا القسم هي <BODY> والتي تدل على جسم الصفحة أو محتواها. و كما فعلنا بجميع

العلامات السابقة يجب أن ننهي هذا القسم أيضا باستخدام العلامة نفسها ولكن بكتابة <BODY/> .

تكتب ملفات HTML في صورة ملفات نصوص بسيطة (Plain Text) تأخذ امتداد html عادة، وتكتب في أي برنامج للنصوص البسيطة. ففي الويندوز نستخدم Notepad وفي اللينكس نستخدمو pico في الماكنتوش نستخدم SimpleText . وجميع هذه البرامج مناسبة جدا لعمل صفحات HTML.

الأمر الآخر الذي ستحتاج إليه هو متصفح للإنترنت، ولن يكون أكثر من Internet Explorer أو Netscape Navigator أو الاثنان معا. وبما أننا الآن نتطلع على هذه الصفحة فلا بد من أننا نمتلك المتصفح أيضا. كما أننا سنحتاج إلى معاينة الصفحات بالمتصفح بعد كتابتها، ولأن المتصفحات تختلف من نوع إلى آخر لذا يفضل أن نقوم بمعاينة الصفحة المنجزة بجميع المتصفحات الموجودة وتؤكد من أنها تظهر بشكل سليم في جميع المتصفحات، لأن الجمهور الذي سيزور الصفحة سيستخدم المتصفح الذي يفضله هو لذلك فإن علينا التأكد من أن الجمهور يستطيع رؤية الصفحة بمتصفحه أيا كان.¹

المشكلة التي قد تواجهنا في كتابة صفحاتنا هي دعم المتصفحات للغة العربية أولا، ودعمها لآخر التقنيات ثانيا. ويقدم متصفح Internet Explorer من Microsoft دعما رائعا للغة العربية، ولآخر تقنيات الويب مثل HTML 4.0 و CSS و XML وغيرها، وأما متصفح Netscape Navigator فهو لا يدعم اللغة العربية بشكل جيد ولتحسين دعم اللغة العربية تحتاج إلى برنامج Sindbad من شركة صخر، وفي كل الأحوال يظل متصفح Netscape Navigator متصفحا متعبا في التصميم، لهذه الأسباب جميعا اعتمدنا متصفح Internet Explorer 5.0 كمتصفح قياسي لصفحات موقعنا، فهي تظهر بشكل رائع فيه.

بعد كل هذا. يتضح لنا أن لغة HTML لغة وصفية سهلة جدا ذات قدرات عالية وميزات فريدة وقوية، جميع الصفحات العالمية متقنة التصميم تم إعدادها باستخدام لغة HTML تتميز HTML

¹ www.xml.com

أيضا بأنها ذات قواعد سهلة ومعروفة، نستطيع أيضا في لغة HTML عمل الشيء نفسه بأكثر من طريقة، لذلك ومهما كانت الطريقة التي نفكر بها فسنجد أننا نحصل غالبا على ما نريده بالضبط. وتتكون ملفات HTML من قسمين:

- المحتوى : وهو ما يشاهده الجمهور في الصفحة.
- الوسوم :وهي الأجزاء التي تحدد كيف سيشاهد الجمهور المحتوى السابق. فهي تصف المحتوى من حيث التنسيق.

ج. ميزات أو خصائص html

- لغة HTML لا تراعي حالة الأحرف من حيث كونها كبيرة أو صغيرة، أي أنه في HTML وضع `` لا يختلف عن ``.
- يمكن إحاطة قيم الخصائص بعلامة إقتباس مزدوجة (") أو مفردة (')، ويمكن أيضا عدم إحاطتها بأي منها إذا كانت القيمة تتألف من كلمة واحدة دون مسافات.
- بعض الوسوم تحتاج إلى وسم إغلاق وبعضها لا يحتاج إليه.
- قد لا يحتوي وسم الفتح على خصائص إضافية، ولكن وسم الإغلاق لا يحتوي أبدا على هذه الخصائص.
- لغة HTML لا تراعي المسافات البيضاء، وتعتبرها جميعا مسافة واحدة، أي أن وضع مسافة واحدة بين كلمتين، يساوي وضع مسافتين، ويساوي وضع ثلاثين مسافة، ويساوي وضع سطر جديد، ويساوي وضع جدولة `tab` كلها تترجم إلى مسافة.
- توضع التعليقات بين `<!--` و `-->` أي أن المتصفح يتجاهل كل شيء بينهما ويعبره غير موجود.

2. لغة Xml

أ. تعريف : لغة Xml لغة الترميز الموسعة Extensible Markup Language التي يرمز لها بالاختصار XML وهي تستخدم في وصف وتخزين وتنظيم البيانات بخلاف لغة HTML التي تستخدم لكيفية عرض البيانات على المتصفح .

صُممت هذه اللغة لتجاوز المشاكل التقليدية المقترنة بلغة SGML ولغة HTML وهي من الوسائل الشائعة الاستخدام حالياً لوصف وتوزيع المعلومات. وقد كانت لغة HTML حتى وقت قريب اللغة الوحيدة المشتقة من لغة SGML والتي تدعمها متصفحات الإنترنت التقليدية، مما كان يمنع هذه المتصفحات من استخدام الوثائق المكتوبة بأساق أخرى على الإنترنت. وهذا الافتقار إلى الدعم يجبر ناشري المحتوى على تحويل موادهم ووثائقهم إلى نسق HTML وذلك لنشرها على الإنترنت. وسبب هذه المشكلة أن لغة SGML كانت معقدة بالإضافة إلى اقتران لغة HTML الإنترنت.¹

وبسبب قدرة لغة SGML العالية على وصف المحتوى فقد تم تصميم لغة XML . فلغة SGML يمكنها وصف أي نوع من أنواع الوثائق مهما بلغ تعقيد هيكلته أو حجمه، مما يمنح مصممي الوثائق القدرة على وصف أي هيكلية للبيانات. وباختصار فإن SGML هي اللغة المصدر للغة XML مع فارق " بسيط" هو أن قواعد هذه اللغة موجودة في 500 صفحة مما يجعلها بالغة التعقيد والاستيعاب. وبالرغم من أن SGML هي من اللغات الموثقة والمعرفة جيداً فإن المبرمجين والمطورين عادة ما يجمعون عن استخدامها لتعقيدها مما يجعل من ميزات وفوائدها محدودة التأثير. كما أن هذه اللغة صعبة الدمج مع متصفحات الإنترنت مما يعيق انتشارها كمقياس على الإنترنت. ولنشر وثائقهم على الإنترنت يقوم مستخدمو لغة SGML بتحويل وثائقهم المكتوبة بهذه اللغة إلى نسق HTML مما يفقد هذه الوثائق الكثير من قوتها الوصفية وميزات أخرى أما لغة HTML والتي تستلهم منها

¹ . www.xml.com

XML الكثير، فهي عامة جداً وسطحية تصف العناصر الأساسية فقط في صفحات الإنترنت. كما أنها بسيطة جداً عندما يتعلق الأمر بوصف الوثائق خارج نطاق الإنترنت، إضافة إلى أن هذه اللغة أصبحت غير قادرة على التعامل مع الإنترنت نفسها. وليس أدل على ذلك من حصول الباحث على مليون استجابة في بعض الأحيان عند البحث عن موضوع معين على الإنترنت. ورغم أنه يمكن تعديل HTML على أساس فردي بحيث تتعامل مع عناصر خاصة إلا أن ذلك صعب نظراً لوجود الكثير من المتصفحات في السوق والتي يجب أن تدعم هذه التعديلات وإلا فإن الكثيرين لن يتمكنوا من استعراض صفحاتك بالشكل الصحيح. وحتى في الوقت الحالي فإن هذه المشكلة واضحة لمستخدمي الإنترنت الذين لا يتمكنون دوماً من الحصول على الصفحة نفسها أو تصميم الصفحة نفسها عند استخدام متصفح مختلف. وهنا تأتي لغة HML للنجدة، فهي ليست بضخامة لغة SGML وتعقيدها، وهي ليست ببساطة وسطحية لغة HTML وجودها. ويمكن بواسطة هذه اللغة إنشاء ووثائق يمكن استعراضها من أي متصفح أو أي برنامج معد للتعامل مع لغة XML كما يمكن لأي مستخدم لأوفيس 2000 من مايكروسوفت أن يرى¹. وباختصار فإن لغة XML هي طريقة لوصف البيانات وهيكلتها على الإنترنت بحيث يمكن لبرامج مثل قواعد البيانات الاستفادة من هذه البيانات والبحث فيها والحصول منها على المعلومات². فمثلاً إذا كنت تقوم حالياً بنشر كتالوغ أو نشرية على الإنترنت لمنتجات تقوم ببيعها وكنت تستخدم لغة HTML فإن عليك أن تضع هذه المعلومات على شكل صفحات تحتاج لتغييرها يدوياً في كل مرة تريد تحديث الصفحة. ولنفترض أنك وضعت موقعاً للتجارة الإلكترونية وأردت تحديث منتجاتك الموجودة على الموقع فإنك ستحتاج إلى تحديث الصفحة كاملة. أما عند استخدام لغة XML فكل ما عليك عمله هو وضع وثيقة DTD تحتوي على علامات تصف الأصناف التي يحتويها متجر مثلاً (إذا كنت تبيع الكتب) كتب الفلسفة وكتب التاريخ وكتب الاقتصاد. ثم تقوم بكتابة الصفحة مستخدماً علامات تصف المواد الموجودة ضمن الكتالوغ مثل <philosophy> ابن رشد </philosophy> ،

¹ Vladimir Gerowenko. "Dictionary of xml technologies and The semantic web" page 136

² المرجع نفسه، ص 138

و <history> الحرب العالمية </history> وما إلى ذلك. وبالطبع فإن وثيقة DTD ستحتوي على تعريف للعلامات المستخدمة. وعندئذ تضع صفحاتك على الإنترنت. وعندما يريد المستخدم أن يبحث عن كتب الفلسفة مثلاً فإنه سيتمكن بفضل استخدام نظام العلامات الخاص الذي تستخدمه من العثور على كتب الفلسفة تحديداً لأنك وصفتها بهذا الشكل. أو لنقل أنك تريد تحديث صفحات الموقع باستخدام برنامج لقواعد البيانات يدعم لغة XML فعندئذ يمكنك تمرير صفحات الموقع من خلال قاعدة البيانات، والتي ستتمكن من التعامل مع هذه البيانات بسهولة لأن هيكلتها موصوفة ومعروفة ضمن الوثيقة. وبكلمات أخرى يمكن لبرنامج قاعدة البيانات أن يأخذ عنصراً مثل "ابن رشد" وأن يضعه ضمن حقل كتب الفلسفة في قاعدة البيانات لأن العنصر موصوف بهذا الشكل 1.

ب. إكس إم إل لتنظيم البيانات

لغة إكس إم إل xml مجموعة من القواعد شبيهة بالتوجيهات أو تعاقدات لتصميم أشكال نصية تُمكن من تنظيم البيانات. إن لغة إكس إم إل ليست لغة للبرمجة وليس من الضروري أن تكون مربجا حتى يمكنك استخدامها أو تعلمها. إكس إم إل تسمح للكمبيوتر بإنشاء بيانات وقراءتها بسهولة نظراً لوضوح هيكلها. تتجنب إكس إم إل الصعوبات المعتادة في تصميم اللغات : إنها قابلة للمدّ ومستقلة بالنسبة للمنصة المستعملة وتساند التّداول والتركيز.²

وقد بدأ تطوير إكس إم إل في 1996 و صارت توصية W3C منذ فبراير 1998، الشيء الذي قد يجعلنا نشكّ أن هذه التكنولوجيا غير ناضجة إلى حدّ ما . وفي الحقيقة إن هذه التكنولوجيا غير جديدة بالمعنى الصحيح للكلمة. وقبل إكس إم إل كانت هناك لغة إس جي إم إل (SGML) تمّت في الثمانينات المبكرة وصارت مقياس أيزو (ISO) منذ 1986، وهي مستخدمة على نطاق واسع

¹ www.xml.com

² Vladimir Gerowenko. "Dictionary of xml technologies and The semantic web" page 151

لمشاريع توثيق كبيرة. و بدأ نموّ لغة إتش تي إم إل (HTML) في 1990 . أخذ مصمّمو إكس إم إل طبعاً ما هو الأفضل في لغة إس جي إم إل، مستفيدين من الخبرة مع إتش تي إم إل، و صنعوا شيئاً لا يقل قوة من إس جي إم إل وإلى حدّ بعيد، أكثر انتظاماً و أيسر استخداماً. لكن تكاد بعض التطورات أن تصبح ثورات¹

ج. إكس إم إل xml هي الأساس لآر دي إف (RDF) و الشبكة الدلالية

آر دي إف ("هيكل وصف الموارد" RDF، Resource Description Framework) معيار W3C ، و هو نصّ على شكل إكس إم إل يُمكن من وصف الموارد و استعمال بيانات حول البيانات مثل قائمة عزف الموسيقى ومجموعات الصّور والفهارس. على سبيل المثال، آر دي إف قد يسمح لنا أن نتعرّف على النّاس في ألبوم صور بالويب باستخدام المعلومات من قائمة اتّصال شخصيّة، ثمّ عميد البريد يمكن أن يبدأ رسالة تلقائياً إلى هؤلاء النّاس يصرّح أن صورهم على الويب. فقط كما أدجت وثائق إتش تي إم إل أنظمة القوائم والاستمارات في بداية الويب الأصليّ، آر دي إف يدمج التطبيقات والوكلاء في ويب دلاليّ. فقط كما أن النّاس يحتاجون أن يحصلوا على اتّفاقية على معاني الكلمات التي يستخدمونها في اتّصاهم، فإن الحواسيب تحتاج لميكانيزمات للاتّفاق على معاني المصطلحات لكي تتواصل فيما بينها بفاعليّة. وكمثال على ذلك أوصاف المصطلحات الرسميّة في مجال معيّن (التّسوّق أو الصّناعة) وتُسمّى أنطولوجيات (Ontologies) و هي جزء ضروريّ من الويب الدلاليّ.²

د. وثائق XML

تقوم لغة XML بوصف الوثائق من خلال تحديد العناصر الأساسية في كل وثيقة. وهذه العناصر هي العلامات markup ولهذا السبب نقول لغة تعليم النص، وهذه العلامات تُستخدم لوصف

¹ Michael Daconta. "Semantic Web" page 78.

² Vladimir Geroimenko "Dictionary of xml technologies and the semantic web" page 112.

الوثائق بعدة طرق. وتستخدم كل وثيقة XML علامات معينة لوصف عناصر الصفحات، كما أن بعض وثائق XML تخضع لتعريفات محددة تُدعى وثائق تعريف النوع Document Type Definitions ووثائق XML الجيدة التكوين Well-Formed والصحيحة valid ، وهما النوعان المستخدمان في لغة XML يجب أن يكونا متوافقين مع معيار XML في حين أن الوثائق الصحيحة يجب أن تتوافق مع وثائق تعريف النص المرتبطة بها، والتي تحتوي على التعريف الخاص بهيكلية الوثائق المستخدمة. إذن فحتى تكون وثيقة XML صحيحة فإنها يجب أن تكون جيدة التكوين ومتوافقة مع مقياس XML كما أن هذه الوثائق يجب أن تُحرر وتُعرض وتُعالج اعتماداً على وثائق تعريف نص محددة وخاصة وبها.

وحتى تكون وثائق XML جيدة التكوين فإنها يجب أن تحقق ثلاثة شروط هي:

1. أن تبدأ الوثيقة بإعلان XML أو XML Declaration بالشكل التالي: `<?xml version="1.0" ?>`

2. يوجد عنصر جذري root element ويحتوي جميع العناصر الأخرى. أو بمعنى آخر

العنصر الأساسي الذي يقوم بوصف هيكلية الوثيقة.

3. لغة XML لا تسمح للمستخدم بتضمين عناصر داخل عناصر أخرى nesting حيث

يجب إقفال علامات كل عنصر قبل البدء بعنصر آخر.¹

هـ. عناصر لغة XML

تتكون وثائق XML من عدة عناصر منفصلة، يمكن إنشاء أو تعديل كلا منها على حدة وهو أحد عناصر القوة في هذه اللغة من حيث القدرة على معالجة أنماط مختلفة من الوثائق. كما أن وثائق XML تتميز بجزئيتها modularity مما يجعلها عالية الانتشار distributed بحيث يمكن وضع عناصر الوثيقة الواحدة على نظم متعددة للرجوع إليها لاحقاً، مع الاحتفاظ بالتسلسل المنطقي

¹ www.xml.com

في الوثيقة الواحدة. والأجزاء الرئيسية في وثيقة XML هي ما يُدعى بإعلان SGML أو SGML في الوثيقة الواحدة. وهذا الجزء ثابت يمكن لكافة أدوات XML فهمه والتعامل معه؛ ثم هناك القسم الخاص بتعريف أنواع البيانات DTD وهو حجر الأساس لكافة وثائق XML والذي يتم فيه تعريف كافة العلامات المستخدمة في الوثيقة لتفهمها المستعرضات أو متصفحات الإنترنت؛ ثم هناك القسم الخاص بتعريف محتوى الوثيقة أو Document instance والذي يتم فيه وصف هذا المحتوى من خلال تعليمه.

وفي لغة XML تلعب هيكلية الوثيقة دوراً هاماً حيث أن جميع أجزاء الوثيقة موصوفة وتعامل معها الأدوات المختلفة حسب موقعها ضمن هيكلية معينة. ويقوم معيار XML بتحديد علامات عامة markup declaration تصف هيكلية الوثيقة، وعلامات تقوم بوضع هيكلية لمحتوى الوثيقة. ويتم استخدام العلامات العامة لوصف الأقسام المختلفة في الوثيقة.¹

ر. التعامل بوثائق الإكسمل XML

* سهولة التعامل

يمكن لمخري الصفحات ومصممي الوثائق أن يعملوا مع وثائق XML باستخدام برمجيات تجارية أو يمكنهم الاعتماد بشكل تام على برمجيات ومحركات مجانية للنصوص. ونسق XML من جداً وبسيط ولا يضع قيوداً على الأدوات المستخدمة سواء كانت بسيطة أو معقدة، ومستوى تعقيد أي مشروع يعتمد لغة XML يعتمد على ما يريده مصممو هذا المشروع وليس على النسق نفسه. فالمشاريع البسيطة لن تحتاج إلى الكثير من التعقيد في حين أن المشاريع المعقدة ستحتاج إلى استخدام أساليب برمجية معقدة.²

¹. المرجع نفسه

². Vladimir Geroimenko "Dictionary of xml technologies and the semantic web" page 114.

* إنشاء الوثائق

إن تحرير وثائق XML هو أهم جزء في نظم المعلومات التي تعتمد تقنية XML وتشمل عملية التحرير استخدام برمجيات تحرير نصوص XML ومحركات النصوص العادية وأيضاً برمجيات تحويل الوثائق من أنساق مختلفة إلى XML وهذه الطرق المتبعة لتحرير XML وتتطلب من منشئي هذه النصوص أن يقوموا بوصف الوثائق حسب نظام تعليم معين، وربما الرجوع إلى وثيقة تعريف نص معينة.¹

وتقدم محررات XML لمصممي المواقع بعضاً من أو جميع مزايا لغة XML مما يؤدي إلى تسهيل إنشاء وتحرير وثائق XML وبفضل استخدام أدوات التحرير والتحقق من صحة النصوص يمكن لكتاب هذه النصوص أن يستخدموا وثائق تعريف النصوص وأن يتأكدوا من اتباع المحررين الآخرين لهذه الوثائق التعريفية. أما وثائق XML الصالحة للاستخدام Valid والتي تم إنشاؤها في محررات نصوص، فلا تدعم ميزة التحقق من الصلاحية، فيمكن تصريف هذه الوثائق والتحقق من صلاحيتها باستخدام برنامج تصريف parser وتسمح معظم أدوات تحرير النصوص بإنشاء وثائق جيدة التكوين well-formed أي أنها تُنشأ من دون وثيقة لتعريف النص ولكنها تُوصف باستخدام علامات من ابتكار محرر الوثيقة. وعند عمل محررات النصوص بأنساق صحيحة وجيدة التكوين يسمح للمحررين أن يختاروا عنصراً جذرياً وأن يصفوا أو يضعوا علامات ضمن وثائقهم، وأن يقوموا ببناء هيكلها أثناء كتابتهم لها. أما أدوات تحرير النصوص العادية فتسمح لنا باستخدام جميع المزايا الموجودة في لغة XML ولكنها لا تقدم للمستخدم أية فعاليات لمساعدة الكاتب أثناء استخدامها، مما يتطلب أن يكون هؤلاء الكتاب من المحترفين في معرفة خبايا لغة XML وأنماط الوثائق التي يقومون

¹. مجلة عالم الكمبيوتر. سبتمبر 2001

بتحريرها، إذا تواجدت أية أنماط خاصة. ويمكن نظرياً إنشاء الوثائق بلغة XML باستخدام أي برنامج لتحرير النصوص، حيث أن وثائق XML هي وثائق نصية. وعند استخدام محررات نصوص عادية لإنشاء وثائق بلغة XML فإنه يجب أن يتم تصريفها للتحقق من أنها جيدة التكوين وصحيحة، ولذلك يجب استخدام مصرّف حيث أن محررات النصوص العادية لا تقدم مثل هذه الخدمات.¹

أما تحويل النصوص من وإلى XML فإن هذه إحدى الفعاليات التي يقوم بها محرر النصوص. ويتطلب ذلك في العادة استخدام مجموعة محددة من القواعد الخاصة بالتعليم، والتي على الأغلب تكون معرّفة في وثيقة لتعريف النصوص، إضافة إلى استخدام برنامج خاص بتحويل الأنساق. وعادة ما تكون عملية تحرير الوثائق بلغة XML خاصة؛ أي أنك لن تضطر إلى كتابة الكثير من الشيفرة البرمجية تماماً مثل البرامج التي تقوم بواسطتها بتصميم صفحات الإنترنت بلغة HTML حيث أن العمليات الأساسية التي يقوم بها من يضعون الصفحات بلغة XML لا تختلف من موقع إلى آخر. ولترجمة الصفحات من وإلى XML يتم استخدام بعض التقنيات مثل XSL و DSSSL وأومني مارك Omnimark كما يمكن استخدام "أومني مارك" لتحويل أية وثيقة نصية إلى XML.

و. أهمية xml

إن استخدام الـ XML في تطبيقات الويب هو سمة أساسية من سمات الويب الجديد²، وذلك للتوسع الحاصل باللغة، حيث تستطيع بلغة XML أن تطور لغة توصيف خاصة وبالتالي عندما تكون لغة التوصيف للبيانات موحدة فإنك تبتعد عن القلق من أن يكون الشخص الذي نرسل إليه البيانات لا يملك برنامجاً لاستعراضها. وبالتالي فإنه يضيع الوقت في الحصول دائماً على توافق في إرسال

¹. مجلة عالم الكمبيوتر. سبتمبر 2001

². Michael Daconta. "Semantic Web" page 92.

البيانات بين الأشخاص على الإنترنت، هذه العبارات أو الشروط مزعجة جداً. إن شخصا ما يرسل لك ملفا و يقول إن الملف هذا يعمل على MsWord بينما لو أن هنالك لغة موحدة لتوصيف النصوص يمكن استعراضها على كل برامج استعراض النصوص، لكان ذلك أسهل. و عن طريق تصميم لغات توصيف مختصة فإننا نبتعد قدر الإمكان عن المزاحمة بالبرامج.

وتعتمد الشبكة العنكبوتية "الإنترنت" في طريقة استدعائها للمعلومة وتحليلها على لغة HTML والمعروفة بسهولةها. والسبب في إعطائها الخاصية السريعة التي هي عليها الآن حيث تعد من ركائز البناء التي تدل المتصفح على الكيفية التي يستعرض بها المعلومات حتى تصل إلى مرحلة العرض على الشاشة لمتلق الخدمة.¹

إن لغة XML أو "استعراض المعلومة المحددة" تعد طفرة في قيادة الأنظمة في الشبكة إلى كيفية استعراض المعلومة والأكثر من هذا هو تحديد وفرز تلك المعلومة. يمكن لتلك اللغة على سبيل المثال أن تقود نظام التشغيل لتحديد مجموعة بعينها من الأرقام أو المواضيع وتحديد وضعها إذا ما كانت مثلاً فاتورة أو "مجموعة دعم" للكمبيوتر، فهي تستدعيها وتعرضها بشكل أفضل وأكثر سهولة. و تعتبر لغة XML أكثر مقدرة لأن مستخدميها يمكنهم تفصيل اللغة على حجم البيانات الموجودة والتحكم في تبادل تلك البيانات.

ويمكن لها أن تكون المقياس الأمثل لانسياب التفاصيل وتبادلها بين برامج الأعمال المختلفة داخل شركة واحدة أو بين مصنعين ومستهلكين، فعلى سبيل المثال إذا طلب المستهلك شراء كاميرا رقمية من موقع اليكتروني معين فإذا كان هذا الموقع يستخدم لغة XML كخلفية ميكانيكية لتبادل المعلومة تستطيع أن تفعل قاعدة بيانات للتأكد من وجود الكاميرا في بند المخزون وتخفز في الوقت نفسه قاعدة بيانات العميل لتمضي قدماً في تفاصيل البيع ثم تتحول بصورة تلقائية إلى وسيط ثالث لحته على تسليم الكاميرا المطلوبة.² XML تستطيع لعب نفس الدور في تطبيقات إدارة خدمات

¹ .www.semanticweb.org/knowmarkup.html

² .www.xml.com

العملاء، حيث يمكن لموظف بنك لديه شكوى على رسوم محسومة على حساب بعينه أن يتأكد من أن نفس صاحب الشكوى لديه حساب تجاري مع البنك للإجابة عليه بصورة صحيحة.

هذا حال استخدام XML والتي يمكن وضع جميع البيانات في قالب واحد متشابه يسمح بكل التطبيقات حيث يمكن تقاسم المعلومات بصورة تمكن من تصحيح الخطأ والتأكد منه. وتحمل هاته اللغة العمل خارج شبكة الإنترنت حيث يمكنها أن تصف المحتوى والهيكلة لمعلومة بعينها وتفعيل العنصرين للعمل بصورة منفصلة حيث يسهل على المحتوى المستعرض بلغة XML والموجود على الشاشة أن يستخدم في غرض ومكان آخر مثل أي جهاز لاسلكي كالجوال مثلاً. ويمكن للغة XML أن تلعب دوراً في خلق روابط بين التطبيقات حيث استخدامها لاستعراض تفاصيل معقدة مثل تلك المتعلقة بالحاسبة أو الصناعة.

رابعا : برنامج شبكة الكلمات أو wordnet

أ. نظرة تاريخية:

في 1985 قام فريق من علماء النفس وعلماء اللغة تابعين لمخبر العلوم المعرفية بجامعة Princeton، يترأسهم الأستاذ G.A.Miller بإنجاز قاعدة بيانات لمفردات اللغة الإنجليزية. ويتعلق الأمر هنا بنظام معجمي مرجعي lexicologique يوضع على شبكة الإنترنت. وقد استنبط هذا البرنامج من نظريات علم النفس اللغوي الحالية والمتعلقة بالذاكرة اللغوية الإنسانية. ولمعينة هذا البرنامج يمكن الإبحار على الموقع التالي: <http://www.caqsi.princeton.edu/uwn>.

إن ظهور علم النفس في القرن العشرين جعله محطة بحث متعددة الاختصاصات. إنه يهتم أيما اهتمام بالقواعد المعرفية للكفاءة اللغوية. وقد بحث اللسانيون وعلماء النفس اللغوي عن العوامل

المحددة لتركيبية المعرفة اللغوية عموما والمعرفة المعجمية على الخصوص. وقد اهتم هؤلاء العلماء على وجه التحديد بالولوج إلى المعاجم الذهنية lexicque mental . وعلى ضوء هذا الاهتمام تبين أن كثيرا من ميزات هاته المعاجم يمكنها أن تستغل في علم صناعة المعاجم.¹

ب. تركيبية شبكة الكلمات:

شبكة الكلمات كما يبق ذكره تتكون من 95600 شكل مختلف للكلمات. منها 51500 كلمة بسيطة و44100 تصنيف أو collocation.

ج. تطبيقات شبكة الكلمات:

لو أخذنا أي معجم من المعاجم لوجدنا أن الكلمات فيه مرتبة ترتيبا أبجديا. أما شبكة الكلمات فإنها مصنفة تصنيفا يعتمد على مفهوم الكلمات. ذلك لأن هذا البرنامج وضع خصيصا من أجل الدراسات في ميدان علم النفس اللغوي وأن واضعيه اعتمدوا بالدرجة الأولى على المعاجم الذهنية من أجل بناء هيكل structure للشبكة أو المعجم.²

ويعتمد اليوم كثير من الباحثين على هذا البرنامج خاصة في ميدان المعالجة الآلية للغة وعندما يتعلق المر بإزالة الغموض الدلالي. وتعالج شبكة الكلمات أي مفردة لغوية من جوانب خمس.

أ. المعالجة الصرفية

ب. المعالجة النحوية

ت. المعالجة الدلالية

ث. إزالة الغموض

¹ http://www.caqsi.princeton.edu/uwn

² Christine Fellbourn "An electronic lexical database". page 56

ج. المعالجة البراغمية أو المقامية

ولدى معاينة شبكة الكلمات تستوقفك السرعة في طريقة تشجير النتائج المتحصل عليها ولعل ذلك ما يجعل منها قاعدة بيانات معترف بها.

وأما عن طريقة عملها فإنها تنظم أو تصنف المادة المعجمية من حيث معاني الكلمات لا من حيث أشكالها، آخذة بعين الاعتبار النظام اللغوي الذهني. وإنك وأنت تستنطق شبكة الكلمات حول كلمة معينة فإنك تجد أن المفردات منقسمة إلى خمسة أصناف:

أ. الأسماء noms

ب. الأفعال verbes

ت. الصفات adjectifs

ث. الظروف adverbs

ج. أسماء التشغيل noms de fonctions

ولأن هذا الصنف الأخير قليل في اللغة الإنجليزية فإنه مستثنى من الشبكة. إذن فنحن عندما ندخل أي كلمة في الشبكة فإنها حتما تنظم إلى صنف من الأصناف المذكورة أعلاه.

وعندما يتعلق الأمر بمجالات الغموض إذ أنه لا يوجد سياق واحد يمكنه أن يبين طبيعة الكلمة؛ والحال هذه فإن الشبكة تعطي كل الاحتمالات الممكنة. وإذا أقررنا بأن شبكة الكلمات تعمل عمل المعجم أيضا فإنها تعمل عملا دلاليا وتعطي معلومات إضافية حول الكلمات المدخلة.¹

إن نظام تشغيل هذه الشبكة يعتمد أساسا على نظام من العلاقات بين الكلمات. هذه العلاقات تنتظم في شكل تراتبي أو تسلسلي. إن لكل تصنيف نحوي دراسة مختلفة: فدراسة الأسماء تختلف عن الأفعال مثلا، وبالتالي فإن هذا يستدعي مختلف العلاقات المعجمية الدلالية التي تشرح الكلمات كالتضاد والترادف synonymie والتجانس homographie والاشتراك اللفظي

¹ . <http://www.caqsi.princeton.edu/uwn>

homonymie وتعدد معاني الألفاظ polysémie غيرها..مثل holonomie·hyponymie .

الفصل الثالث

مبادئ التواصل الاجتماعية

مقدمة:

منذ فترة ليست بالبعيدة كان استخدام الحاسوب حكرا على فئة قليلة من ميسوري الحال، ناهيك عن امتلاك شبكة بيانات، وهو الشيء الذي كان من نصيب ثلة من الشركات العالمية الكبرى. أما الآن فقد أصبح الأمر مختلفا تماما. فالحواسيب صارت ضرورية في نشاطاتنا اليومية، كما انتشرت شبكات البيانات الرقمية بل تخطت حاجز الشركات لتلج البيوت أيضا.

"لقد غير هذا الوافد الجديد (الحواسيب) أنماط معيشتنا وسلوكياتنا ومعها تغيرت طريقة تواصلنا مع بعضنا البعض إذ أصبحت الآلة تشغل حيزا لا يستهان به في مجال التواصل. نحن إذن نقف على عتبة ثورة معلوماتية في شكلها، اجتماعية في محتواها. فمصطلحات مثل ثورة المعلومات وثورة التقنية والمجتمع المعلوماتي ومجتمع الحاسوب ومجتمع اقتصاد المعرفة من المصطلحات البارزة والمتداولة على لسان العام والخاص. فعصرنا عصر المعرفة إذ منح للإنسان قدرات وإمكانات يستكشف بها المجهول ويتعامل بها مع الغامض ويستشرف بها المستقبل. واليوم تبدو الأمور أكثر إثارة بسبب ما هيأته تقنية المعلومات من إمكانات يصعب حصرها"¹.

¹ Rob Cross and Andrew Parker, The Hidden Power of Social Networks, Harvard Business School Press, 2004, p 15.

أولاً: القدرات الخفية في منتديات التواصل الاجتماعي:

1. ثورة اللسانيات الحاسوبية

مع انطلاق ثورة المعلومات والتزايد الهائل للبيانات على الإنترنت، ومع ظهور الهواتف الجواله والذكية والحواسيب اللوحية بوتيرة متسارعة وبشكل غير مسبوق، أصبح هناك مخزون رقمي ضخم يحتاج استيعابه إلى إمكانيات حاسوبية هائلة، حتى يمكن تحويل هذه البيانات التي لا حصر لها إلى معلومات واضحة ومحددة، يمكن الاعتماد عليها في الحصول على إجابات أو المساعدة في صنع القرار، وأصبح هذا العصر يسمى بحق عصر المعلومات.

ووفرة المعلومات في مجملها أمر إيجابي، ولكننا قد نعاني من فيضان أو طوفان المعلومات، بحيث يصبح الحصول على المعلومة أمراً صعباً بسبب كثرة المصادر وتنوعها، وتضارب المعلومات في بعض الأحيان، ومن أجل ذلك انطلقت ثورة أخرى لتوظيف إمكانيات الحاسوب في التعامل مع اللغات الحية، وحدثت طفرة كبيرة في علم يسمى "اللغويات الحاسوبية".

ويأتي هذا الزخم في الوقت الذي أصدر فيه الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، ميثاق اللغة العربية وإنشاء المجلس الاستشاري للغة العربية، بهدف جعل دبي مركزاً لدعم اللغة العربية على أنها لغة الهوية والتراث.

"وقد ارتبط ظهور الحاسوب في أوائل الخمسينيات بمحاولات استخدامه اللغوي في مجالات الترجمة الآلية وإعداد قوائم الكلمات "word lists"، وفهارسها ومواقع ورودها في فهارس النصوص "concordances"¹، ومع تقدم النصوص وتطور أساليبه ظهرت تطبيقاته في اللغة تتفرع حتى شملت عدة مجالات رئيسية هي:

1. استخدام الحاسوب في الإحصاء اللغوي: وتمثيل ذلك في إحصاء الظواهر اللغوية على المستوى الصوتي والصرفي والتركيب.

¹. Muhamed Zakaria Kurdi, Traitement automatique des langues, ISTE Edition, 2017, p 36.

2. استخدام الحاسوب في عمليات التحليل والتركيب اللغويين التي تعد إحدى الخطوات التمهيديّة لمعالجة نظرية اللغة آليا على المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.
 3. استخدام الحاسوب في تحليل النصوص ويشمل ذلك تحقيق النصوص التراثية، والتقييم الكمي لخصائص الأسلوبية لدى الأدباء والشعراء والمفكرين المشهورين.
 4. استخدام الحاسوب في صناعة المعجم، ويشمل ذلك تخزين المعاجم إلكترونيا، وتحليل العلاقات التي تربط بين مفردات المعجم وتحديد السمات الدلالية لها.
 5. استخدام الحاسوب للوصول إلى نظام آلي لفهم السياق اللغوي في صورته المنطوقة والمكتوبة. ولا توال المحاولات مستمرة لتطوير نظام كامل يظم عنصر الدلالة الذي لا يزال بعيدا عن متناول التحليل الآلي الذي غلب عليه الطابع التركيبي.
 6. استخدام الحاسوب في الترجمة الآلية: وهي من أولى المجالات التي بدأها الحاسوب، كما تعد في نفس الوقت إحدى السياقات النهائية التي تصب فيها معظم روافد تنظيم التحليل والتركيب اللويين، ولا تزال تواجه هذا الجانب صعوبات مختلفة أهمها عدم التقابل الكامل بين مفردات اللغات المختلفة، والتباين في نظام الجمل والتراكيب بين اللغات.
 7. استخدام الحاسوب في تعلم اللغات، ونجد أيضا الصعوبات المختلفة في هذا المجال تتمثل في عينات عنصر الكلام المنطوق وانتقاء المواقف الطبيعية للاستخدامات اللغوية.
- "ويعتبر علم اللغويات الحاسوبية من العلوم الحديثة نسبيا، ويهدف إلى استخدام إمكانات وطاقات الحاسوب في تحليل اللغة ومعالجتها، بحيث يسهل استخلاص المعلومات منها أو ترجمتها أو تدقيق الأخطاء فيها، إلى غيرها من الوظائف الكثيرة والمتنوعة".

فمن منا لم يستخدم المدقق الإملائي؟ ومن منا لم يجرب الترجمة باستخدام غوغل؟ ومن منا لا يستخدم البحث على الإنترنت بشكل يومي، مهما اختلفت الأسباب وتنوعت الأغراض؟ هل تعلم أنك في كل هذه الحالات تستخدم أحدث تطبيقات علم اللغويات الحاسوبية؟

ومما تجدر الإشارة إليه، أن اللغة العربية تحتاج لجهد خاص في هذا المضمار، بسبب طبيعتها التي تختلف عن اللغات الأوروبية، وذلك نظراً لثرائها الصرفي وتنوع التراكيب النحوية فيها. فعلى سبيل المثال؛ نجد أن كلمة عربية واحدة مثل "وسيوضحونها" تمثل جملة كاملة، بحيث إن حرف العطف وسين الاستقبال وياء المضارعة، كل ذلك قد سبق الفعل، بينما يتبع الفعل واو الجماعة وضمير المفعول به.. فلا بد لبرامج الحاسب إذن، أن تتعلم كيفية إجراء الفصل بين كل هذه الأجزاء، قبل إجراء أي تحليل للكلمة، بحيث تصير "و- س - ي- وضح - ون - ها."

وينبغي التنويه إلى أن الخطأ في تقسيم الكلمة، يؤدي بدوره إلى خطأ في باقي مراحل التحليل. فعلى سبيل المثال؛ عندما تبحث في محرك البحث غوغل عن كلمات "خليج، الخليج، والخليج، وبالخليج، وخليج"، تحصل على نتائج مختلفة في كل مرة، مع أن الكلمة الرئيسية واحدة.

ومع استمرار الأبحاث سوف تزداد دقة البحث، بل سيصبح ما كان ضرباً من ضروب الخيال العلمي، حقيقة ملموسة. فمثلاً؛ في المستقبل سوف يمكنك أن تكتب سؤالك مباشرة على الإنترنت "ما هو أفضل مطعم في دبي؟" وتأتيك الإجابة مباشرة، وهناك بالفعل أبحاث جادة وبعض التطبيقات التحريية في هذا المجال.

وفي بعض الجامعات في الإمارات، نجد نشاطاً بحثياً ملحوظاً في مجال اللغويات الحاسوبية وتطبيقاتها على اللغة العربية، كالجامعة البريطانية في دبي، حيث تركز الأبحاث في الجامعة البريطانية أساساً، على معالجة اللغة العربية من حيث التحليل الصرفي والإعراب الآلي وبناء المعاجم وتطوير أنظمة التعليم الآلي للغة العربية.

فتهدف أنظمة التعليم الآلي للغة العربية إلى خدمة متعلمي اللغة، سواء من الناطقين بالعربية أو غيرهم، وذلك ببيان الأخطاء في النصوص التي يكتبونها، مثل الخطأ الهجائي، أو في تصريف الأفعال،

أو الأسماء، أو عدم وجود مطابقة بين الفعل والفاعل، أو استخدام الفعل المتعدي على أنه لازم أو الفعل اللازم على أنه متعدي، ويكون ذلك من خلال تطبيق تفاعلي على الإنترنت، وباستخدام أساليب ومصطلحات مبسطة يستطيع المتعلم أن يفهمها.

"ويمكن استخدام أساليب المعالجة الآلية للغة في الكثير من التطبيقات التعليمية، مثل اختيار النصوص في المناهج، والمساعدة في وضع الاختبارات والتقييم، كما تشمل الأبحاث تطبيقات البحث والاسترجاع وتحليل النتائج والوثائق، وربطها ببعضها ومقارنتها بجملة البحث."¹

وبنظرة موضوعية إلى الجهود البحثية المبذولة، نجد أنها تحتاج إلى تضافر الجهود وتوفير الإمكانيات والتنسيق بين الباحثين، وذلك لأن العمل في هذا المجال يعد من الأمور الصعبة، إذ لا بد للباحث أن يتقن الوسائل الحاسوبية كالبرمجيات والإحصاء والاحتماليات، وفي نفس الوقت لا بد له أن يتعمق في فهم اللغة، ويتعرف عن كثب على طبيعتها وخصائصها وكيفية بناء الكلمات والتراكيب النحوية المختلفة فيها، الأمر الذي لن تكون له إلا الآثار الإيجابية على مستقبل اللغة وهوية أبنائها.

2. منتديات التواصل الاجتماعية

إن اكتشاف البريد الإلكتروني والمكتبات الافتراضية وكذا تحميل الأفلام والموسيقى بالإضافة إلى المنتديات والمدونات لم تكن معروفة لدينا قبل اليوم، وجاء الدور الآن على المنتديات الاجتماعية إذ معها أصبح جلياً للعيان أهمية الوسائل الجديدة المتاحة للتواصل وتبادل المعلومات والمعرفة دون أدنى شك من أن مخاطر جمة تترصدنا، وقد نجد أنفسنا في يوم من الأيام نجر إليها جراً. يعتقد بيل غيت بأننا نبدأ جميعنا رحلة كبرى جديدة. ونحن لا نعرف على وجه التحديد إلى أين سوف تؤدي بنا هذه الرحلة.

¹ Poibeau and T. Saggion, Multisource multilingual Information Extraction and summarization, Springer, 2013, p 152.

"إن قرابة 300 شبكة تواصل اجتماعي منتشرة على شبكة الإنترنت تتقدمها facebook, friendster, linked-in, my space, Twitter, viadeo. منها ما هو عام ومنها ما هو احترافي ويقي القاسم المشترك بينهما هو أنه يمكنك من خلال هذه الشبكات الاتصال بالأصدقاء أو زملاء العمل أو حتى الشركات الكبرى المصنعة للماركات العالمية"¹. وتشير الأرقام أيضا إلى أن بليون مستخدم ينتمون إلى facebook وحدها يقضون زهاء خمس ساعات وخمس وثلاثين دقيقة شهريا على منصات التواصل الاجتماعي. وبطبيعة الحال فإن كل الذي يكتب على صفحات المنتديات وكل الذي يقال مسجل في قواعد بيانات ضخمة في حواسيب عملاقة لدى الشركات المختصة في التموين بالإنترنت والتي أغلبية مقراتها لدى AOL في أمريكا. هؤلاء الفاعلون يمثلون أيضا المستهلكين بالمعنى العام للكلمة وهم أيضا زبائن لمؤسسات إنتاجية. ففي سنوات الستينات اضطرت الشركات المنتجة من أجل تسويق بضائعها إلى الاعتماد على التلفزة، وفي مطلع هذا القرن لجأت إلى الإنترنت، واليوم باتت الضرورة ملحة للجوء إلى المنتديات الاجتماعية. ذلك لأن هذه المنتديات تشكل مادة دسمة كونها تمكن هذه الشركات من التواصل مع المستهلك في عقر داره واستقصاء رغباته وأهوائه وتطلعاته.

"وفي تقرير مالي آخر لشركة فايسبوك للربع الأخير من العام 2014، ازداد عدد مستخدمي شبكتها الاجتماعية النشطين شهريا مع نهاية العام الماضي ليصل إلى 1.39 مليار مستخدم. وسجلت فايسبوك زيادة سنوية قدرها 13% بعدد إجمالي المستخدمين النشطين شهريا، و26% بعدد المستخدمين النشطين شهريا من الأجهزة النقالة، والذي وصل عددهم مع نهاية ديسمبر الماضي إلى 1.19 مليار مستخدم."²

"وقدرت الشركة عدد مستخدمي شبكتها الاجتماعية النشطين شهريا عبر الأجهزة النقالة فقط، بنحو 526 مليون مستخدم، وهم الذين يقتصر ولوجهم إلى الشبكة عبر نسخة الويب المخصصة

¹. المرجع نفسه، ص 60.

². <https://www.youm7.com/story/2017/8/14>.

للهواتف أو من خلال التطبيقات. وارتفع كذلك عدد مستخدمي فايسبوك النشطين يومياً إلى 890 مليون مستخدم بنهاية العام المنقضي، وذلك بزيادة نسبتها 18% مقارنة بنهاية 2013، ومن بين هؤلاء 745 مليون يستخدم الشبكة بشكل يومي عبر الأجهزة النقالة¹.

"وكشفت فايسبوك عن تحقيقها لدخل، في كل عام 2014، وصل إلى 12.47 مليار دولار أمريكي، بزيادة نسبتها 58% عن 2013، فيما وصلت الإيرادات من العمليات إلى 4.99 مليار دولاراً. وبلغ صافي أرباح فايسبوك عقب نهاية العام الماضي 2.94 مليار دولاراً، فيما بلغت السيولة النقدية لدى الشركة لكامل العام 3.63 مليار دولاراً، وذلك على الرغم من عقد الشركة لعدة عمليات استحواذ كبيرة².

ويحتل دليل المستخدمين مكانة أساسية في تركيب وهندسة الشبكات الاجتماعية إذ يحتفظ كل فرد أو مستخدم في الشبكة بعنوان خاص، واحد ووحيد يستعمله أينما حل وارتحل وكلما أراد الولوج إلى شبكة من الشبكات. وهو العنوان الذي يمكنه من الحصول على المعلومات ثم تبادلها أو توزيعها ومناقشتها مع المستخدمين الآخرين. هذا العنوان هو النواة أو المحور الذي تبنى حوله قاعدة بيانات مفتوحة open source data base خاصة بالمستخدم والتي يمكنه إثرائها عن علم أو عن غير علم منه كلما أبدى رأيه في مسألة من المسائل التي تعرض عليه في الشبكة. "إن قاعدة البيانات هذه شبيهة إلى حد كبير بالسيرة الذاتية للمستخدم أو الملمح profil تدرج فيها كل المعلومات الخاصة به سواء كانت هذه المعلومات شخصية أو مهنية مثل: الاسم والبلد ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني ومؤسسة العمل والهوايات وحتى نوعية الأصدقاء بالإضافة إلى الكثير من تفاصيل حياته. لأن مجرد نقرة ينقرها المستخدم في الشبكة من أجل إبداء رأيه حول مسألة ما، تسجل له أو عليه وتضاف للملمح بالاعتماد على تقنية pkb. Personal knowledge base أو قاعدة البيانات الشخصية". ويقوم

¹ <https://www.tech-wd.com/wd/2017/03/07>

² Stanley Wasserman and Katherine Faust, Social Network analysis, Cambridge University Press, 1994, p 128.

محرك البحث الخاص بالشبكة بعمليات التصنيف داخل مجموعات متنوعة. فقد يجد المستخدم نفسه متتميا إلى مجموعة محبي كرة القدم ومجموعة موسيقى الراب ومجموعة محبي الأفلام الدينية إلى غير ذلك... وبقراءة سطحية للمنتسبين لهذه المجموعات ترسل كبرى الشركات العالمية المنتجة إشهاراتها ومشاريع منتجاتها وكل جديد لديها عبر البريد الإلكتروني لهؤلاء المستخدمين.

لقد أدركت الدول المصنعة والشركات العالمية الكبرى لدى تسطيرها لسياساتها الاقتصادية أن الحل الوحيد في الترويج لمنتجاتها هو التقرب من المستهلك وبات تواجهها على صفحات الفيسبوك وتويتر أمرا لم يجدوا عنه محيدا. وتبقى الأسئلة المطروحة: كيف يمكن لهذه المنتدىات التواصلية أن تكون الحل الأمثل في السياسة الاستراتيجية التواصلية الخاصة بهذه الشركات؟ هل أصبحت هذه المنتدىات - باعتبارها قواعد بيانات تحتوي على كل ما يقال فيها وما يكتب من خلالها- مرجعا ثريا تغترف منه وتبحث فيها عن ضالتها هذه الشركات؟ إن الحواسيب التي كانت تبدو للوهلة الأولى مجرد آلات حاسبة عملاقة أصبحت اليوم تتحكم في أجزاء كبيرة من حياتنا، فهي اليوم تعالج المعلومات بسرعة رهيبية وترتبها في قواعد بيانات لإعادة استغلالها لأغراض سياسية، اجتماعية واقتصادية. "إن نقرة واحدة قد تبين لك شعبية هذا السياسي أو ذاك أو رواج هذه السلعة أو تلك وغير ذلك. فما هي التقنيات التي يمكن اعتمادها من أجل ترشيح filtrage واسترجاع المعلومة داخل هذا الكم الهائل من المعلومات المتوفر في قاعدة بيانات الشبكات التواصلية؟ وكيف يمكن ثم تصنيفها وترتيبها وفهرستها ثم استغلالها؟ لعل الحل الأمثل في ذلك هو التطوير الدائم لتقنيات البحث القائمة على الذكاء الاصطناعي من جهة واللسانيات الحاسوبية من جهة أخرى"¹.

في نهاية 2005 أجري استرجاع جزئي بجانب مما تداولته المنتدىات الاجتماعية، وتم تحليله وترتيبه ثم تصنيفه حسب دوائر الاهتمامات، وكان من نتائج هذا التحليل:

- قلق جنوبي متعلق بالظواهر المناخية وما يصاحبها من أعاصير وكوارث طبيعية.

¹. Jean Luc Minel, Filtrage sémantique, Hermes Sciences Publications, 2002, p 56.

- شره ثقافي غير مسبوق تطلعا لرؤية بعض النتاجات الثقافية والسينمائية مثل فيلم Harry Potter .

- ارتفاع مذهل في درجة اليأس والحزن بعد الأحداث المؤلمة التي شهدتها مترو الأنفاق في بريطانيا وما تبعها من حقد وكراهية للمسلمين والعرب.

- لم يعرف الأمريكيون درجة تفأؤل مثل تلك التي عرفوها في شهر نوفمبر عندما انتخب أوباما رئيسا لهم.

"إن التحكم في تقنيات الاسترجاع والتحليل للمعلومات المتداولة على صفحات المنتديات الاجتماعية يجعل المتبعين وولاة الأمور وأصحاب القرار في الدوائر السياسية العليا يعرفون وبدقة رغبا واتجاهات وميول الشعوب السياسية والثقافية وغيرها وبالتالي أخذ القرار المناسب في الوقت المناسب حتى يتمكنوا من تفادي الكثير من الصدمات والنزاعات أو على الأقل بعضا من المشاكل التنظيمية"¹.

إن التحكم في وسائل بحث كهذه تمكننا من وضع خارطة - باستعمال محركات البحث- تمثل العلاقات العميقة التي تربط بين الأشخاص والأماكن والأهداف أو الغايات، وبالتالي الحصول على مجموعة تطبيقات فيما أصبح يسمى السياسة الذكية عند أصحاب القرار. سوف يصبح بالإمكان وبدقة تحديد كم مرة قرئ هذا المقال أو ذلك، والشريحة الاجتماعية التي قرأته، بل وعمر هذه الشريحة، ومكان تواجد هؤلاء القراء وتحديد أوطانهم، بل وحتى تفاصيل دقيقة عنهم، وكم عدد النسخ التي بيعت وأين. وأكثر من ذلك إذ يمكن استطلاع آراء القراء ومستخدمي المنتديات الاجتماعية حول هذه الشخصية السياسية النافذة أو تلك، وهل قراراتها راشدة بالتأشير عليها إيجابا أو سلبا بل وحتى تفادي ربيع عربي كان بالأمس القريب قاب قوسين أو أدنى.

¹. Marine Francine Moeus, Information Extraction, Springer, 2013, p 114.

ثانيا: استرجاع المعلومات:

إن عصر المعلومات اليوم يتميز بنقلة نوعية وقفزة هائلة من حيث حجم الوثائق المتوفرة على شبكة الأنترنت وتنوع محتواها، هذه المعطيات وغيرها من الخصائص الإضافية التي أفرزتها التقنيات الحديثة للمعلومات وطرق استخدامها المتطورة، جعلت من الإطار العام للبحث واسترجاع المعلومات عنصرا دائما الحركية والتفاعل مع متغيرات أخرى مرتبطة به كشبكات التواصل عن بعد والبحوث في العديد من المجالات التي تتفاعل مع بعضها البعض من اجل تمكين الباحث من استرجاع المعلومات التي يحتاجها بطريقة آلية سهلة وسريعة.

"ويعد استرجاع المعلومات إلكترونيا أو بطريقة آلية من أهم الموضوعات التي جاءت بها البيئة الرقمية بمتغيراتها المختلفة والمتعددة، والتي أفرزت بدورها في ظل الانفجار المعرفي كميات هائلة ومتسارعة من المعلومات الحديثة، التي يستوجب الوصول إليها واسترجاعها من أجل خدمة نشاطات المجتمع البحثي"¹.

1. مفهوم الاسترجاع الإلكتروني للمعلومات:

استرجاع المعلومات أو كما يطلق عليه في اللغة الفرنسية " extraction des informations " هو عبارة عن مجموعة من الإجراءات أو الخطوات المتعاقبة لإيجاد المعلومات الضرورية أو لإيجاد الوثائق أو نسخ منها". وهو مصطلح يشار إليه في الأدبيات بالرمز المختصر "EI"، والذي يعني التعامل مع بث المعلومات المحوسبة بالطرق والأشكال المختلفة للاسترجاع، وهو يلتقي مع مصطلح تخزين واسترجاع " Stockage et extraction des informations"، والذي يعني إدخال وتخزين مختلف أنواع البيانات والمعلومات، ومن ثم استرجاعها عند الحاجة بأية وسيلة من الوسائل.

¹ Marine Francine Moeus, Ibidem .

وتقوم المكتبات بعملية الحوسبة لتسهيل استرجاع المعلومات، وتقوم بتحميل المعلومات التي تناسب احتياجات الباحثين من وسائط إلكترونية خارجية وعلى رأسها شبكة الأنترنت، التي أصبحت تعد من أهم مصادر استرجاع المعلومات ليس العامة منها فقط، وإنما حتى المعلومات العلمية والتقنية التي تعتبر أساس النشاط العلمي والبحثي للعلماء والباحثين، إذ أن الصورة المعاصرة لتقنية المعلومات تتكون من ثلاثة عناصر أساسية، وهي: الحاسبات الإلكترونية بقدرتها الهائلة على التخزين وسرعتها الفائقة في التجهيز والاسترجاع وتقنيات الاتصال بعيدة المدى بقدرتها على تخطي الحواجز الجغرافية، وكذا وسائط التخزين بفعاليتها الكبيرة في توفير الحيز اللازم لاختزان الوثائق، فضلا عن سهولة التداول والاستنساخ والاسترجاع.

"ويعد الاسترجاع الإلكتروني للمعلومات مرادفا في أغلب الأحيان خاصة في الوقت الحالي لمصطلح البحث عن المعلومات عبر شبكة الأنترنت الذي يعد من أهم خدمات هذه الشبكة، إذ أنه ولمعرفة العنوان الخاص بمعلومة محددة لا بد من وجود مصدر أو محرك بحث يتم ممن خلاله الوصول إلى المعلومات"¹.

2. مهارات استرجاع المعلومات:

تختلف مهارات البحث عن المعلومات من فرد إلى آخر، حسب التوجهات العلمية والتخصصات والقدرات التي يمتلكها الفرد في هذا المجال، والمهارات التي ينبغي أن يمتلكها أي باحث حتى يصل إلى المعلومات التي يطلبها بالتحديد هي:

- مهارة تحديد المعلومات المراد البحث عنها.
- مهارة تحديد موقع أو مواقع الشبابة التي يتم البحث فيها والتي يتوقع وجود المعلومات المطلوبة فيها.
- مهارة وضع استراتيجية للبحث عن المعلومات.
- مهارة إجراء عملية البحث.

¹ Ibid p 186.

• مهارة تقييم المعلومات التي تم التوصل إليها ومن ثم إعادة ترتيبها وتنظيمها من أجل عرضها في شكلها النهائي، ومن المهم قبل الشروع في البحث عن المعلومات وضع خطة لتحديد المعلومات المطلوبة والمعلومات غير المطلوبة، فلا ريب أن الباحث لا يستطيع إدراج أشياء لا يعرف بوجودها ولكن يمكنه وضع ملخص أولي للمواد المطلوبة باستخدام المعرفة الأساسية. فالقراءة والتحدث إلى الآخرين ممن لديهم معرفة ودراية وخبرة بالموضوع تعد جميعها بدايات جيدة للتعرف على الموضوع محل البحث، ومن المفيد للباحث الاشتراك في القوائم البريدية وخدمات الإعلانات والإخطارات والبريد الإلكتروني لجمع المعلومات ذات الصلة بموضوع البحث ومراقبة ومتابعة المستجدات في الموضوع، ومع التقدم في البحث سيتمكن الباحث من إثراء معارفه عن المعلومات والمصادر التي ينقب عنها وفيها. وهناك من يرى أن سلوكيات البحث عن المعلومات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمهارات التي يمتلكها الباحث عن المعلومات، وأن أساليب البحث عن المعلومات تختلف بحسب الموضوعات التي يبحث فيها الباحثون، وأن مراكز المعلومات والمؤسسات حاولت ربط المستخدمين منها بأحدث التطورات في مجال اختصاصهم، ومن ثم تحسين أساليب بحثهم عن المعلومات، ومن خلال خدمات الإحاطة الجارية والبريد الإلكتروني للمعلومات من خلال الوسائل المطبوعة أو الإلكترونية.

3. استراتيجية استرجاع المعلومات في البيئة الرقمية:

قبل الشروع في عملية البحث لا بد من تحليل وصياغة الطرق الأفضل التي يمكن من خلالها الإجابة عن استفسار بحثي معين بواسطة نظام استرجاع آلي، واستراتيجية البحث في البيئة الرقمية هي عبارة عن المنهجية التي يتبعها الباحث أثناء محاولته استرجاع المعلومات من شبكة الأنترنت. وهي تمثل صيغة من صيغ التخاطب المتبادل بين الباحث ونظام استرجاع المعلومات على الأنترنت حيث تعتبر صياغة استراتيجية البحث من أهم أساسيات البحث المعلوماتي داخل شبكة الأنترنت والتي تمكن من الوصول إلى النتائج البحثية الجيدة، إذ يحتاج البحث عن المعلومات عبر شبكة الأنترنت في ظل البيئة الرقمية إلى وضع واتباع خطوات علمية وعملية مدروسة تمكن من الوصول إلى المعلومات المناسبة والوفائية، وفي الوقت المناسب، وهناك عدد من الخطوات الواجب اتباعها وتنفيذها في عملية البحث عن المعلومات العلمية والتقنية في ظل البيئة الرقمية يمكن تحديدها فيما يلي:

1. بداية البحث: إذ يبدأ البحث بعد تحديد أغراض وأهداف البحث أولاً، والمعرفة الكافية والفهم المطلوب لحاجة الباحث إلى المعلومات من حيث كمية المعلومات ونوعيتها.
2. اختيار نظام البحث: وذلك من خلال تحديد قاعدة البيانات، نظام استرجاع المعلومات أو موقع الشبابة الذي سيتم البحث فيه عن المعلومات المطلوبة.
3. تحديد واختيار المصطلحات والكلمات المفتاحية المناسبة للبحث والتي تترجم الاحتياجات البحثية وعلاقتها المتداخلة.
4. استخدام المصطلحات والكلمات المفتاحية في ضوء استراتيجية البحث المناسبة عبر استغلال الأدوات التي تعمل على تضيق أو توسيع البحث من أجل الوصول إلى النتائج البحثية المرضية.
5. ظهور النتائج البحثية أو ما يطلق عليها اسم مخرجات عملية البحث، وذلك من خلال حصول الباحث على قائمة بمواقع الشبابة حول الموضوع الذي بحث عنه.
6. تقييم المعلومات المسترجعة على ضوء الاستراتيجية المطبقة: فإذا كانت المعلومات المسترجعة كافية بالغرض فإن ذلك غالباً ما يكون معناه أن استراتيجية البحث، وما يتبعها من خطوات سليمة وموفقة وذات مردودية جيدة، أما إذا كانت المعلومات المسترجعة غير كافية وغير وافية بأغراض البحث فإن ذلك غالباً ما يعود إلى الخلل في خطوة أو أكثر من خطوات البحث وأن استراتيجية البحث تحتاج إلى تعديل وهنا يعود الباحث مرة أخرى إلى الخطوة الثالثة ثم يتابع عملية البحث.

4. تقييم الاسترجاع في البيئة الرقمية:

بالنظر إلى أن الوثائق والمعلومات المسترجعة من شبكة الأنترنت تكون مزيجاً من المعلومات متباينة الجودة وتتراوح بين المصادر التي يعتد بها والمواد الزائفة، فقد كان لزاماً على الباحث أن يتسلح بالقدرة على تقييم المحتوى الذي يسترجعه عبر هذه الشبكة، ونظراً لصعوبة قياس دوافع الباحثين عن المعلومات بطرق كمية ومع التباين الكبير بين باحث وآخر في الحكم على صلاحية نفس المعلومات المسترجعة أضحت بعض نظم استرجاع المعلومات الآلية

معقدة في إجراءاتها وغير دقيقة في نتائجها لهذا اجتهد العديد من المختصين في ابتكار معايير وأساليب لإجراء تقييم شامل لهذه النظم، ومن ثم تقييم لعمليات الاسترجاع والنتائج التي تفضي إليها.

وهناك ثلاثة مستويات يمكن من خلالها تقييم نظم استرجاع المعلومات الآلية وهي:

1. فعالية النظام التي تتصل برضا الباحث عن النتائج البحثية.
 2. تقييم فعالية التكلفة التي تتصل برضا الباحث عن الكفاءة الداخلية للنظام.
 3. تقييم عائد التكلفة المتصلة بأهمية النظام مقابل تكاليف تشغيله.
- ومن المعايير التي يمكن استخدامها لتقييم نظم الاسترجاع ممثلة في أداءات البحث عبر الشابة ما يلي:

1. عملية الاتفاق "resolution" وهو مجموع التسجيلات التي يوجه النظام بهدف استرجاعها.
2. عامل العزل "isolation" وهو مجموع التسجيلات التي يوجه النظام بعدم استرجاعها.
3. عامل الاسترجاع "retrieval" وهو مجموع التسجيلات التي قام النظام باسترجاعها فعلا من مجموع التسجيلات الموجودة في النظام.
4. عامل الملاءمة "pertinence" ويقصد به مجموع التسجيلات التي استرجعها النظام وتبين بعد الاختبار ملاءمتها لاحتياج البحث.
5. عامل التشويش "noise" وهو مجموع التسجيلات التي استرجعها النظام وتبين بعد الاختبار عدم ملاءمتها لاحتياج البحث.
6. عامل الحذف "omission" ويقصد به مجموع التسجيلات المناسبة في النظام والتي عجز النظام عن ارجاعها.
7. مقاييس الاستدعاء والدقة "precision and recall" حيث يعد الاستدعاء مقياسا لقدرة النظام على استرجاع النظام المعلومات المتصلة بموضوع البحث، بينما تعتبر الدقة مقياسا لقدرة النظام على استبعاد التسجيلات التي ليست لها صلة بموضوع البحث.

ولا بد أثناء تقييم نتائج نظم استرجاع المعلومات الآلية من التركيز على استراتيجية البحث كوحدة من وسائل تحديد أسباب حدوث نجاح أو إخفاق في عملية البحث، ولقد كان من السهل حساب المقاييس التقليدية للأداء الخاص بنظام استرجاع المعلومات عن طريق حساب معدلات الاستدعاء والدقة ، أما الآن فقد أصبحت هذه الحسابات غير عملية مع الحجم الهائل للوثائق على الشبكة، وبالتالي فقد أصبح الباحث يواجه مشكلة أساسية بالنسبة للاستدعاء في هذا النظام الجديد لاسترجاع المعلومات، ومع ذلك فقد توصلت العديد من التجارب إلى ابتكار أساليب جديدة لتقدير الاستدعاء عن طريق التعرف على مخرجات الكثير من البحوث لنفس السؤال أو الاستفسار، ثم تجميع التسجيلات المتعلقة، وهنا يتم الحصول على استدعاء نسبي وليس مطلقاً، ذلك أن البحث لم يأخذ في اعتباره المواد المتعلقة " relevant " أي المواد الصالحة والتي فشلت العملية البحثية في استرجاعها.

5. معوقات استرجاع المعلومات:

تعرض الباحث أثناء قيامه بالبحث عن المعلومات العلمية والتقنية ومحاولة استرجاعها في إطار سعيه لجمع مادته العلمية الضرورية لممارسة نشاطاته العلمية والبحثية العديد من المعوقات نذكر منها:

أ. المعوقات اللغوية:

تشكل اللغة عائقاً في عملية الحصول على المعلومات العلمية خاصة وأن الدول التي تتيح المعلومات وتمتلك التكنولوجيا هي التي تفرض لغتها، ولقد أثبتت التجارب بأن اللغة أصبحت تمثل عائقاً بالنسبة للدول النامية في تحصيل المعلومات عامة والمعلومات العلمية خاصة، ومع الانفجار المعرفي والتطور التكنولوجي الحاصل في جميع المجالات أصبحت اللغة الإنجليزية هي اللغة السائدة والمهيمنة وبالتالي فإنه من لا يتحكم في هذه اللغة فسوف لن يتحكم في تطور المعلومات والمعارف المتاحة في أغلبها بهذه اللغة.

ب. المعوقات التكنولوجية: إن استخدام التقنيات الحديثة في عمليات الاتصال وكذا

الوسائل التكنولوجية لتناقل المعلومات قد يصادف مجموعة من العراقيل، إذ تعتبر المعوقات

التكنولوجية من أهم العراقيل التي تعترض الباحث في تحصيله للمعلومات العلمية إما لقلة توافر هذه الوسائل التكنولوجية أو لجهل الباحث بطريقة استخدامها.

ج. المعوقات التشريعية والقانونية: إذ يواجه العالم حالياً مشكلة تداول التعليمات العلمية بحكم الصعوبات القانونية كحقوق المؤلف وعدم شرعية إعادة النسخ غير المؤسس، التي من شأنها أن تقف حجر عثرة في وجه الحصول على المعلومات، وبظهور الأنترنت التي فتحت الحدود بين الدول متجاوزة كل الفوارق اللغوية، الزمانية والجغرافية تفاقمت العوائق القانونية إذ يصعب معها كشف عمليات القرصنة وتجريم المعتدين على حقوق الملكية الفكرية.

د. المعوقات المالية: إن الحصول على المعلومات العلمية وتبادلها أصبح يسلمز الإنفاق الكبير كالإشتراك في بنوك المعلمات، وقواعدها والتي تستلزم دفع الكثير من أجل ضمان توفير واستمرار الخدمة، ولذلك تعتبر مشكلة الميزانية وضعف الجانب الإقتصادي والمالي للباحث من أهم معوقات البحث واسترجاع المعلومات العلمية، كما أن المعلومات أصبحت تكتسي اليوم الطابع الإقتصادي من خلال اعتبارها كسلعة تساهم في الدخل الفردي والقومي.

هـ. المعوقات النفسية: إن انعدام روح المطالعة والبحث تشكل حاجزا رئيسيا في تحصيل المعلومات العلمية المطلوبة، كما أن العوائق التكنولوجية تعتبر في حد ذاتها عوائق نفسية. فعدم تحكّم الباحث في استراتيجيات البحث عن المعلومات العلمية وعدم إلمامه بإمكانات وأدوات البحث تجعل منه ينفّر من استخدام هذه الأدوات، وبالتالي التقليل من حظوظه في الحصول على المعلومات العلمية والتقنية.

ثالثا: ترشيح المعلومات: " filtrage des informations "

يمكن تصنيف هذه الترشيحات داخل مجموعات ثلاث:

1. الترشيح المعرفي: " cognitif " ويتخذ من المحتوى أساسا له.
 2. الترشيح التعاوني: " collaboratif " ويتخذ من تقييم المستخدم للموارد المستعملة أساسا له.
 3. الترشيح الهجين: " hybride " وهو نوع يزاوج بين الترشيحين السابقين.
- إن الترشيح الذي يتخذ المحتوى أساسا له ينظر له على أنه نظام بحث عن المعلومات، حيث الاستنطاق " " يلعب دور الترشيح " " الدائم.

وهذا النوع من الأنظمة يعتمد على صيرورة ذات مرحلتين:

الأولى: وتمثل اختيار الموارد الموافقة للملح المستخدم.

الثانية: وتمثل عملية تحيين ملح المستخدم بعد الحصول الدوري على النتائج.

وتتلخص مزايا أنظمة الترشيح المعرفي في أنها تمكننا من جمع وربط كل وثيقة أو مجموعة وثائق إلى ملح المستخدم وذلك باستخدام تقنيات الفهرسة والذكاء الاصطناعي. إلا أن هذا النوع من الأنظمة أبدى محدودية يمكن تلخيصها فيما يلي:

- عامل (القمع): حيث أن احتياجات المستخدم تصبح أكثر فأكثر نوعية، وهذا يمنعها من الحصول على تنوع في المواضيع.
- أما الترشيح الذي يعتمد على عامل الموضوعاتية وحسب، فإنه تغيب فيه عناصر عدة كالنوعية العلمية، أو الشريحة المقصودة في المجتمع، وحتى الهدف الذي يصبو إليه المستخدم.

أ. الترشيح التعاوني: " collaboratif " ويعتمد هذا الترشيح على المبدأ القائل بأنه علينا أن

نستفيد مما سبق، وإن وجدته وقيمه الآخرون. وإذا اعتبرنا بأن هذا النوع من الأنظمة لا يعتمد

على المحتوى، فإنه بالتالي يقوم بترشيح كل شيء: "معطيات نصية، صور، أشرطة فيديو، وغير ذلك..." وهو على النقيض مبني على مبدأ تكوين ملامح الاستعمال. وتتكون هذه الملامح مع كل تقييم يقوم به المستخدمون. ويقوم هذا النوع من الترشيح على طرق ثابتة يمكن أن تبني تنبؤاتها على تقييم المستخدمين. وتستعمل هذه التنبؤات لاستصدار اقتراحات مبنية على بين الملمح الشخصي ولامح المستخدمين الآخرين الذين يتقاسمون اهتمامات مشتركة. وغالبا ما يكون الترشيح التعاوني مبنيا على ما يلي:

- جمع ملاحظات المستخدمين حيث أنهم غالبا ما يقومون بتقييم على شكل نقاط تخص مثلا: النوعية وغير ذلك...
- إدماج هذه المعلومات في ملمح المستخدم.
- يقوم النظام بإدراج هذه المعلومات من أجل القيام بالطلبات المناسبة " " . وهذا النوع من الترشيح غالبا ما يستعمل في المجال التجاري بحيث يمكن البائع من المزيد.

ب. الترشيح الهجين: "Hybride"

من خلال تتبع إيجابيات وسلبيات المقاربتين السابقتين نفهم أهمية مقارنة أو مقاربات تعتمد على دمج المقاربتين من أجل التقليل من النقائص.

وعملية تهجين الطرق يمكن أن تتم بأشكال مختلفة منها: التغيير التكميلي، والتركيب، والدمج، والارتفاع الوظيفي وغيرها.

وفيما يبقى اعتماد أنظمة الترشيح ذا أهمية كبرى خاصة فيما يتعلق بالإنترنت، فإن التحدي يكمن في تطوير طرق وتطبيقات بإمكانها جعل هذه الأنظمة أكثر دقة، وأكثر فاعلية وخاصة أكثر ملاءمة للسياقات المختلفة. ويتمثل هذا التطوير في اقتراح مقاربات يمكنها تطوير هذه الوظائف¹.

¹. Jean Luc Minel, Ibid, p 187.

رابعاً: القدرة الكامنة في البيانات الضخمة " Big Data "

تنتج المؤسسات والأفراد والآلات والأجهزة كميات هائلة من البيانات بمعدلات متسارعة .وعلى المستوى العالمي، يتوقع أهل الاختصاص أنه بحلول عام 2018 ، من المتوقع أن يولد كل هاتف ذكي 2 جيجابايت من البيانات شهرياً . ويعزى هذا النمو السريع في إنتاج البيانات إلى انتشار الأجهزة والأنظمة المتصلة بالإنترنت، والتحول من أجهزة البث التناظري الى التقنيات الرقمية، والاستخدام المتصاعد والسريع لوسائل الإعلام الرقمية من قبل المؤسسات والأفراد . كذلك نجد أن حصة إنتاج البيانات غير النظامية عبر وسائل التواصل الاجتماعي ومقاطع الفيديو والصور هي حالياً أكبر من حصة البيانات النظامية .بالإضافة إلى الكميات الهائلة من البيانات التي يتم إنتاجها وتخزينها وإتاحتها عبر الشبكات حالياً، ازدادت القدرة على معالجة البيانات بشكل كبير، حيث يمكن الآن إجراء تحليلات معقدة على مجموعات كبيرة جداً من البيانات .فالبيانات التي كان ينظر إليها سابقاً وكأنها غير مهمة، يمكن الآن أن تضيف معلومات غاية في الأهمية عند دمجها مع بيانات من مصادر أخرى .فقد أصبح من الممكن معالجة كميات كبيرة من مجموعة بيانات متنوعة بسرعة عالية (في الوقت الفعلي)، وهي الخصائص التي يتضمنها تعريف البيانات الضخمة، بالإضافة إلى كونها ذات قيمة وموثوقية.

وعلى الصعيد العالمي، "من المتوقع نمو سوق تكنولوجيا البيانات الضخمة والخدمات المتعلقة بها بمعدل أسرع بحوالي سبع مرات من سوق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ككل .ويعتقدون أيضاً أن البيانات الضخمة تمر الآن بذروة مرحلة التضخم ويتوقع أن تصل إلى القمة الإنتاجية خلال نحو خمس إلى عشر سنوات، أي بعد بضع سنوات من الحوسبة السحابية"¹.

¹ . سانجيف رانجان داس، القوة الضخمة للبيانات الضخمة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص 14.

وهناك عدة عوامل تسهم في التوقعات العالية فيما يتعلق بالبيانات الضخمة في الوقت الحاضر، من بينها:

● النمو المتسارع للنطاق العريض (الثابت والجوال) فائق السرعة.

● الطاقة المتعاضمة للحوسبة السحابية.

● النفاذ إلى تكنولوجيات البيانات الضخمة بطرق أسهل وأرخص.

● تقدم وسائل الاتصال والتواصل بين الآلات (آلة إلى آلة).

ومع ذلك، ما زال استخدام البيانات الضخمة منخفضاً نسبياً.

ولا شك أن إمكانية الاستفادة من بيانات موجودة بالفعل في مؤسسة ما على نحو أفضل، يمثل ميزة كبيرة لأي مؤسسة. وربما كانت فرص ابتداء أفكار ورؤى جديدة من خلال تحليلات البيانات الضخمة أكثر وضوحاً في القطاعات التي تتمتع بكثافة البيانات، مثل الرعاية الصحية والمرافق العامة والنقل والتعليم والمالية والعلوم والحكومة.

وبتعزيز فهمها لعملائها ومستخدمي خدماتها، يمكن لهذه المؤسسات أن تقدم خدمات أفضل وأكثر كفاءة لعملائها. على سبيل المثال، فقد أنشأت الوزارة فريقاً لبحث وتحليل وسائل التواصل الاجتماعي، ومن خلال تحليل كميات كبيرة من البيانات من مصادر مثل تويتر، وفيسبوك، والمدونات، ومنتديات الانترنت، يوفر الفريق لصناع القرار معلومات آنية وشاملة عن الموضوعات التي تتم مناقشتها على الانترنت.

بينما يمكن لتحليلات البيانات الضخمة أن تضيف قيمة كبيرة للمؤسسة، من المهم تحديد العمليات التي ستوفر رؤى وأفكاراً شاملة ودقيقة وقابلة للتنفيذ. "ومن المتوقع توفير الكثير من المال في حالة تطبيق المؤسسات والجهات الحكومية ممارسات إدارة البيانات التي تراعي المتطلبات المحددة

لتحليل البيانات الضخمة . كذلك يمكن للبيانات المستمدة من مصادر مختلفة داخل أو خارج المؤسسة أن تضيف قيمة كبيرة لوظائف متعددة ولأغراض متعددة، شريطة توفر المزيد من الشفافية . كذلك يمكن إعادة استخدام بيانات تم جمعها لغرض معين في غرض آخر، ما يؤدي إلى تقليل الحاجة إلى عمليات جمع البيانات التي قد تكون مكلفة وتستغرق وقتًا طويلاً في بعض الأحيان¹ .

من شأن تحليل البيانات الضخمة أن يساعد في التوصل إلى فهم أكثر شمولاً وتفصيلاً لخصائص واحتياجات الأفراد والمجموعات المختلفة، وذلك عن طريق إدراج أجزاء متعددة ومتباينة من البيانات في عملية التحليل . وبالتالي، يمكن أن تكون الخدمات والعروض المقدمة لهذه الجماعات أو الأفراد أكثر تخصيصاً وملاءمة، ويكون التواصل والتفاعل معها أكثر كفاءة . ونتيجة لذلك، من المرجح ارتفاع مستوى الرضا بين العملاء .

يمكن للبيانات الضخمة أيضاً تعزيز كفاءة ودقة التحليلات التنبؤية، فعلى سبيل المثال، يمكن التنبؤ بالتغيرات التي تطرأ على الرغبات المفضلة والسلوكيات بين مجموعات محددة من العملاء بسهولة أكبر، حتى تتمكن المؤسسات من التخطيط لها بشكل أكثر فعالية .

من الممكن أيضاً استخدام البيانات الضخمة لاكتشاف فرص خفض التكاليف وما يمكن اكتسابه من تعزيز الكفاءة، من خلال التحليل الشامل للعمليات التنظيمية والتشغيلية المختلفة . وبالإضافة إلى المكاسب المتعلقة بالإنتاجية، من الممكن كذلك ازدياد فرص التوصل إلى مختلف أشكال الابتكارات . تصاحب عمليات النفاذ إلى الحوسبة السحابية، وتقنيات البيانات الضخمة، وقدرة المعالجة الاستثنائية وغير المسبوقة، تحديات جديدة تتعلق بالأمن والخصوصية . وتعتبر قضايا الخصوصية والسرية في تحليلات البيانات الضخمة من المخاوف الرئيسية على مستوى العالم وكذلك في قطر، كما عبر عن ذلك المشاركون في المائدة المستديرة للوزارة . فمن خلال تحليل بيانات مجهولة الهوية من عدة مصادر،

¹ . المرجع السابق، ص 45 .

ويمكن مثلاً، التعرف على هوية الأفراد من مجموعات البيانات بدرجة عالية من اليقين. وعلى الصعيد العالمي وكذلك في قطر، لا يثق المستهلكون والمؤسسات كثيراً بأن بياناتهم الخاصة لن يساء استخدامها، سواء عن طريق الخطأ أو عن قصد. ولعل ثقة الجمهور في الجهات والمؤسسات الحكومية شرط أساسي لموافقة سكان العالم على أن إجراء تحليل للبيانات الضخمة يتم دون المساس بخصوصياتهم.

وكالعادة، ظلت اللوائح التنظيمية هي الأساس في حماية حقوق الخصوصية والنزاهة. ومع ظهور الحوسبة السحابية والبيانات الضخمة، أصبحت هناك حاجة ماسة أيضاً إلى استخدام أساليب فنية لمعالجة قضايا الأمن والخصوصية. وينبغي أن تتضمن مثل هذه الأساليب الاتصالات الآمنة، وجمع البيانات وتخزينها بشكل آمن، وكذلك التحكم في النفاذ إلى البيانات الحساسة. ومن شأن الأساليب التي تحافظ على البيانات الشخصية مجهولة أن تحمي خصوصية أي فرد معين مع الاحتفاظ بالمستوى المطلوب من الدقة في التحليل. ومع استحداث الشبكات الجواله ذات السرعة العالية وانتشار الهواتف الذكية، أصبح من الممكن للمستهلكين قبول/رفض تداول أو استخدام بياناتهم الشخصية آتياً وفي الوقت الحقيقي. وتستوجب هذه الفرصة للرفض أو القبول، قيام المؤسسات الراغبة في استخدام هذه البيانات بتوضيح المزايا التي ستعود على الفرد نتيجة لهذا الاستخدام.

"ويعتمد تحليل البيانات الضخمة على البيانات التي يمكن اكتشافها والوصول إليها واستخدامها، ويجب أن يتم جمع البيانات وتخزينها واستخدامها وإدارتها وفقاً لجميع القوانين واللوائح ذات الصلة. ولتحقيق الإمكانيات الكاملة للبيانات الضخمة، يتعين على الإدارات والجهات الحكومية تركيز اهتمامها على جعل أكبر قدر ممكن من البيانات مفتوحة ومتاحة"¹.

¹. المرجع السابق، ص 46

والخلاصة هي أن تحسين جودة البيانات من خلال توحيد واجهات برمجة التطبيقات ونماذج البيانات والبيانات الوصفية، من شأنه أن يفضي إلى قدر أكبر من سهولة استخدام الجهات الحكومية والمؤسسات للبيانات الضخمة، مع خفض التكاليف وتحسين الإنتاجية على نحو مستدام.

كما تعد البيانات الضخمة من المجالات الجديدة والمعقدة التي تتطلب من المؤسسات اجتذاب موظفين ذوي مهارات جديدة ومتنوعة في تخصصات تشمل البحوث والإحصاء والتحليل، إضافة إلى تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وكذلك فهم متعمق للمجال. ولعل تنمية مثل هذه المهارات الشاملة تشكل تحدياً لأي نظام تعليمي. وتشير التقديرات أنه سيتم الإعلان عن حوالي 4.4 مليون وظيفة في مجال البيانات الضخمة على مستوى العالم في عام 2015، وسيتم شغل ثلث هذه الوظائف فقط.

إن للقدرة على إجراء مسح لكميات كبيرة من البيانات، والجمع بين بيانات من عدة مصادر للتوصل إلى تحليل أكثر شمولاً ومزايا واضحة لا تخفى على أحد. كذلك لا خلاف في أن إطلاق شبكات عالية السرعة والفعالية من شأنه تمكين قطر من استخدام البيانات الضخمة على نطاق واسع. ومن المتوقع أن يعتمد صناع القرار وواضعو السياسات في جميع القطاعات أكثر فأكثر على الأفكار المستمدة من تحليلات البيانات الضخمة في المستقبل.

ومع استمرار نضج البيانات الضخمة وتقنيات الحوسبة السحابية، سيتحول التركيز من كيفية تخزين ومعالجة كميات كبيرة من البيانات إلى كيفية اتخاذ قرارات مدروسة ودقيقة وفعالة وزهيدة التكلفة. وقد يتطلب ذلك إحداث نقلة نوعية في كيفية إدارة البيانات وتحليلها، كما يبين الشكل أدناه.

وكخلاصة يمكن القول: تنطوي البيانات الضخمة على مستقبل واعد للغاية لكافة القطاعات في قطر. غير أن هناك حاجة إلى تعزيز ثقة الجمهور في المؤسسات والهيئات الحكومية حتى يُقبل أفراد المجتمع على استخدام تحليلات البيانات الضخمة بشكل كامل.

لذا، ينبغي على المؤسسات والهيئات الحكومية التأكيد بما لا يدع مجالاً للشك على أن تطبيق نظام البيانات الضخمة لن يمس خصوصية وسلامة الأشخاص. كذلك لا بد من تطبيق قانون حماية البيانات والخصوصية على النحو الذي يؤكد مدى حرص الحكومة والتزامها بمعالجة قضايا الخصوصية، علاوة على استخدام الحلول التقنية المناسبة بقدر الإمكان.

يشكل ما يعانيه السوق العالمي والمحلي من نقص في خبراء البيانات الضخمة وكذلك في المستخدمين المهرة، تحدياً كبيراً أمام اعتماد البيانات الضخمة. وفي هذا الصدد، على المؤسسات التعليمية الأطراف المعنية بالصناعة بذل جهود مشتركة لتحديد المهارات المطلوبة لإدارة البيانات الضخمة وتوفير المواد التعليمية والتدريبية اللازمة لذلك .

ويمكن أن يصل العالم الآن إلى بيانات أكثر مما كان يمكن تصوره، حتى منذ عقد مضى. وتقوم الشركات بتجميع بيانات جديدة بمعدل أسرع من قدرتها على تنظيمها وفهمها. وعليها الآن اكتشاف كيفية استخدام هذا الكم الضخم من البيانات لاتخاذ قرارات أفضل وتحسين أدائها.

ويسعى هذا المجال الجديد المعني بعلوم البيانات إلى استخلاص المعرفة التطبيقية من البيانات، وخاصة البيانات الضخمة، وهي المجموعات الكبيرة جدا من البيانات التي يمكن تحليلها للكشف عن أنماط واتجاهات وارتباطات. وتمتد علوم البيانات من جمع البيانات وتنظيمها إلى تحليلها والحصول على رؤى منها، وفي النهاية إلى التنفيذ العملي لما تم تعلمه. ويتداخل هذا المجال مع كافة الأنشطة البشرية — والاقتصاد، والتمويل والأعمال ليست استثناء. وتجلب علوم البيانات أدوات التعلم الآلي، وهو نوع من أنواع الذكاء الاصطناعي الذي يعطي للحواسيب القدرة على التعلم بدون برمجة فعلية. لدى هذه الأدوات، مقترنة بالكميات الضخمة من البيانات، القدرة على تغيير ساحة إدارة الأعمال وتحليل السياسات الاقتصادية.

وتبشر بعض من هذه التغيرات بكثير من الوعود.

1. تحديد ملامح المستهلكين

إن النمو السريع في تطبيق علم البيانات في الأعمال ليس أمراً مفاجئاً نظراً لقوة الاعتبارات الاقتصادية في هذا العلم. ففي السوق التنافسية، يدفع جميع المشترين نفس السعر، وإيرادات البائع تساوي هذا السعر مضروباً في الكمية المباعة. غير أن هناك الكثير من المشترين الذين لديهم استعداد لدفع أكثر من السعر التوازني، ويحتفظ هؤلاء المشترين بفائض استهلاكي يمكن استخراجَه باستخدام البيانات الضخمة لتحديد ملامح المستهلكين.

"كما أن تحميل المستهلكين أسعار مختلفة استناداً إلى ملامحهم التي تم تحليلها يتيح للشركات إمكانية الحصول على أعلى سعر يكون المستهلك على استعداد لدفعه مقابل منتج معين ويكون لديه القدرة على دفعه. ويكون تحديد أمثل تمييز سعري أو تجزؤ للسوق باستخدام البيانات الضخمة مربحاً للغاية. وكانت هذه الممارسة هي العرف السائد في بعض الصناعات، مثل صناعة الطيران، ولكنها تمتد حالياً عبر طيف واسع من المنتجات"¹.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن المكاسب من الاستهداف السعري تمكن الشركات أيضاً من تقديم خصومات للمستهلكين الذين لم يكن بوسعهم تحمل السعر التوازني بخاف ذلك، مما يزيد بالتالي الإيرادات ويوسع قاعدة المستهلكين، ومن المحتمل أن يزيد الرفاهية الاجتماعية. ويعتبر تحديد ملامح المستهلكين باستخدام البيانات الضخمة سبباً مهماً للتقييمات العالية لشركات مثل فيسبوك وغوغل وأكسيوم، التي تقدم منتجات وخدمات تعتمد على بيانات عملائها. وفي حين أنه يمكن استخدام البيانات الضخمة لاستغلال المستهلكين، فإنها تغير أيضاً الممارسات التجارية بطريقة تساعد هؤلاء المستهلكين أنفسهم. "وتستخدم الشركات البيانات التي تولدها التفاعلات بين الناس عبر وسائط

¹. سانجيف رانجاس داس، المرجع السابق ص 195.

التواصل الاجتماعي لفهم سلوكهم الائتماني بشكل أفضل. ويؤدي ربط التاريخ الائتماني السابق للناس بتواجدهم على وسائل التواصل الاجتماعي إلى تحسين نظم قياس الجدارة الائتمانية. كما يسمح للمقرضين بتقديم الائتمان إلى الناس الذين قد لا يحصلون على ائتمان بخاف ذلك¹.

وعلى وجه الخصوص، تقضي البيانات الضخمة على التحيزات الناجمة عن القرارات التي يتخذها الناس على أساس معلومات محدودة. وأدى هذا النقص في البيانات الفردية الدقيقة إلى الرفض التمييزي لطلبات الحصول على قروض، وهي ممارسة يعود تاريخها إلى ثلاثينات القرن الماضي. فيرسم مقرضو الرهون العقارية خطوطاً حمراء حول مناطق على الخريطة للإشارة إلى أنهم لن يقدموا قروضا فيها بسبب التكوين العنصري أو العرقي لسكانها. وحالت ممارسة التمييز هذه دون منح الائتمان لشرائح كاملة من المجتمع.

وعلى العكس، تلغي البيانات الضخمة التمييز. فيمكن الآن استبدال البيانات الشخصية غير الدقيقة ببيانات أكثر دقة وأكثر صلة بالفرد. ويمكن أن تستغل شركات قياس الجدارة الائتمانية عدم التجانس الذي تكشف عنه التفاعلات بين الناس في وسائل التواصل الاجتماعي، وتدفع الرسائل النصية، والمدونات الصغيرة، وأنماط بطاقات الائتمان، وبيانات تحديد الملامح، بالإضافة إلى البيانات الديمغرافية النمطية مثل الدخل، والعمر، والموقع. ويسر استخدام البيانات الأكثر دقة تصنيف الأفراد بشكل أفضل حسب الجودة الائتمانية.

2. التنبؤ وتحليل المخاطر

تغير التنبؤ الاقتصادي تغيراً هائلاً نتيجة أساليب علوم البيانات. ففي التنبؤ التقليدي، لا تتوفر الإحصاءات الرئيسية عن الاقتصاد، مثل التقرير ربع السنوي لإجمالي الناتج المحلي، إلا بعد فترة تأخير

¹ www.arabiya.net.24/08/2014

طويلة .ويمكن لعلوم البيانات تجنب هذه التأخيرات عن طريق الاعتماد على المعلومات المبلغ عنها بمعدل أكثر تواترا، مثل معدلات البطالة، أو الطلبات الصناعية، أو حتى الشعور السائد إزاء الأخبار، للتنبؤ بالمتغيرات المبلغ عنها بمعدل أقل تواترا.

وتُعرف مجموعة المناهج المشمولة في هذا النشاط باسم « التنبؤ الآني — » وتسمى أيضا بتنبؤ الحاضر — ولكنها تُفهم بشكل أفضل على أنها تنبؤ في الوقت الحقيقي .

"وتحقق علوم البيانات نجاحات أيضا في مجال تحليل المخاطر المالية النظامية .فقد أصبح العالم أكثر ترابطا من أي وقت مضى، ويبشر قياس هذه الروابط برؤية جديدة في عملية صنع القرارات الاقتصادية. ويعتبر النظر إلى المخاطر النظامية من خلال عدسة الشبكات منهجا قويا.¹ ويستخدم أخصائيو البيانات الآن بيانات غزيرة لبناء صور عن التفاعلات فيما بين البنوك، وشركات التأمين، والسماسة، وغيرهم .فمن الواضح أن معرفة البنوك الأكثر ترابطا عن غيرها ستكون مفيدة .وينطبق الشيء نفسه على المعلومات المتعلقة بالبنوك الأكثر تأثيرا في السوق، والتي تُقاس باستخدام أسلوب يستند إلى القيم الذاتية .وبعد بناء هذه الشبكات، يمكن أن يقيس أخصائيو البيانات درجة المخاطر في النظام المالي، فضا عن مساهمة فرادى المؤسسات المالية في المخاطر الإجمالية، مما يوفر للمنظمين طريقة جديدة لتحليل المخاطر النظامية — وإدارتها في نهاية المطاف.

وتستند هذه المناهج بشدة إلى رياضيات الشبكات الاجتماعية التي تطورت في مجال علم الاجتماع، والتي تطبق على الشبكات الكبيرة جدا باستخدام نماذج متقدمة لعلوم الحاسوب، وتبلغ ذروتها بالاندماج المثمر لعدة مجالات أكاديمية.

¹ . Keneth Cukier interviewed for the economist, Data Data everywhere, February 25, 2010.

3. أكثر من مجرد كلمات

تعتبر تحليلات النصوص مجالاً سريع النمو من مجالات علوم البيانات ومكملاً مثيراً للاهتمام بالبيانات الكمية في مجال التمويل وعلم الاقتصاد. فقد ظهرت أعداد كبيرة من التطبيقات التجارية التي تستند إلى التنقيب في النصوص: حيث تستنتج شركات مثل "iSentium" الشعور بعيد الأجل وقصير الأجل السائد في السوق من وسائط التواصل الاجتماعي باستخدام تويتر؛ وتقدم شبكة "StockTwits" مؤشرات عن الشعور السائد في السوق من خلال تطبيق على الويب يمكن استخدامه عبر الأجهزة المتنقلة.

ومن الممكن الآن تصنيف شركة ما حسب نتائج الأرباح ربع السنوية التي تعلن عنها في النموذج-K-10، وهو تقرير سنوي عن الأداء المالي للشركة يقدم إلى هيئة الأوراق المالية وعمليات البورصة الأمريكية (SEC) ويقدم سجل للكلمات المتعلقة بالمخاطر في التقارير ربع السنوية نظام تصنيف دقيق للتنبؤ بالأرباح. فالشركات التي تمتلك تقارير ربع سنوية أصعب في القراءة تميل إلى أن تكون قد حققت أرباحاً سيئة — ومن المرجح أن يرجع ذلك إلى محاولة هذه الشركات الإبلاغ عن أخبار سيئة باستخدام صيغة ما للتشويش.

اوينطوي مجال جديد يُعرف باسم «تحليلات الأخبار» على التنقيب في الأخبار للبحث عن بيانات. وتزايد الخدمات التي تقدمها شركات مثل "RavenPack"، وتتراوح ما بين إعطاء درجات للشعور السائد في السوق وتحليلات التنبؤ بالتجارة إلى التنبؤ الاقتصادي الكلي. وتنقب شركة "RavenPack" في كميات ضخمة من البيانات غير المنظمة الواردة في الأخبار ووسائط التواصل الاجتماعي وتحولها إلى بيانات ومؤشرات دقيقة لدعم الشركات المالية في إدارة الأصول، وصنع السوق، وإدارة المخاطر والامتثال.

وضمن هذه الفئة، يعتبر تحليل تدفق الأخبار مثيراً للاهتمام بشكل خاص. فتتقب صناديق التحوط في آلاف من رسائل الأخبار يوميا بهدف تحديد أهم خمسة أو عشرة موضوعات ثم تتبع التطور في نسبة الموضوعات من يوم لآخر للكشف عن تغيرات في أوضاع السوق يمكن اتخاذ قرارات تداول على أساسها. وقد يكون التحليل المماثل لذلك مفيدا لصناع السياسات والمنظمين، مثل محافظي البنوك المركزية. وعلى سبيل المثال، قد يكون الوقت قد حان لإعادة النظر في سعر الفائدة الرسمي عندما تتغير نسبة موضوعات معينة تُناقش في الأخبار (مثل التضخم، أو أسعار الصرف أو النمو) بشكل مفاجئ.

ويبدأ تحليل الموضوعات بإعداد جدول ضخم لتكرار الكلمات، يُعرف باسم "مصنوفة مصطلحات الوثائق"، ويعد فهرسا لآلاف المقالات الإخبارية. وترد المصطلحات (الكلمات) في صفوف الجدول، ويمثل كل مقال أخبار عمودا في الجدول. ويمكن أن تكشف هذه المصنوفة الضخمة عن موضوعات من خال تحليل رياضي للارتباط بين الكلمات وبين الوثائق. وتتم فهرسة مجموعات الكلمات والموضوعات المكتشفة من خال التعلم الآلي مثل فهرسة الدلالات الكامنة. ويسفر تحليل تخصيص الكامن عن مجموعة من الموضوعات وقوائم الكلمات التي تظهر في هذه الموضوعات.

وتعتبر مناهج إعداد النماذج هذه فنية للغاية لمناقشتها هنا، ولكنها في الواقع مجرد تقنيات إحصائية تكشف عن مبدأ تجميع الكلمات الرئيسية الواردة في مجموعة من الوثائق (على سبيل المثال، في تدفق الأخبار). ومن المرجح أن صناع السياسات سيستخدمون هذه الأدلة اللغوية على نطاق واسع في عملية صنع القرارات السياسية، وعلى سبيل المثال في إعادة تعريف رسالة حملة سياسية.

4. المعطيات العظمى وتحليل الرغبات:

في عصر الرقمنة وفي مجتمع المعلومات يتفق الجميع أن كبرى الشركات العالمية تواجه ظاهرتين اثنتين هما: طوفان المعلومات الذي يغمرنا ويأتينا من كل حذب وصوب ويصطلح عليه بالمعطيات العظمى "big data"، وطوفان ثان من الإشهارات يتربص بنا في كل مكان. ومع دخول الشبكة 3.0 أو ما يصطلح عليه بالشبكة الدلالية، وجدنا أنفسنا أمام عدد هائل من النصوص تعد ببلايين البلايين، والتي مع الأسف ليست لا مهيكلة ولا مصنفة. وبالمقابل فإنها يمكن أن تكون ذات أهمية قصوى بالنسبة لتلك الشركات والخدمة التي يمكن أن تقدمها لنظامها الاقتصادي والاستثماري لجميع المتعاملين، سواء أكانوا: ممولين أو منافسين أو حتى مستهلكين.

"إنه يمكن للشبكة الدلالية أن تخلق نظاما لتواصل اجتماعي من دون حدود في الوقت وفي الفضاء يكون على شكل حوار اجتماعي يترجم في شكل منصات أو مدونات، أو مساحات نقاش ممثلة في منتديات التواصل الاجتماعي ك: "فيسبوك، تويتر، فورسكوار، بينترست، لينكدين، فياديو، أو سلايدشير. "facebook " "Twitter " "Foursquare " "pinterest " "Linkedin " "viadeo " "slideshare " ¹ لتكوين حلقة تواصل اجتماعي دائمة النشاط والحضور بين أشخاص يتواصلون عن بعد بصورة لم يعرفها التاريخ قبل اليوم.

كل هذا المحتوى النصي "content textuel" الذي يتداوله رواد هذه المواقع يسمى: "محتوى الرواد المتداول" "user generated content". وتشكل مساحة التواصل هاته فضاء جديدا للتعبير تحتوي على كنوز من المعلومات، خاصة ما تعلق بالآراء والأفكار والأحكام والتعليقات التي يمكن ان تستثمر وتوظف لغايات عديدة ومختلفة.

وعلى العموم فإن ما يعرف ب: "سبر الآراء" "mining opinion"، فإن النصوص تستغل من طرف الشركات العالمية الكبرى لمعرفة صورتها أو سمعتها الحقيقية لدى المستهلكين، وانطباعاتهم

¹. Mickael WV, Big Data Reduction, Science of Social Blog, Lithium, April 2013.

المختلفة حول مختلف المنتجات والخدمات وحتى آراء المنافسين. والشيء نفسه ينطبق على السياسة الكبار والمشاهير، فإنهم من خلال هذه العملية يترصدون آراء المواطنين لإعادة التمويع مثلا، ويمكنهم أيضا تفادي الكثير من الأزمات وغير ذلك. وتجدر الإشارة هنا إلى أن النصوص المدونة من طرف المبحرين العاديين على الشابكة تكون أكثر ذاتية من تلك المدونة من طرف الاختصاصيين، وبالتالي فغنها تنطوي على الكثير من الانطباعات.

والملاحظ خلال السنوات العشر الأخيرة أن هذه الوسائل التكنولوجية المستخدمة في ترصد الانطباعات والآراء قد تطورت إلى حد كبير، وذلك من خلال إدراج الذكاء الاصطناعي من جهة واللسانيات الحاسوبية من جهة أخرى، وذلك من اجل التحكم أكثر في التحكم في هذا الكم الهائل من المعلومات المتدفقة التي أصبحت تغمرنا صباح مساء.

ويعتبر ميدان "تحليل الانطباعات أو الرغبات" "analyse des sentiments" جزءا من تحليل النصوص "text mining". وتحليل الانطباعات ميدان معرفي يُعنى بتحليل النصوص من أجل استخراج معلومات متعلقة بالآراء والانطباعات.

وتستعمل عبارة "تحليل الرغبات" لوصف المعالجة الآلية لنص تقييمي من أجل إيجاد قيم تنموية وأحكام مسبقه. ولعل اول من نادى بها "داس وشان" "Das et Chen" في نهاية 2001، وذلك من أجل تحليل الرغبات في إطار اقتصاد السوق. واليوم يستعمل الكثير من الباحثين عبارتي "ترصد الآراء" و "تحليل الرغبات" في ميدان بحثي واحد أهدافه تصنيف الآراء والرغبات من خلال معالجة النصوص. وهذا التصنيف يمكن ان يكون على الشكل التالي:

أ. إيجابي

ب. سلبي

ت. محايد

لقد أصبحت منتديات التواصل الاجتماعي مصدرا ثريا جدا للمعلومات المختلفة والمتنوعة. ويعود ذلك إلى طبيعة هذه المنتديات حيث يقضي فيها الناس وقتا طويلا يتبادلون رسائل وكتابات يعبرون فيها عن آرائهم حول مختلف قضايا الحياة، كما أنهم يناقشون مواضيع مختلفة، وقد يعبرون عن ضجرهم من بعض المسائل، وقد يعبرون عن استحسانهم لبعض المنتجات التي يصادفونها يوميا. والحقيقة أن كبرى الشركات العالمية والشخصيات والمشاهير كلهم يتابعون عن كثب كل ما يقال حولهم في أوساط هذه المنتديات وذلك من أجل تحسين وتطوير الخدمات التي يعرضونها سواء عن طريق استثمارات جديدة، أو إدخال بعض التحسينات أو التعديلات المكتملة لهذه الخدمات أو تلك.

ويبقى التحدي اليوم أمام هؤلاء هو كيف يمكن الوصول إلى هذه الآراء واستغلالها حين ورودها؟

وكما سبق أن أشرنا إليه فإننا نتصور تقنية لتصنيف هذه الرغبات يمكن أن يكون على شاكلة:

الرغبات الإيجابية، الرغبات السلبية والرغبات المحايدة.

ومع ذلك فإن هذا الميدان المعرفي ما زال يضع الخطوات الأولى، وذلك راجع إلى أن اللغة البشرية معقدة جدا. لتصور كم وقتا يلزمنا لتعليم الآلة كل الاختلافات اللغوية، من نحو ودلالة وغيرها.. بالإضافة إلى الاختلافات الثقافية واللهجات والأخطاء الإملائية التي يسقط فيها الكثير من المبحرين وهم يستنطقون الحاسوب على المباشر.

إننا لو أخذنا المثال التالي: "لقد أُلغيت الرحلة التي كانت مبرمجة إلى جدة" "رائع". فإن الكثير منا سوف يعتبر أن هذا الشخص يمزح أو يتهكم، ولكننا نعرف على العموم أن تجربة البقاء في المطار مريرة جدا. ولكننا لو تكنا الآلة تحلل هذه العبارة فإنها سوف تصنفها "إيجابية"، وبالتالي فإنه من دون فهم للسياق فإن الآلة سوف تأخذ بعين الاعتبار الكلمة "رائع" وتعتبر أن العبارة "إيجابية".

"ويمكن اعتبار البرامج الحاسوبية من قبيل " Brandwatch analytics " أنها تسهل إلى حد كبير وبطريقة أسرع من ذي قبل صيرورة تحليل الرغبات نظرا لقدرتها الهائلة على التحليل في ذات الوقت. وقد استفاد من هذا التحليل على سبيل المثال منشطو الحملة الانتخابية الأمريكية"¹ أيام الرئيس السابق "أوباما"، وذلك من خلال قياس وسر آراء المجتمع الأمريكي عن طريق ما كان يتداول على مواقع التواصل الاجتماعي.

وتوفر لنا مثل هذه البرامج فرصة الفهم السريع لسلوكات المستهلكين، وتمكن أصحاب الشركات المعنية من إيجاد ردة الفعل المناسبة في الوقت المناسب.

والجدير بالذكر هنا إلى "أن تنصيب آليات حاسوبية تترصد هذه الرغبات من خلال تحليل النصوص أو من خلال ما يتبادله رواد الشبكة أو بالخصوص رواد مواقع التواصل الاجتماعي، وقد أصبح هذا ممكنا إلى حد بعيد خاصة من خلال مواقع مثل: "allocine.com" و"amazon.com". ولكن المشكل يصير أكثر تعقيدا عندما يتعلق بالمدونات "blogs" وذلك لأن الإقبال عليها يكون أكثر، ثم إن روادها غالبا ما يكونون من طبقات اجتماعية وثقافية مختلفة، وبالتالي فإنهم غالبا ما يكونون أكثر تعبيراً عن رغباتهم وآرائهم"².

وعندما تتم عملية الجمع الآلي للوثائق المتضمنة للآراء والرغبات فإننا نواجه إشكالية التعرف على مختلف الآراء والرغبات المعبر عنها.

¹ Bing Lu., Sentiment Analysis and opinion mining, Graheme Hirst, series Editor, 2011, p 31.
² Ibid, p 65.

تطبيقات

علاقة النحو بالدلالة:

مقدمة:

إن علاقة النحو بالدلالة قديمة قدم النحو نفسه، وقد ارتبط كل واحد منهما بالآخر بأقوى الأسباب. ومن ثمة كان النحو كله دلالة سواء كان علامات إعرابية أم أساليب كلامية أم حروفا وأدوات نحوية أم قرائن وسياقات. ولقد كان النحو العربي منذ نشأته الأولى مهتما بالمعنى، يعتد به، وبأثره في التعميد، يمد الجملة بمعناها الأساسي الذي يكفل لها الصحة والسلامة، ويحدد عناصر معناها، ويكشف تراكيبيها، لأن الجملة هي الغاية الأولى لكل نظام نحوي.

أدوات اللغة العربية:

تمتاز اللغة العربية بفصاحتها وبلاغتها فهي لغة أنزل بها القرآن الكريم، وهي أعرق لغة ضاربة في التاريخ.

ويستخدم كل حرف في العربية لأداء دور معين في تركيب الجمل. وقد سماها النحاة بالأدوات لأنها تربط الجمل والكلمات لمساعدتها على التناغم والترابط وإيصال المعنى المقصود.

1. أدوات العطف

- الواو: تفيد المشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب والمعنى .
- الفاء: تفيد المشاركة بين المعطوف والمعطوف عليه ولكنها تشترط الترتيب .
- ثم: تفيد الترتيب بين المعطوف والمعطوف عليه ولكن مع وجود مهلة .
- حتى: تفيد الغاية من الفعل .
- أو: تفيد التخيير بين أمرين، وتفيد الإباحة في أمرين، وتفيد الشك، وتفيد التقسيم .
- أم: تفيد المعادلة .
- بل: تفيد الإضراب
- لكن: تفيد الاستدراك ويجب أن يسبقها نفي أو نهي
- لا: تفيد النفي .

الأدوات	النحو	الدلالة
الواو	حرف عطف	تفيد المشاركة بين المعطوف والمعطوف
الفاء	حرف عطف	تفيد المشاركة وتشتطرت الترتيب
لن	للنصب	تفيد النفي للمستقبل
متى	للاستفهام	تفيد الاستفهام عن المكان
في	حرف جر	تفيد السببية أو الغاية الزمانية أو المكانية
إلى	حرف جر	تفيد انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية
حتى	للنصب	تفيد انتهاء الغاية.

2. أدوات النصب

- لن: تفيد النفي للمستقبل .
- حتى: تفيد انتهاء الغاية .
- أن: تفيد المصدرية .
- كي: تفيد السببية
- اللام: تفيد التعليل .
- لام الجحود: تفيد الإنكار وتسبق بنفي .
- الفاء: تفيد السببية

3. أدوات الاستفهام

- من: تستخدم للعاقل
- ما: تستخدم لغير العاقل .
- متى: للاستفهام عن الزمان .
- أين: للاستفهام عن المكان .
- كيف: للاستفهام عن الحال .

- كم: للاستفهام عن العدد .
- لماذا: للاستفهام عن السبب .
- هل: للاستفهام عن مضمون الجملة المثبتة

4. أدوات الجر

- من: تفيد ابتداء الغاية المكانية أو الزمانية أو التبعية
- إلى: تفيد انتهاء الغاية المكانية أو الزمانية .
- على: تفيد الاستعلاء .
- في: تفيد السببية أو الغاية الزمانية أو المكانية .
- عن: تفيد المجاوزة أو البدلية .
- حتى: تفيد انتهاء الغاية المكانية .
- رب: تفيد التقليل أو التكاثر .
- الباء: تفيد السببية أو الاتصال أو القسم أو المصاحبة أو الظرفية .
- الكاف: تفيد التشبيه .
- اللام: تفيد الملكية أو السببية أو الاستغاثة أو التعجب .
- الواو: تفيد القسم .
- التاء: تفيد القسم .
- قد:
- أ. تفيد التحقيق مع الماضي والتوقع مع المضارع.
- ب. التوقع ، مع المضارع والماضي ، وذلك مع المضارع واضح، نحو: قد يخرج زيد .ف (قد) هنا تدل على أن الخروج متوقع، أي: منتظر. وأما مع الماضي فتدل على أنه كان متوقفاً منتظراً ، ولذلك تستعمل في الأشياء المترتبة ، ومنها قول المؤذن: قد قامت الصلاة، لأن الجماعة منتظرون.
- ج. التقريب، ولا ترد للدلالة عليه إلا مع الماضي ، أي : تقريبه من زمن الحال.
- د. التقليل ، وترد للدلالة عليه، مع المضارع. نحو: إن البخيل قد يوجد.
- هـ. التكاثر ، نحو قوله تعالى "قد نرى تقلب وجهك في السماء".

أسماء التفضيل:

إن لاستعمال هذه الأداة - اسم التفضيل - وقع خاص ورنين مميز.. خاصة في الاستعمال. فعندما تستمع إلى جملة تبدأ بأحد أسماء التفضيل مثل: (أكبر) بناء بناه الإنسان في التاريخ، أو (أطول) نهر في العالم.. تجد نفسك مشدودا للاستماع إلى بقية هذه المعلومة... إما من باب العلم بالشيء أو من باب الفضول العلمي.. سعيا وراء الثقافة.

اسم التفضيل في علم النحو:

ينقسم الكلام في اللغة العربية إلى ثلاثة أقسام هي:

الاسم والفعل والحرف

ويتكون الفعل في اللغة العربية عادة من ثلاثة أحرف تشكل الصيغة الأساسية التي عادة ما نبحت عنها في القاموس، ولهذا فهي تقابل ما اصطلح على تسميته "المصدر"، إلا أن هذه الصيغة قابلة لزيادة أحرف أخرى وذلك عند اشتقاق أفعال جديدة منها، ومن مزايدات الأفعال يمكن أن يزداد حرف أو حرفان أو ثلاثة أحرف إلى الفعل الثلاثي المجرد، ومن مزيد الثلاثي بحرف واحد ثلاثة أوزان منها: زيادة همزة القطع في أوله ليصير على وزن "أفعل"، مثل: أخرج، أشار، أكرم، أوفى.

ولزيادة الهمزة للفعل الثلاثي معان كثيرة يمكن إيجازها على النحو التالي:

1. التعدية: أي جعل الفعل اللازم متعديا، فالفعل "خرج" مثلا فعل لازم لا يأخذ مفعولا به،

يقال: خرج زيد، فإذا زدته همزة جعلته متعديا؛ فيقال "أخرجتُ زيدا".

2. الدخول في الزمان والمكان: وذلك مثل:

أصبح: دخل في الصباح - أمسى: دخل في المساء

أصحّر: دخل في الصحراء - أبحر: ركب البحر.

3. قصد المكان: نحو "أحجز" أي قصد الحجاز، و"أعرق" أي قصد العراق.

4. وجود ما اشتق منه الفعل في صاحبه: نحو "أثمرت الشجرة" أي وجد فيها الثمر.

5. المبالغة: نحو "أشغلته" أي بالغت في شغله، أو الدلالة على الكثرة، وذلك مثل: "أشجر

المكان" أي "كثر شجره".

6. إصابة الشيء على صفة: نحو "أعظمته" و "أحمدته" أي وجدته عظيما ومحمودا.
7. الصيرورة: نحو "أقفر البلد" أي صار قفرا.
8. العرض أو الدلالة على التعريض: أي ان يعرض المفعول لمعنى الفعل، نحو "أباع العيد" أي عرضه للبيع.
9. السلب: وهو أن يزال عن المفعول معنى الفعل، فإذا قيل مثلا: "شكا زيد" ثبت أن له شكوى، فإذا زيد الفعل همزة قيل: "أشكيت زيدا" أي أزلت شكواه.
10. الحينونة أو الدلالة على استحقاق صفة معينة: وذلك مثل: "أحصد الزرع" أي حان وقت حصاده، أو استحق الحصاد.
11. الدلالة على الوصول إلى العدد: وذلك مثل: "أخمس العدد"، أي صار خمسة.
12. قد يكون بمعنى المجرد: نحو: "أقلت البيع" بمعنى قلته أي فسخته.

اسم التفضيل:

تعريفه:

- هو اسم، مشتق، على وزن "أفعل" يصاغ من المصدر للدلالة في الأغلب على أن شيئين اشتركا في معنى أو صفة واحدة معينة، وزاد أحدهما على الآخر فيها؛ مثل: أكبر، أعلى، أقوى، أسرع، أطول. ودعائم التفضيل الاصطلاحي - في أغلب حالاته - ثلاثة:
- أ. صيغة "أفعل"، وهي اسم، مشتق.
 - ب. شيئان يشتركان في معنى خاص.
 - ت. زيادة أحدهما على الآخر في هذا المعنى الخاص.
- والذي زاد يسمى "المفضَّل"، والآخر يسمى "المفضَّلَ عليه"، أو "المفضول"، ولا فرق في المعنى والزيادة فيه أن يكون أمرا حميدا، أو ذميما.

شروط صياغته:

يصاغ من مصدر الفعل الذي يراد التفضيل في معناه، بشرط أن يكون مستوفيا للشروط التالية:

- أ. أن يكون ثلاثيا، لا أكثر من ذلك، فلا يصاغ من فعل زادت حروفه على ثلاثة؛ مثل: دحرج، تعاون، استفهم.
- ب. ألا يكون وصفه - صفته المشبهة - على وزن "أفعل" الذي مؤنثه "فعلاء"، نحو (عرج، فهو أعرج، ومؤنثه عرجاء).
- ج. أن يكون تاما (أي ليس ناسخا)؛ فلا يصاغ من (كان وكاد) وأخواتهما.
- د. ألا يكون عند الصياغة مبنيا للمجهول، كالأفعال: (عُرف، عُلم، فُهم، وغيرها) مما يُبنى للمجهول حينئذ، وللمعلوم حينئذ آخر، دون أن يلزم البناء للمجهول في كل الأحوال.
- هـ. أن يكون مثبتا، فلا يصاغ من فعل منفي، سواء أكان النفي ملازما له أم غير ملازم.
- و. أن يكون متصرفا في الأصل تصرفا كاملا، فلا يصاغ من "ليس، عسى، نعم، بئس"، ونحوها من الأفعال الجامدة.
- ز. أن يكون معناه قابلا للتفاضل والزيادة، فلا يصاغ مما لا تفاوت فيه، نحو: "فني، مات، غرق، عمي".

الفعل غير المستوفي للشروط:

- أ. إن كان الفعل غير الثلاثي، مثل: "أكرم"، أو وصفه على وزن "أفعل" "فعلاء"، مثل: (أبيض، بيضاء)، وفي هذه الحالة يؤتى باسم تفضيل يوافق المعنى ويذكر مصدر هذا الفعل -موضوع التفضيل - منصوبا، ومثال ذلك: "هو أكثر إكراما للضيف. - هذا القماش أشد بياضا من غيره.
- ب. إذا كان الفعل منفيا أو مبنيا للمجهول، يؤتى بـ "أفعل" ويذكر المصدر مؤولا، مثل: "هو أجدر أن يعاقب وأولى أن لا يُعفى عنه".
- ج. إذا كان الفعل جامدا نحو "عسى" و "ليس"، أو لا يتفاوت معناه مثل: طلعت الشمس أو مات الرجل، فلا يُبنى منه اسم تفضيل.

أقسامه، وحكم كل قسم:

هو ثلاثة أقسام:

أ. مجرد من "أل" والإضافة.

ب. مقترن ب "ال".

ج. مضاف.

القسم الأول: المجرد من "أل" والإضافة.

قد يكون "أفعل" التفضيل مجردا من "أل" التعريف أو الإضافة، وحينئذ يجب إفراده وتذكيره، أما

المفضل عليه فيذكر مجرورا ب "مِنْ" ونقول:

● هذا الكتاب أفضل من غيره.

● هذان الكتابان أفضل من غيرهما.

القسم الثاني: المقترن ب "ال":

عندما يعرف "أفعل" التفضيل ب "ال" التعريف فيجب أن يكون مطابقا للمفضل في التذكير،

والتأنيث، والإفراد، وفروعه، وكذلك عدم مجيء "من" الجارة للمفضل عليه، لأن المفضل عليه لا

يذكر في هذا القسم، ونقول:

● هذا التلميذ هو الأول في الفصل.

● هذان التلميذان هما الأولان في الفصل.

● هؤلاء التلاميذ هم الأولون في الفصل.

وكثيرا ما نستعمل هذه الصيغة في المفاضلة بين أكثر من عنصرين، نقول:

● هذا هو الكتاب الأفضل.

● ذاك هو الحل الأمثل للمشكلة.

● تلك هي القاعة الكبرى.

● هذه صغرى اخواتي.

القسم الثالث: أن يكون مضافا:

ويشترط في هذا القسم شرطان عاما لا بد منهما في "أفعل التفضيل" المضاف مطلقا (أي: سواء كانت إضافة للمعرفة أم للنكرة). والشرطان هما:

أولهما: ألا يقع بعد أفعل التفضيل "من" الجارة للمفضول، فلا بد أن يخلو الكلام منها ومن مجرورها؛ فلا يصح أن يقال: محمود أفضل الطيارين من احمد. أما الجارة لغيره فتوجد، نحو: أبي أقرب الناس مني.

ثانيهما: أن يكون المضاف بعضا من المضاف إليه، بشرط إرادة التفضيل وبقاء معناه ووجوده؛ فلا يصح أن يقال: الطيار أفضل امرأة.

فمتى تحقق الشرطان العامان، وكانت إضافته إلى نكرة، وجب حكمان:

أولهما: إفراده وتذكيره - كالمجرد - والآخر: مطابقة المضاف إليه لصاحب أفعل التفضيل في التذكير والتأنيث، وفي الإفراد وفروعه، وفي جنسه أيضا...

أنواع العلاقات في المجموعات

- الإتحاد union

هو المجموعة التي تحوي كل العناصر الموجودة في مجموعة أ و ب معا.

- التقاطع intersection

ويشمل كل العناصر الموجودة في أ و ب.

- المكمل complément

ويشمل كل العناصر الموجودة في المجموعة غير المجموعة أ.

- الفارق différence

وتشمل كل العناصر الموجودة في أ وليس في ب.

- المجموعة الفرعية sous ensemble

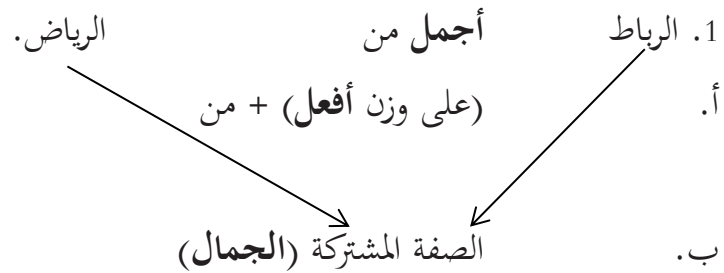
كل عنصر من أ ينتمي إلى ب.

- الانتماء appartenance

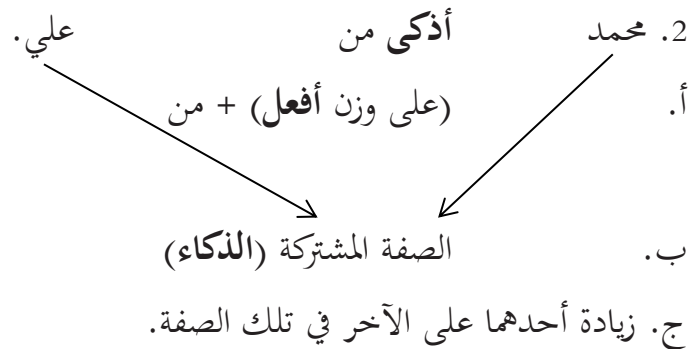
- الاحتواء inclusion

أمثلة:

■ الرباط أجمل من الرياض



■ محمد أذكى من علي

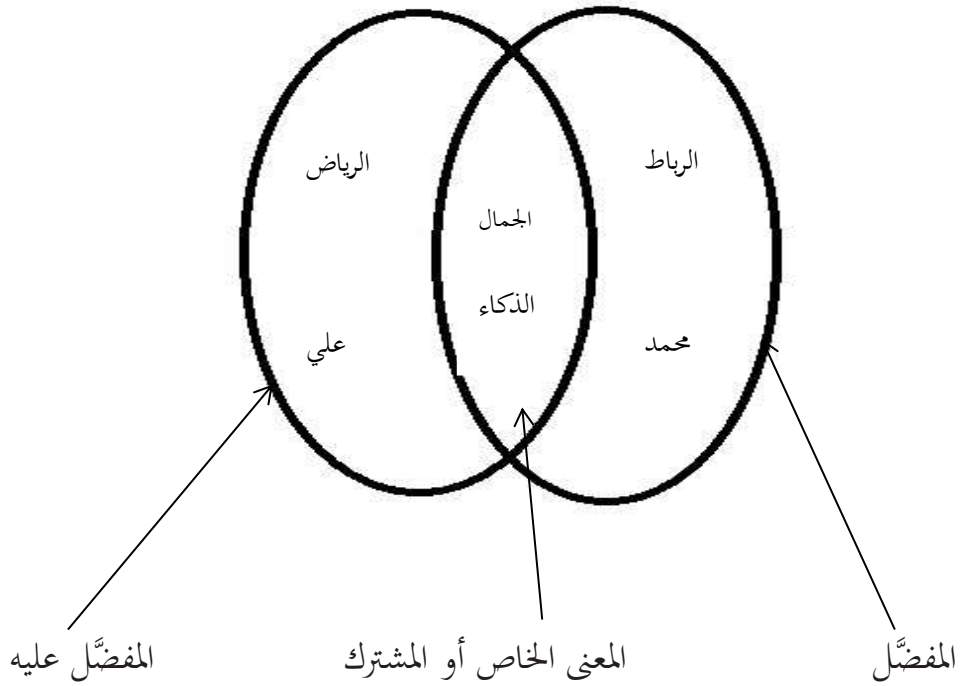


د. أن تكون (أفعل) متبوعة ب (من) كقولنا:

نبيل أجود من حاتم.

أو ب (أل) كقولنا:

- نبيل أجود الرجال.

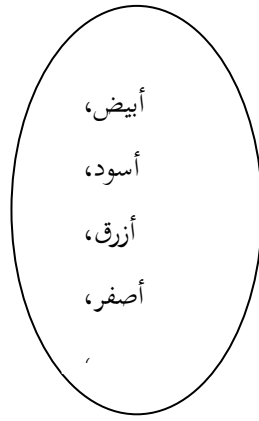


شروطه:

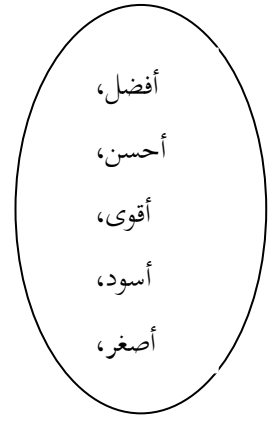
1. كل ما جاء على وزن (أفعل).
2. ألا يكون مؤنثه (فعلاء) كقولنا: أسود... سوداء.
3. ألا يكون اسم علم، كقولنا: أحمد،
4. أن تكون (أفعل) متبوعة ب (من) أو (أل).



3م



2م



1م

مجموعة أسماء الأعلام
التي جاءت على وزن
(أفعل)

ناقص

مجموعة الكلمات التي جاءت
على وزن (أفعل) (فعلاء)

ناقص

مجموعة الكلمات
التي صيغتها (أفعل).

الرياض
ب

أجمل من
>

أ. الرباط
أ

علي
ب

أذكى من
>

ب. محمد
أ

المغرب
ب

أصغر من
<

ج. تونس
أ

العرب

أجود
>

د. حاتم الطائي
أ

م = مجموعة تضم كل العرب

هـ. أ > ب

* رغبة إيجابية

ر. أ < ب

* رغبة سلبية.

خاتمة:

لقد شهدت نظريات التواصل تطورا هاما منذ عشرينيات القرن الماضي بالموازاة مع تطور التقنيات التواصلية وعولمتها، وبالتالي أصبحت المجتمعات الحديثة مجبرة على التواصل نظرا لارتباط هذه العملية بمصالحها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولذلك أصبحت قضايا التواصل مجالا لمقاربة العديد من الحقول المعرفية كاللسانيات والحاسوبيات مثلا...ومن جهة أخرى رأينا كيف تطور الاتجاه الوظيفي وأخذ منحرجا جديدا عند اللغويين الغربيين وكيف أن بعضا منهم حاولوا أن يقيموا نظاما نحويا على أسس دلالية وظيفية لأنهم كانوا يعتقدون أن نحو كل لغة مصمم بطريقة معينة تمكن المستعمل من أداء المعنى وأن هذا الجانب الوظيفي للغة ليس شيئا منفصلا عن النظام اللغوي لأن ارتباط الأدوار والمشاركين في النظام النحوي حسب نمط معين في كل لغة مرتبط ارتباطا مباشرا بالوظيفة التي تؤديها الجمل في السياقات المختلفة. كما أنهم نظروا إلى المعنى على أنه نتيجة علاقات متشابكة، إذ هو حصيلة المواقف المختلفة التي يمارسها الأشخاص في المجتمع. وفي المقابل فإن التداولية قد أصبحت ملتقى لعدة تخصصات: لسانية، فلسفية، نفسية وغيرها... لقد أصبحت علما جديدا للتواصل يدمج مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي. ولعل أهم مرحلة في تاريخ التداولية هي انفتاحها على العلوم المعرفية والأبحاث المتعلقة بالذكاء الاصطناعي. وإذا كانت الأنطولوجيا فرعاً من فروع الذكاء الاصطناعي فإنها القاعدة الأساسية لإنشاء الشبكة الدلالية التي تكون بدورها منصة لمنتدىات التواصل الاجتماعي في الشكل الجديد من الشبكية.

لقد أصبحت هذه المنتدىات مصدرا ثريا جدا للمعلومات المختلفة والمتنوعة. يتبادل المبحرون فيها رسائل وكتابات يعبرون فيها عن آرائهم حول مختلف قضايا الحياة، وقد يعبرون عن استحسانهم لبعض المنتجات التي يصادفونها يوميا. كما أن كبرى الشركات العالمية والشخصيات والمشاهير كلهم يتابعون عن كثب كل ما يقال حولهم في أوساط هذه المنتدىات وذلك من أجل تحسين وتطوير الخدمات التي يعرضونها سواء عن طريق استثمارات جديدة، أو إدخال بعض التحسينات أو التعديلات المكتملة لهذه الخدمات أو تلك. وكما سبق أن أشرنا إليه فإننا نتصور تقنية لاستعادة هذه المعطيات باستعمال محركات البحث المتطورة ثم تصنيف هذه الرغبات. ويعتبر هذا الحقل مجالا سريع

النمو من مجالات علوم البيانات ومكملا مثيرا للاهتمام بالبيانات الكمية في مجال التمويل وعلم الاقتصاد. فقد ظهرت أعداد كبيرة من التطبيقات التجارية التي تستند إلى التنقيب في النصوص المطروحة في منتديات التواصل الاجتماعي باستخدام "فيسبوك" مثلا وتقدم مؤشرات عن الشعور السائد في السوق.

وفي الأخير نقول لعله من العسير بمكان الحديث عن اللغة العربية بشيء بهذه البساطة والتبسيط، لأن ذلك شبيه إلى حد كبير بالحديث عن الكون الذي يجد الإنسان نفسه فيه قاصرا عن تحديده حجما وشكلا.. فلغتنا الجميلة الرائعة تشبه الكون إلى حد بعيد في حجمها وفساحتها وجمالها وتعدد مزاياها.. من أي باب ولجت إليها وجدت نفسك تلج إلى باب يدخلك إلى فضاء أوسع لا حدود له.

ولا نقول إننا استوفينا هذا البحث حقه كما أردناه، ولا أننا فصلنا فيه الغرض الذي توخينا، ولكننا نقول إننا التزمنا فيه الباعث الذي أوحى إلينا بالبحث فيه وحاولنا أن ندلي بدلونا من باب المجتهد الذي إذا أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية.

1. القرآن الكريم،
2. إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأنجلو المصرية، 1998.
3. إبراهيم أنيس وعطية الصوالحي وعبد الحليم منتصر ومحمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط، م1، دار الفكر، ط2، د ت.
4. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط5، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1984.
5. ابراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2009.
6. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط1، دار الكتب، القاهرة، 1956.
7. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952.
8. ابن فارس أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ج 1، 1979.
9. ابن منظور، محمد مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
10. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، ط، 2003.
11. أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الجديدة، الدار البيضاء، 2006.
12. أبو عثمان عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، حققه عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1960.
13. أبو عثمان عمرو الجاحظ، كتاب الحيوان، حققه عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 45/1، 1996.
14. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي البحاي، القاهرة، 1952.
15. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
16. أحمد المتوكل، التمثيل الدلالي التداولي في النحو الوظيفي، مجلة المناظرة، ع5، 1992.
17. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، 2012.
18. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2010.
19. أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، 2006.

20. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.
21. أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية، مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، 1993.
22. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، 1995.
23. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2001.
24. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.
25. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، 1998.
26. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
27. الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، دمشق، سوريا، 1993.
28. آلفين توفلر و هايدي توفلر، الثروة واقتصاد المعرفة، ت محمد زياد يحيى كبة، جامعة الملك سعود، السعودية، 2008.
29. آن رويول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة د. سيف دغفوس و د. محمد الشيباني، مراجعة د. لطيف زيتوني، الطليعة للطباعة والنشر، 1998.
30. آن رويول وجاك موشلير، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد شيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
31. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1992.
32. البخاري، صحيح البخاري، مج4، حققه محمد زكي الدين قاسم، دار الصفوة للطباعة، القاهرة، 1992، ص 20.
33. برتراند رسل، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، يوليو 2009.
34. بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياح، لندن، 2012.
35. بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010.
36. بول فابر، مدخل إلى الألسنية، ترجمة عنبرة سلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.
37. تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، 2007.
38. تمام حسان، اللغة العربية (معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، 1998).
39. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1985.

40. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، ط1، 1992.
41. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1990.
42. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985.
43. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985.
44. جاكبسون، مونا، ميكسي، هابرماس وآخرون، التواصل نظريات ومقاربات، ت عز الدين الخطابي وزهور حوتي، منشورات عالم التربية، ط1، الدار البيضاء، 2007.
45. جورج يول، التداولية، ترجمة د. قصي العتاي، الدار العربية للعلوم، الرباط، المغرب، 2010.
46. جان سيرفوني، الملفوظية، ت. د. قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.
47. جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.
48. جرهارد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، ط4، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1979.
49. جريس نجيب حسام الدين، كريم زكي، ساسي عياد، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، 1997.
50. جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج2، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، 1986.
51. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط1، مج18، دار صابر، بيروت، 1994.
52. جمعة فتحي، من علم اللغة العربية، مطبعة المدينة، القاهرة، 1984م.
53. جميلة أبو لبن، الأبعاد اللسانية للعربية المكتوبة غير المشكولة، زهران للنشر، عمان، الأردن، 2009.
54. جورج لايكوف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، ت عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2008.
55. جورج نعم سعد، دراسة التعديّة والسببية والبناء المجهول، مؤسسة كيجان بول العالمية، لندن، 1982.
56. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ت. عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق.
57. جون سيرل، القصديّة، بحث في فلسفة العقل، ت. أحمد الأنصاري، دار قباء الحديثة، القاهرة.
58. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ت. د. عباس صادق الوهاب، مراجعة د. يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987.
59. جون لاينز، علم الدلالة، ت. مجيد عبد الحلیم الماشطة، حلیم حسین فالخ، كاظم حسين باقر، مطبعة جامعة البصرة، 1980.

60. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1987.
61. جيرار دولودال بالتعاون مع جويل ريتوري، السيميائيات أو نظرية العلامات، ترجمة عبد الرحمان بوعللي، دار الحوار، ط1، 2004.
62. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
63. حافظ اسماعيلي علوي و احمد الملاخ، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2009.
64. حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند ريكور، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، 1992.
65. حسن ظاظا، اللسان والإنسان، دار القلم، دمشق، ودار الشامية، بيروت، 1990.
66. حسني عبد الجليل يوسف، اللغة العربية بين الأصالة والمعاصرة، ط1، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007.
67. حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005.
68. حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1999.
69. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس.
70. الخطيب القزويني، الإيضاح، الإيضاح في علوم البلاغة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985.
71. خلف فليح حسن، اقتصاد المعرفة، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2007.
72. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
73. دانكن جيه واتس، الدرجات الست وأسرار الشبكات، ترجمة أميرة علي عبد الصادق، مراجعة محمد فتحي خضر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013.
74. درويش محمد جمال، التخطيط للمجتمع المعلوماتي، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، 2000.
75. دريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، جدارا للكتاب العالمي، 2006.
76. راي كيزويل، عصر الآلات الروحية، ت. عزت عامر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2009.
77. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990.
78. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث التربوي، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي،

- الرياض، 1982.
79. رولان بارث، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة محمد البكري، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 1987.
80. رومان ياكسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
81. روي هجمان، اللغة والطبيعة البشرية، ترجمة د. داود حلمي أحمد السيد، الكويت، 1989.
82. الزاوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة بيروت، 2005.
83. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق أحمد فراج، سلسلة التراث العربي تصدرها وزارة الإرشاد الكويتي، ج 28، 1965.
84. زرزار العياشي و أ. غياد كريمة، استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المؤسسة الاقتصادية ودورها في دعم الميزة التنافسية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016.
85. الزمخشري، الكشاف، ط1، دار الفكر، بيروت، 1983.
86. سامي ذبيان، مدخل نظري وعملي إلى الصحافة اليومية والإعلام: الموضوع والتقنية والتنفيذ، دار المسيرة، لبنان ، ط1، 1979.
87. سانجيف رانجان داس، القوة الضخمة للبيانات الضخمة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.
88. ستيف أولمان، دور الكلمة في اللغة، ت. د. كمال بشر، مكتبة الشباب، 1975.
89. ستيفن أولمان، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، القاهرة 1970م.
90. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، المنية، ج. مصر العربية.
91. سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، جامعة الكويت، 1990.
92. سعد مصلوح، مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية، م1، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1990.
93. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005.
94. سليمان جمال داود، اقتصاد المعرفة، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.
95. سليمان فياض، الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية، دار المريخ، الرياض، 1990.
96. سماح رافع محمد، المذاهب الفلسفية المعاصرة، مكتبة مدبولي، ط 1، 1973.
97. سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، عالم الكتب، 1984.

98. سيزا قاسم، السيميوطيقا حول بعض المفاهيم والأبعاد، مدخل إلى السيميوطيقا، مقالات ودراسات، إشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية، القاهرة، 1986.
99. شريف درويش اللبان، تكنولوجيا الاتصال... المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر العربية، 2000.
100. شكري السعدي، مقولة الحدث الدلالية في التفكير اللغوي، بحث في الأسس الدلالية للبنى النحوية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 1995.
101. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث، بيروت.
102. صابر الحباشة، أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب، مقاربات عرفانية تداولية، عمان، الأردن، 2010.
103. صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2008.
104. صابر الحباشة، اللغة والمعرفة، رؤية جديدة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2008.
105. صابر الحباشة، في المعنى، مباحث دلالية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008.
106. صابر الحباشة، مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2001.
107. صابر الحباشة، الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقرظيني، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2010.
108. صلاح إسماعيل عبد الحق، النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2005.
109. صلاح إسماعيل عبد الحق، نظرية المعرفة المعاصرة، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.
110. صلاح إسماعيل، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، دار قباء الحديثة، القاهرة، 1988.
111. صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط1، 2005.
112. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992.
113. الطاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية، مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، منشورات الاختلاف، بيروت، لبنان، 2007.
114. الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية؛ مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17، جانفي 2006.
115. عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللسانيات العربية، ط1، دار الحامد، عمان، الأردن، 2003.
116. عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، تحقيق أ.م. كاترمير، ط1، مكتبة لبنان للنشرين، 1992.

117. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط3، لدار العربية للكتاب.
118. عبد السلام عيساوي، العلاقات المعنوية في البنية النحوية، تونس 2010.
119. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ط2، دار الاعتصام للطبع، القاهرة، 1986.
120. عبد الصبور شاهين، في التطور اللغوي، مكتبة دار العلوم، القاهرة، 1957.
121. عبد العزيز شرف، اللغة الإعلامية: علم الإعلام العام، المركز الثقافي الجامعي، القاهرة، 1980.
122. عبد العزيز شرف، وسائل الإعلام ولغة الحضارة، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، 1989.
123. عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، مطبعة الجبلاوي، شبرا، مصر، ط2، 1986.
124. عبد القادر سلامي، علم الدلالة في المعجم العربي، دار ابن بطوطة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007.
125. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، حققه وشرحه عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، 1985.
126. عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2004.
127. عبد المجيد جحفة، مدخل غلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
128. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب. مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، 2004.
129. عبد الوهاب المسيري، اللغة والمجاز، دار الشروق، القاهرة، 2002.
130. عبداللطيف الفاربي، عبد العزيز الغرسان، محمد آيت موحى وعبد الكريم غريب، معجم علوم التربية : مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، م01، سلسلة علوم التربية، 9-10، دار الخطابي، 1994.
131. عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت 2001.
132. عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1998.
133. عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
134. عبده الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.
135. عز الدين البوشيخي، التواصل اللغوي، مقارنة لسانية وظيفية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2012.
136. عزمي إسلام، لودفينج فيتجنشتاين، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر.
137. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط9، 2004.

138. علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، مصر، 2010.
139. عماد حاتم، في فقه اللغة وتاريخ الكتابة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1982.
140. عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 1992.
141. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، الرباط، 2011.
142. ف. ر. بالمر، علم الدلالة، إطار جديد، ت. د. صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
143. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، 2000.
144. فاضل مصطفى السناني، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977.
145. فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ت. عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2000.
146. فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1996.
147. فتح الله أحمد سليمان، مدخل إلى علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، 1991.
148. فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، دراسة وتحقيق بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985.
149. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ت سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، (د.ت).
150. فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة يوسف عزيز، دار آفاق عربية للصحافة والنشر، 1985.
151. فندريس، اللغة، تعريب الأستاذين عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، لجنة البيان العربي، 1951.
152. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ت صابر الحباشة، ط1، دار هريبرت بركلي الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، 2007.
153. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ط3، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001.
154. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ط2، كلية دار العلوم، القاهرة، 1989.
155. كمال بشر، دراسات في علم اللغة العام، القسم الأول، ط6، دار المعارف، 1980.

156. كمال بشر، قضايا لغوية، دار الطباعة القومية، 1962.
157. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، كلية التربية، 1973.
158. مانفريد فرانك، حدود التواصل: الإجماع والتنازع بين هايرماس وليوتار / ترجمة وتقديم وتعليق عز العرب لحكيم بناني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2003.
159. مانفريد فرانك، حدود التواصل، ت عز العرب لحكيم بناني، ط1، دار الشرق، الدار البيضاء، 2003.
160. مبارك المبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1995.
161. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008.
162. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، 2001.
163. محمد الشاوش، تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع.
164. محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، 2009.
165. محمد الصغير بنانين، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، 2010.
166. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1986.
167. محمد أمين بن فضل الله المحجي، قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، مكتبة التوبة، 1994.
168. محمد بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية، مقارنة تداولية، دار محمد علي للنشر، 2014.
169. محمد بن ناصر الشهري، سلطان اللغة، مدار الوطن للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2012.
170. محمد بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
171. محمد جبار العبيدي، موضوعات إعلامية، مركز عبادي للدراسات، صنعاء، 1995.
172. محمد حبلس، من أسس علم اللغة، ط1، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1994.
173. محمد حسين علي الصغير، تطور البحث الدلالي، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، 1999.

174. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، 2000.
175. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
176. محمد خليفة الأسود، التمهيد في علم اللغة، منشورات السابع من أبريل، ليبيا، 2004.
177. محمد سالم محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008.
178. محمد صلاح الدين الشريف، تقديم عام للاتجاه البراغماتي، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس 1986.
179. محمد طنطاوي، بغية النجباء في تصريف الأسماء، دار الصاوي، 1900.
180. محمد عابد الجابري، التواصل نظريات وتطبيقات، الشركة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2010.
181. محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.
182. محمد عودة، أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1988.
183. محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
184. محمد محمد داود، الدلالة والحركة، دراسة لأفعال الحركة في العربية المعاصرة في إطار المناهج الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2002.
185. محمد محمد داود، الصوائت والمعنى في العربية، دراسة دلالية ومعجمية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.
186. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، الطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2001.
187. محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى. أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2017.
188. محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004.
189. محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، 1984.
190. محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، ليبيا، 2004.

191. محمود السعران، اللغة والمجتمع رأي ومنهج، الإسكندرية، ط2، 1963.
192. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.
193. محمود علم الدين ومحمد تيمور عبد الحسيب، الحاسبات الإلكترونية وتكنولوجيا الاتصال، دار الشروق، القاهرة، 1997.
194. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية، مكتب غرين القاهرة، 1992.
195. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة (المجالات والاتجاهات)، ط4، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007.
196. محي عيسى كاظم الوزني، د. مناضل عباس حسين الجواري، إمكانيات توجه البلدان العربية نحو الاقتصاد المعرفي، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016.
197. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005.
198. مسلم حسب حسين، جماليات النص الأدبي، دراسة في البنية والدلالة، دار السياب، لندن، 2007.
199. مصطفى الغلاييني، الدروس العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006.
200. مصطفى خلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، 2013.
201. مقبل بن علي الدعدي، صناعة التفكير اللغوي، تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر، المملكة العربية السعودية، 2014.
202. مقبول إدريس، الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، جدارا للكتاب العالمي، 2006.
203. مولز وك. زيلتمان وك. أوريكيوني، في التداولية المعاصرة والتواصل، ترجمة وتعليق د. محمد نظيف، إفريقيا الشرق، 2014.
204. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، المؤسسة الاجتماعية، بيروت، 1983م
205. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية اللسانية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1986.
206. ميشال زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1985.
207. ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1992.
208. نادية رمضان نجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ، 2004.
209. نادية صالح مهدي الوائلي، الاقتصاد المعرفي، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2016.

210. ناعوم شومسكي، السيطرة على الإعلام، تعريب أميمة عبد اللطيف، مكتبة الشروق الدولية، 2003.
211. نايف حرما، أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1990.
212. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، عالم المعرفة، الكويت، 2001.
213. نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة.
214. نعيمة الأزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1997.
215. نهاد الموسى، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
216. نهاد الموسى، منزلة السياق في نظرية النحو العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الشروق، ط1، 2003.
217. نحر هادي، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل والنشر والتوزيع، 1998.
218. نور الدين النيفر، فلسفة اللغة واللسانيات، ط1، مؤسسة أبو وجدان للطبع والنشر والتوزيع، تونس، 1993.
219. الهاشمي عبد الرحمن والعزاوي، فائزة محمد، المنهج والاقتصاد المعرفي، دار المسيرة، للنشر، عمان، الأردن، 2007.
220. هريبرت بركلي، مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة قاسم المقداد، ومنشورات وزارة الثقافة، 1990.
221. يوسف تعزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات الواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب، إربد، الأردن، 2014.

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية.

1. Ajith Abraham, Abou Ellaa Hassanein, Computational Social Network Analysis, Springer, 2010.
2. Alain Minc et Nora Simon, Rapport sur l'informatisation de la société, le seuil, 1978.
3. Alan Cruse, A Glossary of Semantics and Pragmatics, Edinburgh University Press, 2006.
4. Allen. Walker .Read, The term meaning in Linguistics, The Institute of General Semantics, 1955.
5. André Martinet, Eléments de linguistique générale, colin, paris, 1960.
6. André Martinet, Jeanne Martinet, Henriette Walter, La linguistique, Guide pratique, Denoël, 1969.
7. André Martinet, Le Langage (Encyclopédie de la Pléiade), Gallimard, 1968.
8. Anne Reboul et Jacques Moeschler, La pragmatique aujourd'hui, édition seuil, Paris, 1998
9. Antoine Arnaud et Pierre Nicole, la logique ou l'art de penser , Galimard, 1992
10. Aspects of the Theory of Syntax, MIT Press, Cambridge, Mass, 1965.
11. Austin J. L, Quand Dire, c'est faire, trad, Gilles Lane, éd du seuil, Paris, 1970.
12. Bernard Pottier, Théorie et analyse en linguistique, Hachette éducation, 1992.
13. Berry, M, Reiew of Halliday, Nottingham Linguistic Circular, 1982.
14. Bing Lu,, Sentiment Analysis and opinion mining, Graheme Hirst, series Editor, 2011.
15. Bob Cross and Robert J. Thomas, Driving Result Through Social Networks, Jossey Boss, San Francisco, 2009.
16. Britanica, The New Encyclopedia, Macromedia.
17. Brzezinski. Z, Le grand échiquier L'Amérique et le reste du monde, Pluriel, 2011.
18. Carla Moony, Online Social Networking, Lucent Books, London, 2009.
19. Catherine.K. Orechioni, l'énonciation : de la subjectivité dans le langage, Armand Colin, 4e édition, 1980.

20. Celia Room and Kristina Setzer Korn, Social Networking Communities and E.dating Services, Information Sciences Reference, New York, 2009.
21. Charles Morris, Fondements de la théorie des signes, Langages, vol 35, Larousse, Paris, 1974.
22. Claude Shannon et Warren Weaver, Théorie mathématique de la communication, Cassini eds, 2010.
23. D. Peccoud, la télématique ou l'homme éclaté, in projet, n° 153, mars 1981.
24. Dan Evans, Social Media Marketing, Wiley Publishing Inc, Indianapolis, 2008.
25. David Crystal, The Cambridge Encyclopedia of Language, Cup; 1987.
26. De Formel M, L'interaction communicationnelle, Réseaux, 1988.
27. Dik Simon, Functional Grammar, North Hollad Publishing Company, 1978.
28. Dominique Wolton, penser la communication, Champs, Flammarion, 1998.
29. Ducrot. O, le dire et le dit, édition de minuit, 1985.
30. Dwight Bolinger, Aspects of Language, Harcourt Brace Jovanovich, New York, 1975.
31. E. Benveniste, Problème de linguistique générale, Edition Gallimard, 1966.
32. E. Couchot, A la recherche du temps réel, In Travers, Paris, 1985.
33. E. Goffman, Façons de parler, éditions de minuit, 1987.
34. E.T. Halla, le langage silencieux, trad fr, J.Mesrie, Mame, 1973.
35. Eco U., les limites de l'interprétation, trd par M. Bozاهر, éd Bernard Grasset, Paris, 1972.
36. Firbas, J, On the Concept of Communicative Dynamism in the Theory of Functional Sentence Perspective, Faculty Brnesk University, 1971.
37. Firbas, J, Thoughts on the Communicative Function of the verb in English, German and Czech, BSE, 1959.
38. Firth, J, R, Personality and Language in Society, Reprinted in Firth, 1950.
39. Fiske. J, Television culture, Methuen, Londres, 1987.
40. Françoise Armengaud, la pragmatique, Que sais-je, 1985.
41. Freeman Christopher, Mendras Henri, le paradigme informatique, technologies et évolutions sociales, Descartes, Paris, 1995.
42. G. Hottois , le signe et la technique, Aubier-Montaigne, Paris, 1984.

43. G.A. Miller, Language and communication, Mc Graw Hill Book company, New York, 2010.
44. Geoffrey Neil Leech, Principles of Pragmatics, Longman Group, London, 1983.
45. Geoffrey Leech, Principles of Pragmatics, Longman, 1983.
46. George Yule, Pragmatics, Oxford university Press, 1996.
47. Gerald Gazdar, Pragmatics: Implicature, Presupposition, and Logical Form,
48. Goffman E., Façons de parler, éditions de minuit, 1987.
49. Goffman.E, interaction ritual, essays on face to face behavior, Double way, New york, 1967.
50. Gras Alain, Grandeur et dépendance, sociologie des macro-systèmes techniques, P.U.F ; Paris, 1993.
51. Gregory Bateson, la nouvelle communication, édition Seuil, 1981.
52. Grice H.P., Logique et conversation, trad, Communication, n° 30, 1979.
53. Grigoris Antonio and Frank Van Harmelen, A semantic web Prime, The MTI Press, Cambridge, London, 2008.
54. H.A. Gleason, Introduction to Descriptive Linguistics, JR, New York.
55. Halla,E.T, le langage silencieux, trad fr, J.Mesrie, Mame, 1973,
56. Halliday, M.A.K, An Introduction to Functional Grammar, Edward Arnold, 1985.
57. Halliday, M.A.K, Exploration in The Functions of Language, Edward Arnold, 1973.
58. Halliday, M.A.K, Language as social semiotic, Edward Arnold, 1978.
59. Hengeveld, K, Layers and Operators in Functional Grammar, JL,1989.
60. Hottois G, le signe et la technique, Aubier-Montaigne, Paris, 1984.
61. Hugues. T, et Mayntz. R, The development of large technical systems, Campus verlag, Frankfurt, 1989.
62. J. Lyons, Language and linguistics, University press, Cambridge, 1977.
63. J. Lyons, Semantics, University press, Cambridge, 1977.
64. J. Lyons, sémantique linguistique, traduction de J. Durand et D. Boulonne, Larousse, 1981.
65. J. R. Firth, Papers in Linguistics, oxford university press, 1957, p 75, 1957.
66. J. R. Firth, Personality and Language, London Oxford, 1950.

67. J.D. Fodor, Semantics : Theories of Meaning in Generative Grammar, T. C. Company, New York, 1977.
68. J.J. Katz and Fodor, The Structure of a Semantic Theory, mass press, Cambridge, 1963.
69. J.R. Firth, Introduction studies in linguistic analysis, Blackwell, oxford, 1957.
70. J.R. Firth, Papers in Linguistics, Oxford University Press, 1957.
71. Jean Dubois et autres : Dictionnaire de linguistique, librairie Larousse, Paris, 1973.
72. Jean Gazeneuve, les pôles de la communication, l'univers philosophique, 2é ed, 1991.
73. Jean Luc Minel, Filtrage sémantique, Hermes Sciences Publications, 2002.
74. Jean Pierre Durand, sociologie de la communication et des technologies de l'information, Edition, Vigot, .1997
75. Jean Pierre Pétard, Psychologie sociale, 2 édition, Bréal, 2007.
76. John Lyons, Introduction to theoretical Linguistics, Cambridge university press, 1969.
77. John R. Searle, Les actes du langage, trad, Hélène Pauchard, Hermann, Paris, 1972.
78. Jurgen Habermas, Morale et communication, Flammarion, 1986.
79. la logique ou l'art de penser, Antoine Arnaud et Pierre Nicole, Galimard, 1992.
80. Langendoen,D.T, The London School of Linguistics, Cambridge, Mass, MIT Press,1968.
81. Leech Geoffrey, Principles of Pragmatics, Longman, USA, 1983.
82. Levinson Stephen, The handbook of pragmatics, edited by Laurence Horn and Gregory Ward, Blackwell publishing, 2004.
83. Levy Pierre, La technologie de l'intelligence, l'avenir de la pensée à l'ère informatique, la découverte, 1990
100. M. Dascal, Contextualism , Herman Parrot, Studies in language companion series, 1981.
101. Malinowski. B, The problem of meaning in primitive languages, C.K. Ogden & I.A. Richards, New York, 1953.
102. Marine Francine Moeus, Information Extraction, Springer, 2013.
103. Marsal. J, la crisis de la sociologia norteamerica, peninsula, Barcelone, 1977.
105. Martine Bracops, Introduction à la pragmatique, de boeck duculot, 2 è édition, Paris, 2010.

106. . Mattelart. M , le carnaval des images, INA, la documentation française, Paris, 1987.
107. Maxidimo, Dictionnaire encyclopédique de la langue Française, édition de la connaissance, 1997.
108. Micro-Robert : dictionnaire du Français primordial ; S.N.L Le Robert 1977.
109. Moeschler et Auchelin, Introduction à la linguistique contemporaine, Armand Colin, Paris, 1998.
110. Molino J., La connotation, (R.I.L.G) V7, éd (P.U.F), 1971.
111. Morin Edgar, L'esprit du temps, Armand Colin, 2008.
112. Muhamed Zakaria Kurdi, Traitement automatique des langues, ISTE Edition, 2017.
113. N. Chomsky, Aspects of the Theory of Syntax, MIT press; 1969.
114. Nathalie Garric et Frédéric Calas, Introduction à la pragmatique, Hachette Supérieur, Paris, 2007.
115. O. Ducrot , le dire et le dit, édition de minuit, 1985.
116. O. Ducrot, les mots du discours, collection le sens commun, 1980.
117. Oswald Ducrot, Dire et ne pas dire , Hermann, 1980.
118. Peter J. Carrington, John Scott, Stanely Wasserman, Models and Methods in Social Network analysis, Cambridge university press, 2005.
119. Philip Davis, Modern Theories of Language, Prince Hall, New Jersey? 1973.
120. Raphael Trony, Benoit Huet and Simon Schenk, multimedia semantics, Library of Congress Cataloging, 2011.
121. Rob Cross and Andrew Parker, The Hidden Power of Social Networks, Harvard Business School Press, 2004
122. Sampson, G, Schools of Linguistics, Hutchinson, London, 1980.
123. Scradigli Victor, L'Europe de la diversité, la dynamique des identités régionales, CNRS éditions, Paris, 1993.

124. Searle. J.R, Sens et Expression, tra, fr, éd de minuit, Paris, 1982..
125. Searle. J.R, A taxonomy of Illocutionary acts, Minnesota studies, vol 7,
126. Stanley Wasserman and Katherine Faust, Social Network analysis, Cambridge University Press, 1994.
127. Stephen C. Levinson, Pragmatics, Cambridge university press, 1983.
128. Stephen W. Littlejohn, Karen. A. Foss ; « Theories of Human Communication , 9th edition, Thomson Wodsworth, 2008.
129. Suzan T.Fiske, Psychologie sociale, de Boeck, 2004.
130. Vachek, J, The linguistic school of Prague, Cambridge, Mass, MIT Press, 1966.
131. Watzlawick, Une logique de communication, ed Seuil, 1972.
132. Wilson, D, Introduction to Semantics. Lecture Notes, Department of Linguistics and Phonetics U.C, 1978.
134. Z. Brzezinski, Le grand échiquier, L'Amérique et le reste du monde, Pluriel, 2011.

المجلات والنشریات والصفحات الإلكترونية.

1. الطاهر لوصيف، التداولية اللسانية؛ مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع17، جانفي 2006.
2. يمى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة ع 264، الكويت، 2000.
3. سعيد بن كراد، السيميائيات النشأة والموضوع، عالم الفكر، م 35، ع 3، يناير مارس 2003.
4. عبد السلام حيمر، حول مفهوم التأويل، مجلة الملتقى، ع65، 2003.
5. سيدي عمر عبود، التلقي والتأويل، مجلة علامات، العدد 10، 1998.
6. محمد بن عياد، التلقي والتأويل، مجلة علامات، العدد 10، 1980.
7. أحمد بن عبد الله اللحيدان، الاستثمار في مجال التقنية المتقدمة، جريدة الرياض، العدد 13535، 15.06.2005.
8. محمد دياب، اقتصاد المعرفة... أين نحن منه، موقع البلاغ
9. مجلة عالم، المجلد العشرون، العدد الثالث، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، وزارة الإعلام، الكويت، 1989.
10. مجلة عالم المعرفة، عدد 262، الذكاء العاطفي، تأليف دانييل جولمان، ترجمة ليلي الجبالي، مراجعة محمد يونس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أكتوبر 2000.
11. مجلة عالم المعرفة، عدد 134، العلم في منظوره الجديد، روبرت م. أغدوس، جورج ن. ستانسيو، ت د. كمال خلايلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير 1989.
12. مجلة عالم المعرفة، عدد 184، العرب وعصر المعلومات، د. نبيل العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل 1994.

13. مجلة عالم المعرفة، عدد 253، ثورة الأنفوميديا، د. فرانك كليش، ت حسام الدين زكريا، مراجعة عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، يناير 2000.
14. مجلة عالم المعرفة، عدد 94، النظام الإعلامي الجديد، د. مصطفى المصمودي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، أكتوبر 1985.
15. مجتمع المعرفة، ترجمة منى عبد الظاهر، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، العدد 171 ، مارس 2002 .
16. نشرة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للتنمية في غربي آسيا، العدد. الأمم المتحدة، نيويورك، 2004 .
17. www.addustour.com/15822/.html
18. www.balagh.com/islam/a10v508co.htm_28k

المجلات والنشريات والصفحات الإلكترونية باللغات الأجنبية:

1. Kleiber Georges, les différentes conceptions de la pragmatique, In l'information grammaticale, année 2000, vol 12, n° 12.
2. Searl, J, Chomsky et la révolution linguistique, In la recherche, n° 32, V4, mars 1973.
3. Rethoré Joelle, la pragmatique linguistique, de peircea études littéraires, Vol 21, n° 3, 1989
4. Charles. S. Peirce, how to make our ideas clear, In Polpular Sciences Monthly 12, jan 1878.
5. J. Molino, La connotation, (R.I.L.G) V7, éd (P.U.F), 1971.
6. Peccoud. D, la télématique ou l'homme éclaté, in projet, n° 153, mars 1981.
7. Friedman Georges, Introduction aux aspects sociologiques de la radio-télévision, CERT, n° 319555, p 17.
8. Paul, D, and Foray, D, An introduction to the economy of the knowledge society, International Social Science Journal; Paris, UNESCO, P9, 21.
9. Keneth Cukier interviewed for the economist, Data Data everywhere, February 25, 2010.

1	مقدمة:
11	الفصل الأول: علم الدلالة ووظائف اللغة
11	مقدمة:
11	المبحث الأول: خصائص اللغة واللسانيات
11	أولاً: خصائص اللغة
12	1. اللغة سمة إنسانية
12	2. اللغة صوتية
12	3. اللغة نظام
13	4. اللغة سلوك مكتسب
13	5. اللغة نامية
13	ثانياً: علاقة اللسانيات بالعلوم الأخرى
18	المبحث الثاني: أهمية البحث الدلالي
18	أولاً: علم الدلالة
18	1. تعريف علم الدلالة
22	2. أهمية علم الدلالة
23	ثانياً: حدود المعنى اللغوي
23	1. الصلة بين اللفظ والمعنى
24	2. معنى المعنى
24	3. حدود المعنى اللغوي

25	4. المعنى الوظيفي
25	أ. الدلالة الصوتية
26	ب. الدلالة الصرفية
26	ج. الدلالة النحوية
27	د. الدلالة التفسيرية
27	هـ. الدلالة التوليدية
28	5. المعنى المعجمي
29	6. المعنى السياقي
29	ثالثا: العلاقات الدلالية داخل المجال
29	1. الترادف
30	أ. الترادف التام الكامل
30	ب. الترادف بمعنى التقارب في المعنى
31	2. التضاد
31	3. الاشتمال
32	4. علاقة التخصيص
32	5. التباين
33	6. نقل المعنى أو تحويله
34	ثالثا: علاقة علم الدلالة بالنحو
35	1. الإعراب

37	2. قواعد الحالات
37	* نشأة قواعد الحالات
38	المبحث الثالث: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة
38	أولا: الاتجاه الوظيفي في تحليل اللغة
39	1. المظهر الأول
40	2. المظهر الثاني
40	3. المظهر الثالث
41	ثانيا: وظائف اللغة
42	1. وظيفة التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات
42	2. تصريف وتنظيم شؤون المجتمع
43	3. الوظيفة النفسية
43	4. الوظيفة الاستفهامية
44	5. اللغة أداة للتواصل
44	ثالثا: المدارس والاتجاهات الوظيفية
44	1. مدرسة براغ
47	2. مدرسة لندن
48	3. المنظور الوظيفي
50	رابعا: نظرية السياق
54	1. السياق اللغوي

58	2. السياق غير اللغوي (سياق الموقف)
61	3. المعنى وسياق الحال
66	4. مستويات التحليل اللغوي
67	أ. المستوى الصوتي
68	ب. مستوى المفردات
68	ج. المستوى النحوي
68	د. المستوى الدلالي
70	هـ. النحو النظامي
74	5. الوظيفة عند (هايمز)
77	خامسا: التطورات الحديثة في الاتجاه الوظيفي
80	الفصل الثاني: التواصل اللغوي
80	المبحث الأول: بين اللغة والتواصل
80	مقدمة
81	أولاً: مفهوم التواصل
81	أ. لغة
82	ب. اصطلاحاً
85	ج. نظرية التواصل
87	ثانياً: اللغة والتواصل
89	1. اللغة والحياة والمجتمع

90	2. اللغة والفكر.....
91	3. بين الاتصال والتواصل.....
96	اللغة والاتصال عند الجاحظ.....
101	ثالثا: أنواع التواصل.....
102	1. من حيث الوسائل المستخدمة.....
102	أ. التواصل اللفظي.....
102	ب. التواصل غير اللفظي.....
103	2. أنواع التواصل من حيث درجة الرسمية.....
103	أ. التواصل الرسمي.....
103	ب. التواصل غير الرسمي.....
103	المبحث الثاني: الفلسفة والتواصل.....
104	1. فلسفة التواصل عند هابرماس.....
105	2. الفعل التواصلي عند هابرماس.....
105	3. دور الفلسفة في الفعل التواصلي.....
107	4. العقلانية التواصلية.....
107	5. الأخلاق والتواصل.....
109	6. التواصل والسلطة.....
112	المبحث الثالث: عناصر التواصل ووظائف اللغة.....
112	أولا: العناصر التواصلية.....

114ثانيا: وظائف التواصل اللساني
120ثالثا: مكونات الكفاية التواصلية
1211. الكفاية الثقافية الاجتماعية
122* الوعي بالمستويات اللغوية المتعددة
1252. الكفاية اللغوية
125أ. المستوى الصوتي
126ب. المستوى الصرفي
128ج. المستوى النحوي
129د. المستوى الدلالي
130رابعا: نظرية السياق
1301. النسبية اللغوية
1312. صعوبة استبعاد السياق في علم الدلالة
1313. سياق الحال
1314. السياق والثقافة
1325. السياق والثقافة والأسلوب
134خامسا: التفاعل
1351. طقوس التفاعل
1372. تفعيل الكفايات
1383. التنويعات الاجتماعية اللسانية والتفاعل

139	3. خصائص التفاعل التواصلي
140	سادسا: تداولية التواصل الإنساني
142	1. خاصية الاستعمال التداولي للغة
143	2. خاصية التعددية السياقية
145	3. خاصية التضمن
146	4. مبدأ الاختلاف
146	5. خاصية مفهومة الإنسان للعالم
147	سابعا: التواصل في الحياة اليومية
148	1. التفاعلية التواصلية عند (هابرماس)
149	2. المستهلك والمستهمل
151	3. التواصل الجديد
152	4. التواصل في عصر المعلوماتية
153	أ. الظاهرة المعلوماتية
154	ب. تقنية جديدة
155	ج. الكلام السرنيقي
157	سادسا: سوسيولوجيا التواصل وتكنولوجيا الإعلام
158	1. التواصل ووسائل الاتصال
159	2. مجتمع الإعلام
160	أ. الشبكات الكبرى وتنوع الثقافات

161	ب. الحياة الإنسانية داخل محيط الآلات الذكية
161	ج. إخضاع الإنتاج والخدمات للمعلوماتية
162	* دواعي إخضاع المقابلة للمعلوماتية
163	الفصل الثالث: التداولية
163	المبحث الأول: التداولية تعريفها وروافدها
163	مقدمة
165	أولاً: التداولية: تعريفها وأهميتها
165	1. تصورات خاطئة عن التداولية
166	2. تعريف التداولية
166	أ. الدلالة اللغوية
169	ب. الدلالة الاصطلاحية
176	3. ظهور التداولية وتطورها
178	4. مفاهيم التداولية ومبادئها
181	أ. أهمية التداولية
183	ب. روافد التداولية
184	* الفلسفة التحليلية
186	- مميزات الفلسفة التحليلية
187	ثانياً: علاقة اللسانيات بالتداولية
187	1. السيميائيات والذرائعية

188	2. السيميائيات والتداولية.....
192	3. الذرائعية والتداولية.....
194	المبحث الثاني: مباحث التداولية.....
194	أولاً: الإشارات.....
195	1. الإشارات تعريفها وخصائصها.....
196	أ. الإشارات الشخصية.....
196	ب. الإشارات الزمانية.....
197	ج. الإشارات المكانية.....
197	2. نظرية أفعال الكلام.....
197	* أوستن ونظرية أفعال الكلام.....
198	ثانياً: تداوليات التأويل.....
199	1. موضوع التأويل.....
200	أ. الخطاب المباشرة.....
201	ب. الاستعمال على حد الحقيقة.....
202	2. التأويل الدلالي التداولي للمفوضات.....
202	أ. طبيعة معنى المفوض.....
204	ب. العمل القولي، العمل اللاقولي.....

209	الفصل الأول: الاقتصاد المعرفي
209	أولاً: الاقتصاد المعرفي، ماهيته، سماته، فوائده
209	مقدمة
209	1. الاقتصاد المعرفي، تعريفه وتطوره
210	أ. ماهية الاقتصاد المعرفي
211	ب. تطور مفهوم الاقتصاد المعرفي
212	ج. أهمية الاقتصاد المعرفي
214	ثانياً: مواصفات وفوائد عصر الاقتصاد المعرفي
214	1. مواصفات الاقتصاد المعرفي
215	2. فوائد الاقتصاد المعرفي
216	ثالثاً: مجالات الاقتصاد في مجتمع المعرفة
218	المتطلبات الأساسية لمجتمع الاقتصاد المعرفي
219	رابعاً: المعلوماتية والاقتصاد المعرفي
221	1. الاقتصاد المعرفي في مجتمع المعلومات
222	2. أهمية تكنولوجيا المعلومات
223	3. المفاتيح المحركة لاقتصاد المعرفة
226	الفصل الثاني: الشبكة الدلالية
226	أولاً: الشبكة الدلالية امتداد للشبكة التقليدية

226	مقدمة
228	1. شبكة الانترنت التقليدية
231	2. الشبكة الدلالية وجه آخر للأنترنت الكلاسيكية
231	أ. تنظيم وهيكله الشبكة الدلالية
232	ب. لغة عالمية
233	* قلة الأدوات
233	3. الشبكة الدلالية وتفضيل العوامل الذكية
237	ثانيا: الذكاء الاصطناعي
237	1. تعريف الذكاء الاصطناعي
238	2. فروع الذكاء الاصطناعي
239	أ. الهندسة اللغوية
239	ب. التحليل الدلالي
240	ج . منشئ البيانات
240	د. المدقق الأنطولوجي
241	هـ. المترجم
243	ر. أخطاء الإدراك
245	3. التمثيل الرمزي
246	أ. تمثيل المعرفة
247	ب. فهم اللغات الطبيعية

248	ج. الذكاء الاصطناعي والمستقبل
249	ثالثا: الأنظمة الخبيرة
250	1. لمحة تاريخية
251	2. تعريف الأنظمة الخبيرة
252	3. دور الأنظمة الخبيرة
253	4. توصيف المهام و تعيين الموارد
255	رابعا : دور اللغات الاصطناعية:
255	1. لغة html
255	أ. تعريف لغة html
255	ب. الشكل الجديد لصفحة الشبكة
256	ج. ميزات أو خصائص html
259	2. لغة Xml
259	أ. تعريف لغة Xml
261	ب. إكس إم إل لتنظيم البيانات
262	ج. إكس إم إل xml هي الأساس لآر دي إف (RDF) و الشبكة الدلالية
262	د. وثائق XML
263	هـ. عناصر لغة XML
264	ر. التعامل بوثائق الإكسمل XML
264	* سهولة التعامل

265	* إنشاء الوثائق
266	و. أهمية xml
268	رابعا : برنامج شبكة الكلمات أو wordnet
268	أ. نظرة تاريخية
269	ب. تركيبة شبكة الكلمات
269	ج. تطبيقات شبكة الكلمات
271	الفصل الثاني: منتديات التواصل الاجتماعي
272	مقدمة
273	أولا: القدرات الخفية في منتديات التواصل الاجتماعي
273	1. ثورة اللسانيات الحاسوبية
276	2. منتديات التواصل الاجتماعية
281	ثانيا: استرجاع المعلومات:
281	1. مفهوم الاسترجاع الإلكتروني للمعلومات:
282	2. مهارات استرجاع المعلومات:
283	3. استراتيجية استرجاع المعلومات في البيئة الرقمية:
284	4. تقييم الاسترجاع في البيئة الرقمية:
286	5. معوقات استرجاع المعلومات:
286	أ. المعوقات اللغوية:
286	ب. المعوقات التكنولوجية.

287	ج. المعوقات التشريعية والقانونية:
287	د. المعوقات المالية
287	هـ. المعوقات النفسية :
287	ثالثا: ترشيح المعلومات:
288	أ. الترشيح التعاوني:
289	ب. الترشيح الهجين:
290	رابعا: القدرة الكامنة في البيانات الضخمة
295	1. تحديد ملامح المستهلكين
297	2. التنبؤ وتحليل المخاطر
298	3. أكثر من مجرد كلمات
300	4. المعطيات العظمى وتحليل الرغبات:
305	تطبيقات:
316	خاتمة
318	المصادر والمراجع باللغة العربية
329	المصادر والمراجع باللغات الأجنبية
339	الفهرس

الملخص:

لقد غير هذا الوافد الجديد (الأنترنيت) أنماط معيشتنا وسلوكياتنا ومعها تغيرت طريقة تواصلنا. إن قرابة 300 شبكة تواصل اجتماعي منتشرة اليوم على الشابكة، وأكثر من مليار ونصف مليار شخص يستخدمون "فايسبوك" يوميا. لقد أصبحت هذه المنتديات – باعتبارها قواعد بيانات تحتوي على كل ما يقال فيها وما يكتب من خلالها – مرجعا ثريا تغترف منها هذه الشركات وتبحث فيها عن ضالتها. يهدف هذا البحث إلى توظيف البعد التداولي للتواصل اللغوي لغربة وترشيح هذه المعطيات الضخمة للبحث عن محتوى يمكن أن يعود على هذه الشركات بالفائدة في استراتيجياتها المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الشبكة الدلالية – التداولية – التواصل اللغوي – الترشيح – الذكاء الاصطناعي – وظائف اللغة.

Abstrait :

L'internet a beaucoup changé notre mode de vie et nos différents comportements ainsi que notre mode de communication. Aujourd'hui on trouve plus de 300 réseaux sociaux sur le net, et plus de 1 milliard et demi de personnes utilisent Facebook chaque jour. Ces réseaux sociaux sont devenus de vraies bases données géantes ou plutôt « Big Data » que les grandes institutions considèrent comme une référence pour leurs investissements. Cette thèse vise à actionner le volet pragmatique de la communication pour de filtrer ces données à des fins d'investissement qui pourront profiter à ces institutions.

Mots clés : web sémantique – pragmatique – communication – filtrage – intelligence artificielle – fonctions du langage.

Abstract :

The internet has changed our way of life and our different behaviors as our way of communication. Today there are more than 300 social networks on the net, and about a billion and half of users every day. These social networks have become real big data which companies and institutions use as references to their investments. These thesis aims at using the pragmatic side of communication to find tools to filter these big data for investment goals for these institutions.

Key Words: semantic web – pragmatics – communication – filtering – artificial intelligence – language functions.